قالوا عن

عبد الصبور شاهين

رحمه الله

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : قالوا عن عبد الصبور شاهين «رحمه الله»
المؤلف : أ. إصلاح عبدالسلام أحمد الرفاعى
تدقيق لغوى : أ. نبيل أبو القاسم
الغلاف : مارك منير
الإخراج الداخلى: أبو مسلم عبد العزيز
تصنيف الكتاب: سيرة ذاتية
المقاس ١٧ × ٢٤
رقم الإيداع : ٢٣٦٢٣ / ٢٠١٨
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 816 - 0

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة
التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢
Email : yastoron@gmail.com
موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الإهداء

إلى روح الغالي **عبد الصبور شاهين** في برزخه - بعض كلمات قالها مُحِبُّوك وأصدقاؤك وتلاميذك، وهي غيضٌ من فيضٍ، ولو استطعنا جمع ما قيل في ذِكراك لما سعتها الأسفار والكتب.

عليك رحمة الله ورضوانه يا أعزَّ الناس، وجمعنا بك - إن شاء الله - في مستقر رحمته مع الصديقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقًا.

وأشيرُ هنا شاكرةً لمن تفضَّل وأخرج كتاب:

«الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين.. ستون عامًا في جامعة القاهرة»

فقد جعلناه أساس كتابنا؛ وخاصة من تحدَّثوا في حفل التأبين في كلية دار العلوم (جزاهم الله خيرًا).

إصلاح عبد السلام الرفاعي

ربيع أول ١٤٤٠هـ

ديسمبر ٢٠١٨م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

لم أعرف في حياتي من هو أرقى منه حديثًا، ولا أنقى سريرةً، ولا أقوى منطقًا، ولا أحسن خُلُقًا، ولا أجمل ابتسامًا.

فلما رحل عن دنيانا منذ ثماني سنين، تبيَّن لي أنه الأعطر سيرةً، والأبقى علمًا، والأكرم نفعًا، والأزكى نفسًا، فيمن عرفت في عمري الذي قارب الستين.

الهدوء مع الحزم، والغضب لله ولرسوله ﷺ، المثالية والرقي في تعامله مع الناس مهما كانوا، أسرته أو رفاقه أو طلابه، أساتذته أو شيوخه أو أحبابه، جيرانه وأقرانه وحتى أعداؤه، تعامل مع الجميع بمنطق الإسلام الراقي، وهذا **الكتاب** هو **باكورة جهد رائع** من والدتي السيدة **إصلاح عبد السلام الرفاعي**، رفيقة عمره وجهاده، وشريكته في حياته وكتاباته، جمعت بين دفتيه ما انتقته مما استطاعت جمعه - وهو كثير - مما كُتِب عن **عبد الصبور شاهين** عبر ثمانية الأعوام الماضية، وكل ما كتبه من رحلت عنهم ينضح بالحب والاحترام.

فسلام عليك يا أبي ورضىً من الله قدر ما أسعدتنا.

سلام عليك يا أبي ورضىً من الله قدر ما علَّمتنا وربَّيتنا.

سلام عليك يا أبي ورضىً من الله قدر حنانك وودّك اللذين وهبتنا.

سلام عليك يا أبي ورضىً من الله قدر ما أحببناك وأحببتنا.

سلام عليك يا أبي ورضىً من الله قدر ما أوذيت في طريق الدعوة إليه.

سلام عليك يا أبي ورضىً من الله قدر غيرتك على دين الله وعلى رسوله ﷺ.

ولو أعمارٌ أخرى أضيفت إلى أعمارنا نقيضها جميعنا في الدعاء لك، فلن نوفيك حقَّك، رحمك الله يا أبي ورضي عنك في علِّيين.

هشام عبد الصبور شاهين

عبد الصبور شاهين: الابن والزوج والأب

كلمة السيدة / إصلاح عبد السلام الرفاعي

حرم المغفور له إن شاء الله عبد الصبور شاهين

عشت مع **عبد الصبور** حياة مرَّت كلها كأنها حلمٌ جميلٌ استقيظت منه، أو طيفٌ رقيقٌ ورَحَلَ، كانت حياة طويلة في نظر الناس، ولكنها – والله – قصيرة قصيرة في نظري، إنها خمسون عامًا مرت سريعًا بما فيها من الحب والحب، بما فيها من الخير والخير، بما فيها من السعادة والسعادة، **وسبب ذلك كله** هو هذا **الإنسان العظيم، أمير الرجال المحبوبين العظماء الكاملين**.

قد يظن البعض أني أبالغ، لا والله، إنما هو **عبد الصبور**، الذي وهبه الله الصفات الرائعة في البشر، مع التمثُّل بالأنبياء، والسير على هدي خيرهم محمد ﷺ، وفيه أيضًا صفات الملائكة من عبادة وذِكر، وفي نفس الوقت لم يفرط في عملٍ أو واجبٍ عليه قط، فقد حصل على الماجستير في سنتين، والدكتوراه في ثلاث، ثم سار في طريق الإنتاج – والحمد لله – لآخر لحظة في حياته.

إنتاج في كل مجال: تأليف، ترجمة، تحقيق، أحاديث إذاعية، برامج تلفزيونية، لو جمعت شرائطها لملأت بيتنا وزادت، ولو سألنا **المسئولين عن الإعلام** في بلدنا عن واحد من هذا الإنتاج الذي درَّ عليهم الكثير ببيعه للتلفزيونات المستجدة في العالَم العربي **لقالوا**: لا ندري!! ولكن يكفي أنّ محبين له كانوا يسجلون حلقات، ليعلموا أولادهم، ولقد رأينا تسجيلات قديمة (أبيض وأسود) في بلاد كثيرة، سافرنا إليها بعد ذلك ﴿ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧].

أما **التأليف** فقد كتب في كلِّ ما هو مفيد، في تخصصه اللغوي، وفي التاريخ، وفي العقيدة، حتى نقد الشعر، فقد ترجم قصيدة «البحيرة» للشاعر الفرنسي الكبير «لامارتين» وجمع كل ترجماتها إلى العربية، من القرن التاسع عشر وحتى سبعينيات القرن العشرين عندما ترجمها، وعمل على دراسة كل ترجمة من الترجمات التي وصلت إلى العشرين تقريبًا، وللأسف لم تدخل المطبعة بعد.

أما **الترجمة** فقد نقل عن الفرنسية كتبنا في الإسلام، وأصول العقيدة، بدأها بكتاب: «الظاهرة القرآنية» لمالك بن نبي، الذي طُبِع أكثر من عشرين طبعة، وجعله الله سببًا في عودة بعض الناس إلى طريق الهداية، وعلى رأسهم الدكتور مصطفى محمود، عليه رحمة الله، وكانت أوَّل طبعة عام ١٩٥٧م، وآخر طبعة أخرجتها وزارة الثقافة عام ٢٠٠٥م، كذلك أخرج كتاب روجيه جارودي «فلسطين أرض الرسالات الإلهية» بالعربية، وقد طُبِع مع الطبعة الفرنسية للمؤلف، والإنجليزية للاقتصادي الكبير د. محمود أبو السعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وليس الآن مجال سرد مؤلَّفاته وترجماته، التي زادت على الثمانين، وإنما سأوضح صورة مبسطة عن **عبد الصبور الابن، وعبد الصبور الزوج، وعبد الصبور الوالد**، وأرجو من الله أن أكشف ولو لمحة من حياة هذا الرجل الفريد.

أوَّلًا: الابن:

لقد عاشت معنا والدته، السيدة العظيمة – رحمها الله – وأشرفت على تربية أولادي الأربعة الكبار – بارك الله فيهم – ولم أرَ في حياتي حنوًا ولا عطفًا ولا رعاية ولا خفضًا لجناح الذل من الرحمة كما رأيت من **عبد الصبور** لأمه، فكان لا يأكل إلَّا معها، وينتقي لها كل ما تحب، وربما أطعمها بنفسه، ويدللها كأنها طفلة، ويحترم كلمتها، ويخفض صوته معها كأنها ملكة، وكم رأيته يجلس على الأرض،

يقلِّم أظافر قدميها، ثم يقبل إصبعًا إصبعًا بعد تقليمه – والحمد لله – عشت لما وجدت أحد أبنائي يفعل ذلك مع أبيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولّما يفعل ذلك معي بعد!!

وتوفيت الوالدة – رحمها الله – عام ١٩٧٢م، ونحن في الكويت، وكانت آخر كلمات قالتها لي عند زيارتي لها قُبيل وفاتها: (بَخْتْ) بمعنى (يا ريت)، يا أم عمرو ترجعوا بقى، ونعيش في القصر العيني، وكان منزلنا في شارع القصر العيني، وكم تمنينا أن تسافر معنا، ولكنها رفضت، **وقالت**: أعيش في بلدي حتى أموت فيها، وقد كان.

أما **الوالد الكريم** فقد توفَّاه الله عام ١٩٥٥م، قبل زواجنا بخمسة أعوام، فلم أحظ برؤيته، لكن حديث العائلة عن علاقة فقيدنا العزيز بوالده أكدت لي أنها مثل علاقته بأمه – رحمهم الله جميعًا – ويكفي أن أذكر حكاية تدل على ذلك البرِّ، **قال لي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بعد زواجنا**: كنت أنا وأخي الشيخ عبد الغفور، وأخي الدكتور عبد الرحمن، حول سرير الوالد أواخر أيامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فنظر وقال: يا **عبد الصبور**، أنت من يحج عني.. مع إنه كان أصغر أولاده، وكان ما زال طالبًا في الكلية، لكن حدس الشيخ الكبير رأى أن هذه المسئولية لن تكون إلَّا من نصيب أصغر أولاده، وحجَّ الحجة الأولى له في عام ١٩١٩ م.

وفي سنة ١٩٧١م وبعد ستة عشر عامًا من هذه الوصية، نوينا الحج من الكويت، وكانت مصر قد منعت الحج إلَّا لمن تأتيه دعوة كاملة من الخارج، وكان والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتمنى الحج ذلك العام، **وقلنا**: فرصة فلنبعث له بالدعوة، وقد كان. وكانت حجتي الأولى، أما **عبد الصبور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد كانت حجته الثانية كما عَرفنا، ودخلنا المسجد الحرام، وطفنا طواف القدوم، وتلفتنا ناحية باب السلام فوجدنا أبي قد أقبل لتوه، فسلمنا وتعانقنا، وقبل أن نفترق على

اللقاء في عرفات بعد يومين، انتحى أبي بزوج ابنته، وسأله عن تكاليف الرحلة؟ ليضع المبلغ في حسابنا بالعملة المصرية، **فردَّ عليه مصممًا**: أنا أحج هذا العام عن أبي، ولا أقل من أن تهديك ابنتك هذه الحجة، ويكفي أننا رأيناك واطمأننا عليك، واطمأننت علينا.

ثانيًا: عبد الصبور الزوج:

لا أبالغ إذ قلتُ: كان مثاليًّا في كل تصرفاته، الصوت الهادئ، المعاملة الحسنة الرقيقة، الروح الشفافة، الكلمات الحالمة، الرومانسية التي لا يعرفها غيره.

زارنا مدير المركز الإسلام في برلين وأسرته للعزاء، وكنا قد التقيناه في ألمانيا عام ٢٠٠٦م، **وقال لي**: هل تذكرين يا حاجة عندما دعينا عند فلان في مزرعته؟ **قلتُ**: لا والله لا أذكر، **فقال موجهًا الكلام لي ولزوجه**: لقد علمنا الدكتور **عبد الصبور** يومها درسًا لا ننساه، كان الرجال معًا والنساء معًا، فخرج **الدكتور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الحديق، وسأل عن الحاجة، **فقلنا له**: مع السيدات، **قال**: نادها لي؛ فبعثتُ من أتى بها، هل تذكرين ماذا فعل بعد ذلك؟ لقد قطف وردة حمراء وقدّمها لك ، وهو يقول: وحشتيني!! لا تعليق...

ما أديتُ عملًا في بيتي ولو بسيطًا إلا شكرني عليه، ليس كلامًا فقط وإنما بتعبيروجهه، ولكنة لسانه التي أحس منها أن كلمة (شكرًا) تخرج من القلب لا من الفم. وفى أول حياتى الزوجية كنتُ أخفقت في صنع بعض أصناف الطعام، وعندما أضعه على المائدة أنتظر اللوم والتأنيب؛ ولكن لا أسمع إلا كلمات الشكر والامتنان على تعبى في صنع الطعام!!

يا الله.. كم سمعت ورأيت رجالًا كل همهم السخرية والاستهزاء من زوجاتهم؛ لأن إحداهن تأخرت في إعداد الطعام، والأخرى لم تصنع ما يريده السيد المصون، سبحان الله وينسى هذا السيد أو ذلك أن آخر كلمتين وصّانا بهما رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: الصلاة والنساء.. ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

لقد كان المغفور له – إن شاء الله – عونًا لى في تربية أبنائنا، واقفًا معى في كل صغيرة وكبيرة، نتشاور في كل شيء، ولا يستنكف أن ينزل على رأيى لو كان فيه خير، كذلك إذا رأيت كلامه وحكمه هو الصواب التزمت به فورًا بكل حبٍّ ومودة.

لو رجعت بى الذاكرة خمسين سنة لوجدت **عبد الصبور** العريس ذا الثلاثين عامًا؛ كما هو في الثمانين، في الرِّقة والحنو والصوت الهادئ، والعاطفة الجيّاشة التي لم تغيرها السُنون؛ بل ربما زادتها قوةً وعنفوانًا...رحمه الله رحمة ملء السماوات والأرض.

ثالثا: عبد الصبور الوالد:

لقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ نعم الأب، من أول يوم يُولد فيه الابن؛ بل قبل أن يُولد، فكم رعانى وأعاننى، وحافظ عليَّ في كل أيام الحمل الأولى والأخيرة، حتى إذا جاءت ساعة المخاض أصرّ على أن يكون قريبًا منى؛ ليشعرنى بالمشاركة، وأننا نحن الاثنين شركاء في هذا المخلوق الجديد، ويدعو له قبل أن يرى الدنيا، لقد سمى أولاده الذكور؛ فمثلا **عمرو** أعطانا الله إياه وهو يعد رسالة الماجستير، وعنوانها **أبو عمرو بن العلاء؛ فقال**: إذا وهبنا الله ذكرًا فهو عمرو– إن شاء الله– فسأكون أبا عمرو، وأمنّت على ذلك، ولكن الوالدة – رحمها الله – كانت تتمنى أن يسمي الولد على اسم جده (محمد)، فلم يغضبها وسمى المولود (محمد عمرو).

وحملت في **الولد الثانى** بفضل الله، وقبل مولده **قلنا**: لو جاء المولود ولدًا أو بنتًا فليكن اسمه (مجد). وقابل والدى رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد أصدقائه فسأله عنى قائلًا: كيف حال إصلاح وابنها هشام؟ فقال أبى: هو عمرو، فرد عليه إذن سيأتى هشام، وجاء هشام، وبعد قرابة الثمانية والعشرين عامًا تزوج هشام من فتاة **رائعة** اسمها (مجد) سبحان الله، بارك فيهما وفي أولادهما.

ثم كان **الحمل الثالث**، وحان ميعاد الوضع، وكان **عبد الصبور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سجن قنا؛ حيث حبس الحاكم خلاصة المتدينين، وقبل وضعى بثلاثة أيام ذهبت لزيارة والدة الغالي وجاء منزلنا ضابط من قنا **وقال لأمي رحمها الله: يقول لكم الدكتور عبد الصبور**: سموا المولود (**مروان**)، ولم نكن نعرف السونار ولا نوع الجنين، وجاء **مروان**، وبعد أربعين يومًا خرج **عبد الصبور** من المعتقل، واستقبلته والدتى - رحمها الله - بطفل على يدها **وقالت**: ما رأيك في هذه البنت الجميلة؟ **قال**: لا إنه **مروان** لقد رأيته في المنام.

ثم جاءت بعد ذلك (**أميرة**)، وبعد أحد عشر عامًا وهبنا الله (**لبنى**)، ولم يسميا إلا بعد مولدهما، بارك الله فيهم أجمعين وفى ذريتهم، (وأصلح لى في ذريتى).

أما علاقة المغفور له - بإذن الله - بهؤلاء الأبناء البررة فكانت نعم العلاقة والمعاملة الطيبة، لقد أرضعتهم لبنًا سائغًا، وغذاهم والدهم الحب والعطف والحنان، وربَّاهم معى خطوة خطوة، يغذيهم بالأخلاق، ويضرب لهم الأمثلة، ويحكى لهم قصص الأبطال والصالحين، ويبين لهم طريقة التعامل مع الأم والأب والإخوة والأقارب والأصدقاء، حتى يكونوا إخوة متحابين متعاطفين بارين بأبويهم وذويهم وأصحابهم، وبعد ذلك يصيرون مثلا يحتذى لأولادهم، وصاروا كذلك ولله الحمد والمنة.

رحم الله الفقيد الحبيب الذي لا أجد كلمات توفيه حقه، ويكفى أن يكون **عبد الصبور** في نظر كل من عرفه **خلاصة الرجولة، خلاصة الفروسية، خلاصة الإيثار.**

أبي

الأستاذ الدكتور أميرة عبد الصبور شاهين[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحضور الكريم. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لم أكن أتمنى أن أقف هذا الموقف في يوم من الأيام؛ لكن جمعكم هذا بذكره **لمناقب الوالد الحبيب**، وجميل صنائعه لهو خير عزاء لكل زملائه وتلامذته وأحبته... ولنا جميعًا.

ولقد حاولتُ أن أتذكر نصائح أسداها لي والدي فلم أتذكر؛ لكني وجدت أن كل ما تركه لنا هو أفعال قام بها، ورأيناها، وتعلمناها.

رأيناه يقضي جُلَّ وقته يعمل كمَنْ يتعبَّد، ويسير إلى مكان عمله في كلية دار العلوم كَمَنْ يسير إلى الحج، **فتعلمنا** أن نقدِّس أعمالنا، ونتقرّب بها إلى الله تعالى تفانيًا وإتقانًا.

ورأيناه يذكر أساتذته بكل خير، ويضعهم في نفسه موضع القديسين، **فتعلمنا** أن نجعل لمعلمينا في أنفسنا منازل تقترب من منازل الأنبياء، وأن نعرف الفضل لأهله.

ورأيناه لا يضن بعلمٍ مَنَّ الله به عليه، ولا يمنع سبيلًا إلى نور هداه الله له؛ بل وتبلغ سعادته مداها إن جلس إليه طالب يطلب علمه، **فتعلمنا** أن كل الخير في العلم نناله إن تعلمناه وعلمناه.

(١) ألقيت في حفل التأبين.

ورأيناه يضع هدفه في عمله أمامه مثل ترجمة كتاب بحجم دستور الأخلاق في القرآن، فيبذل جهده لتحقيقه، ويشرع في الوصول إليه متيقنًا أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا، **فتعلمنا** أنه على قدر أهل العزم تأتي العزائم، وأنه على قدر الكرام تأتي المكارم.

ورأيناه إذا ما أعطاه الله ما سعى إليه حمد الله، وشكر فضله، وإذا ما جاءت الريح بما لا تشتهي الأنفس حمد الله وشكر فضله، **فتعلمنا** أنه ليس علينا إلَّا السعي والعمل، ثم الحمد والشكر على ما أعطانا الله وما منع.

ورأيناه لا يخشى تأليف كتاب يخالف به ما استقر في أذهاننا مما لا دليل عليه، مثل كتاب أبي آدم، **فتعلمنا** ألَّا نصدّق إلَّا ما نعقل، وأن قلوبنا هي خير من نستفتي إذا أعيتنا الحيلة فيما ليس لدينا عليه دليل من الكتاب أو السُّنة، وألَّا نجهل كي نعرف بالعلم، وألَّا نظلم كي نعرف بالعدل.

ورأيناه لما تنقلب عليه الدنيا، ويتكالب عليه سفهاؤها يرد عليهم بما يراه صوابًا، ثم يعرض عن صغائرهم، **فتعلمنا** أن نبتغي وجه الحق تبارك وتعالى في كل نزاعاتنا، ثم ندع الأمر لله؛ ليحكم بما يشاء.

ورأيناه لما تكتب عليه الأيام ما لا يقدر على تحمله عصبة من الرجال يعرف في نفسه أن هذا هو حكم الله وابتلاؤه، فيصبر ويحتسبها عند الله، فيهونها الله عليه، **فتعلمنا** أن العظائم تصغر في أعين العظماء بوضعهم وجه الله نصب أعينهم، وأنه لا يُلقَّاها إلَّا الذين صبروا، ولا يُلقَّاها إلَّا ذو حظ عظيم.

ورأيناه يقف حاملًا كلمة الحق وبينه وبين قولها محن وعذابات، وطريقها مفروش بالأشواك والنيران، فيمضي في قولها غير مبالٍ بما يلقى، غير عابئ بما

يصير، **فتعلَّمنا** أنه يكفينا أن نعرف طريق الصواب وأن نسير فيه، وأن الله مع الصابرين، وأن الله يدافع عن الذين آمنوا.

ورأيناه في بيته أرق الناس مع أهل بيته، وأعف الناس لسانًا في محاورتهم، وأحلى الناس في صحبتهم، **فتعلَّمنا** أن الدين ليس فقط أحاديث تُروى وأحكامًا تتلى قدر ما هو خلق وسلوك وممارسات وأفعال.

ورأيناه يعفو عن المسيء إليه في قلبه، ويغفر لمن يجحد فضله ملتمسًا لكليهما عذره، **فتعلَّمنا** أن أسمح ما في الناس من خلق هو التماس العذر في الشيم.

ورأيناه يدفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي هو عدو له كأنه ولي حميم، **فتعلَّمنا** أن في الحب دواء للنفوس وشفاء لأدواء القلوب.

ورأيناه يستمع إلى الصوت الجميل، ويطرب للنغم الأصيل، **فتعلَّمنا** أن الأصل في الدين هو الحلال، وأن الحرام هو ما حرَّم الله.

ورأيناه عفَّ اللسان، ضاحكَ السن، لا يقرب إلَّا جميل القول، ولا ينطق إلَّا حلو الحديث، كثير التصدق بالتبسُّم في وجه إخوانه، **فتعلَّمنا** أن الابتسام مفتاح القلوب، وأن في الكلام الطيب راحتها وإسعادها.

ورأيناه لا يغضب إلَّا إذا كان السبيل إلى إصلاح الحال هو قليل من الغضب، **فتعلَّمنا** ألَّا ندع أمورنا للشيطان يوردنا موارد التهلكة.

ورأيناه يعامل أكابر الناس كضعافهم، ويشرق كالشمس للغني كما للفقير، **فتعلَّمنا** أن الله فوق الخَلق فيها وحده، وأن من تواضع لله أحبه الله.

ورأيناه لا يحزن على خير لم يصبه، ولا يجزع لمكروه حلَّ به، **فتعلَّمنا** أن تطمئن قلوبنا؛ لأن الخير المكتوب لنا لا ينالـه غيرنا.

ورأيناه يتقرب إلى الله بتقبُّل مرضه، ويتعبَّد إليه بالرضى بألمه، **فتعلَّمنا** أن الحياة بحلوها ومرها ما هي إلَّا خطوات نخطوها ابتغاء وجه الرحمن.

ورأيناه لا يجزع لموت الأحباب، ويوقن أنَّا إلى الموت صائرون، **فتعلَّمنا** أن الموت حق، وأنه ليس بين الموت والحياة سوى قبضة الرحمن، وأنه ليس بينا وبين من سبقنا من الأحبة سوى أنفاس معدودات لا يعلمها إلَّا الله.

ورأيناه يحتسبهم عند الله... فاحتسبناه.

ورأيناه يطلب الصبر من الله فطلبناه إلى أن نلقاه.

عسى الله أن يجمعنا وإياه في رضوانه.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

مات قوم وما ماتت مكارمهم

الأستاذ الدكتور أحمد زكي حماد [1]

ستبقى ذكرى **عبد الصبور شاهين** مسطورة في سجل الخالدين، وهو خليقٌ بهذا الاستحقاق لعلمه، وأعماله، وجهاده للذَّود عن الإسلام والقرآن، وعن لغته وأمته، وعن دعوته بين الناس إلى إيثار التعارف على التعانف، والتقارب على التحارب، والسلام بدل الخِصام. والله المسئول أن يكتب له الجزاء الأوفى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وقد جمعنى به شرف المصاهرة، أمَّا **الوشيجة الكبرى** بيننا فهي «**رحم العلم**»، والاشتغال - كل الاشتغال بما يُسِّرَ له - **بإبراز الجانب الحضاري للإسلام، والكشف عن هدايات القرآن**، والتأكيد على دور ذلك في: الإسهام في حل مشكلات الحضارة المعاصرة، والخروج بها من مُحتَبَسَات الماديَّة، وتأزمات العنصرية، وأهوال العدوانية إلى آفاق الحرية، والأخوة الإنسانية، واستشعار المسئولية - أمام الخالق جل وعلا، وأمام الخلق - عن عمارة الأرض، ونشر خيراتها بين ساكنيها، والسعي لعون المنكوبين، والمحرومين، والمستضعفين، ورفع الظلم عن المظلومين، وتحرير الناس - كل الناس - من موبقات الجهل، وذل الحاجة، وقهر المرض، وسفاهة الخرافة.

أما **الجانب الثاني** الذي نتلاقى فيه مع **الراحل العظيم** فهو **كشف حقائق الإسلام** وكتابه، والرد على من يسعى في تشويه معالمه، أو تحريف نصوصه، أو

(١) أستاذ الحضارة الإسلامية.

التعسف في تأويلها عمدًا أو جهلًا، بغضًا أو عمالةً، مع فروق شكلية في الإطار والطرح.

ومن يراجع أعمال الدكتور **عبد الصبور** التي ألَّفها أو عرَّبها، ومن يتابع خُطَبَه المتميزة للجمعة التي امتدت لعقود في «مسجد مصطفى محمود»، و«المسجد العتيق لعمرو بن العاص»، و«مسجد الدكتور **عبد الصبور**» العامر في حدائق الأهرام، يجد أن الرجل نذر نفسه للبلاغ عن الله بتفسير كتابه، والمحاماة عن قضايا الأُمَّة، وخصوصًا قضايا القدس وفلسطين، وتجلية سماحة الإسلام في أخلاقه، ومعاملاته، ورسالاته إلى البشرية.

والدكتور عبد الصبور أحد أئمة اللغة العربية المعاصرين، وقد أدرك بحكم تخصصه، وبوعيه الحاد لرسالة اللغة: أنها وعاء الفكر، وأداة التواصل بين الخالق ومن خلق من البشر عن طريق وحي القرآن إلى خاتم المرسلين، وكونها وسيلة التواصل بين الناس، ولذلك وقف في وجه الشُّعُوبِيِّينَ، والمُتَسَتِّرين وراء الشعارات الزائفة الرَّنانة، **مثل**: موضوعية البحث الحر، والحَيْدَة المطلقة، والانفكاك من التقديس في الفهم والتأويل... إلخ. وانتصر في معاركه، وكشف خبيئة هؤلاء، وبيَّن أنهم أدوات تُستغل في إعادة هندسة المجتمعات الإسلامية، والعمل على سَلْخِها من تراثها ولُغتها، وجرَّها إلى نُصُب حضارية غَريبة عن رُوحها، ورسالتها، وشخصيتها وأخلاقها.

ولابد من **كلمة عن الجانب الشخصي للدكتور عبد الصبور**؛ لقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنسانًا جميلًا بقامته الفارهة، وتقاسيمه، وصوته الجهوري الذي يلفت الانتباه، ويُعزز حضوره في المجالس، وعلى المنابر.

أما **الجمال الأكبر** عند **عبد الصبور** فهو في مِضاء عزيمته، والثقة البريئة من شوائب الكِبر والتباهي، والتواضع الذي لا يخالطه هوان أو ضعف، والمصابرة على أكدار الحياة، والاستعداد لما بعدها، والمرح الذي يُشيع البهجة، وتواصله الودود مع ذوي رحِمِه وأولي قرباه، والولع بالعلوم الشرعية والإنسانية والكونية.

وقد قيل: «إن وراء كل عظيم امرأة». وأنا أقول: إن عرفان الزوجة لمقام زوجها، وإجلالها لذكراه بعد رحيله آية على صدق عظمته. وقد لمست من حليلته الأستاذة **إصلاح الرفاعي** رعاها الله مشاعر جيَّاشة بالمحبة والمودة والفخر برحلة العمر التي عاشتها مع **الدكتور عبد الصبور**، وامتدت لأكثر من نصف قرن؛ لم تكن فيها مجرد زوجة؛ بل شريكة في الرسالة والعطاء، والهموم والآمال، ورعاية الأسرة، وفوق كل ذلك في التأليف.

وأملي أن تستمر أسرته، ويمضي محبوه في الحفاظ على تراثه، وإحياء رسالة التجديد التي حمل لواءَها، وعاش ومات من أجلها، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه من الجنة في درجاتها العُلى.

«قد ماتَ قومٌ وما ماتتْ مكارِمُهم، وعاش قومٌ وهم في الناسِ أمواتُ».

زوج أختي الكبير

فاطمة عبد السلام الرفاعي

كانت المرة الأولى عندما أُتيحت لي فرصة حضور حفل تأبين؛ ولذا أسرعت بالحضور؛ لأنه يخصُّ أحد أفراد عائلتي، وعندها ندمت كثيرًا عندما وجدتُ أهلي وأصحابه في الجامعة يتحدّثون عنه، فتمنيت أن أعبّر عن كثيرٍ مما يجيش في صدري من ذكريات عزيزة، فأنا أعرفه ربما أكثر من أولاده، وسعدتُ كثيرًا عندما دعتني **أختي السيدة إصلاح** زوجة المغفور له **د. عبد الصبور شاهين** لحضور الحفل، أو **تيتي** كما يحب أن يناديها بهذا الاسم الذي كان محببًا إلى قلبه.

لقد تزوَّج أختي وكان عمري خمس سنوات فعلَّمنا الكثير، ونشأنا بسببه في رعاية شديدة من الجو الإيماني المحترم الوسطي، فكان يجمع بين الدين والدنيا، وقد فوجئت أخيرًا عندما علمت أن جارنا صاحب محل تنظيف الملابس وهو مسيحي عندما سمعني أتحدث عن وفاته لأحدٍ ما، **قال**: ومَنْ لا يعرف هذا العلَّامة الحكيم الجليل؟! وأخبرني أنه يُفضِّل منطقه السليم النقي من الشوائب، وأخذ يتحدّث عنه في مواقف عدة.

وكان **د. عبد الصبور** له أصحاب عديدون يتبادلون الزيارات، فهم يستزيدون من نهر العلم، ويتزوّدون وينهلون من هذا النبع الذي لا ينضب.

كنا محظوظين لدرجة كبيرة أن بعث الله لنا في أسرتنا هذا العبقري الذي طالما وقف يساعدنا، أذكرُ أنني كنت في امتحانات الجامعة، وبقي يوم على امتحان مادة (فوناتكس) علم لغة النطق، وهو تخصصه الأصلي لكن بالفرنسية؛ لكنه

استطاع بذكائه أن يقرأها بالإنجليزية، ويستوعبها؛ ليشرحها لي ببساطة؛ حتى ذهبت للامتحان، وأديته بتفوُّقٍ لم أصدقه حتى الآن.

كان حريصًا كلَّ الحرص منذ تزوَّج أختي حتى وفاته على دعوتنا عندهم على الغذاء ثاني يوم عيد الفطر، حتى كان هذا اليوم من أهم أيام السَّنة، وطالما صحب عائلتنا إلى مصيف بورسعيد منذ أن تزوَّج أختي حتى أصبحت بورسعيد ذكرى أجمل مصيف فهو المكان الجميل، فكان أوَّل رؤيا للبحر بالنسبة لعمرنا الصغير أتاحه لنا زوج أختي.

كان يحترم الصغير والكبير، كنتُ أبيتُ عند أختي أيامًا وأسابيع، وأقضي الإجازات مع أختي الصغير هالة، كان يترك لنا فراشه لننام بجوار **إصلاح** أختنا، وتلك أخلاق لم تحدث على وجه الأرض.

كان كل شيء يسترعي انتباهه وذلك من فرط حسه المرهف، كان منظمًا مرتبًا يبارك الله له في وقته، فدائمًا لديه متسع من الوقت بعد كل ما كان يقوم به من أعمال، إضافة إلى جلوسه إلى مكتبه ساعات طويلة للدراسة والتأليف التي لم يكف عنها حتى آخر لحظات عمره.

علَّمنا **السماحة** بمعناها، وكيف نعرض عن الجاهلين.. علَّم أختي زوجته وتشبعت منه، فتعلَّم الجميع منها، فانتشر التسامح بيننا.

أما عن **برِّه بوالدته** فهذا وحده لا يكفيه كتب، وأتذكره أمامي الآن كأنه يَحْدُث هذه اللحظة، كان يُقبِّل قدميها وحتى حذاءها بمجرد شعوره أنها تتضايق من شيء معين، وكان يفعل ذلك أمام أعيننا دون حرج أو خجل، والآن عندما أستعيد ذاكرتي في معاملته لأمه (نينا منيرة) كما كنا نطلق عليها – أُدرك

أن احترامه وتبجيله لأمه لا ينبع إلَّا من نفس طاهرة من داخله، ليس مجرد بيئة فقط، فهو لا يضاهيه أحد في ذلك.

لقد تعجبت كثيرًا عندما سمعت الحاقدين وأعداء النجاح وما أكثرهم في بلادنا – حفظ الله البلاد من شرورهم – يصفون بيته بالقصر المنيف فهذا افتراء وكذب وادّعاء، فالمنزل خالٍ من البذخ المبالغ فيه والأثاث المترف؛ لكنه لم يخل من الذوق الرفيع، فقد بنى منزله بسيطًا عاديًّا في أثاثه؛ لأنه يخشى الله تعالى.

كان من الرجال الذين اهتم بهم العَالم أجمع إلَّا من كانوا في بلادنا يستبعدون الصالح الذي يرجو الخير، ويخشون تواجده، ويبذلون الجهد لإقصائه للقضاء على أفكاره واتجاهاته.

وأعلم أنه باع كل ما ورثه عن أبيه؛ ليشتري أرضًا بجانب مسقط رأسه؛ ليبنيه جامعًا، وبني مسجدًا آخر بجوار مسكنه، وبني معهدًا مكونًا من عدة مدارس ابتغاء مرضاة الله.

لقد نقل إلى العربية موسوعة «فلسطين أرض الرسالات الإلهية» لروجيه جارودي، وكذلك كتاب «دستور الأخلاق في القرآن» عن محمد عبد الله دراز، والتي قد أخذ بها الدكتوراه بالسربون، وقد ترجم أكثر من ستة كتب لمالك بن نبي، منها كتاب «الظاهرة القرآنية»، وهذا في الفترة ما بين عام ١٩٥٧ م – ١٩٦٠م.

ولأني قد تخرّجت من قسم الترجمة في الجامعة فقد رأيت تميُّزه في الترجمة عن غيره في كيفية نقل معاني ما يريده المؤلِّف ويوضحه بلغةٍ أخرى لا يقدر أحد غيره على فعلِ ما كان يقوم به، فهناك معاني كثيرة قد تتغيّر أو تضيع عند نقلها للغة أخرى، استطاع هو نقلها بأمانة كما يريد المؤلِّف أن يقولها.

كان يقدر عمله ويحبه كثيرًا، حتى عندما كانوا يستضيفوننا في منزلهم يسلم ويرحّب بأسلوبه الشيق وحديثه العذب الذي لا ينسى بترحيباته الحميمة حتى في مرضه، ثم يتركنا لمواصلة عمله على مكتبه، وكان دائمًا ما يسأل عن كل صغيرة وكبيرة خاصة بنا، فمثلًا عندما كنتُ بالثانوية العامة عرف أنني ضعيفة في الكيمياء العضوية، فطلب من ابن أخته؛ ليشرحها لي، ونجحت والحمد لله فيها.

حكى لنا مرة كيف حزن على عدم اشتراكه في معركة التل الكبير ضد الإنجليز في يناير ١٩٥٢م عندما أصابته حادثة في الطريق، ففي أثناء ذهابه صدمته سيارة كبيرة وبكى عندما أصيب إصابات بالغة سببت حرمانه للذهاب للمعركة التي استشهد فيها ابن عمه «**عمر شاهين**».

لقد كان **د. عبد الصبور** أسطورة حظينا بها في عائلتنا كلما مرت السنون سينجلي كل ما يجب أن يتضح من روعة وعظمة هذا الإنسان العظيم، كما ينجلي ويتضح المعدن الأصيل مع مرور الوقت، فهو دائمًا العملاق في الأخلاق والكرم والنبل والعلم الغزير والتواضع وحب الناس ونقاء القلب من الضغائن التي تدمّر النفوس، والأحقاد التي تبعث على الكراهية، فكان لا يطيق أن يُذْكَر أحد أمامه بعيوب، ولا يسمح بمجرد التحدث بذم غائب حتى إنني أقول لنفسي: يا ليت الناس يتعلمون، فهذا الأسلوب بحق نادر وغير موجود مطلقًا بين الناس، والسائد هو العكس.

فكونه بهذه الدرجة من الرقي الأخلاقي والسمو في التعامل والعلو في التفكير يجعله قريبًا من أخلاق الأنبياء، جعله الله في صحبتهم.

أطلب من الله تعالى أن يكثر من أمثاله ممن يتحلون بالضمير الحي والخلق القويم؛ ليصلح بهم شأن بلادنا.

الرجل الصالح زوج أختى

الأستاذ الدكتور فيصل عبد السلام الرفاعى[1]

عَرفتُ **الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين** منذ كنت في الثانوية، فقد كان زوج شقيقتى الكبرى. وكان هو وهى مرجعين لنا في حياتنا بجانب الوالدين الكريمين رحمهما الله.

ومهما قلت فلن أتمكن من قول ما ينبغى لإظهار شىء من حقيقة جمال أخلاق هذا الرجل العظيم ومعه كثير من زملائه. لقد كانوا جميعًا وكأنهم استقوا جميل أخلاقهم وحسن تعاملهم وحلمهم ووقارهم وطيبتهم من نبعٍ واحد.

لقد كانوا منارات وعلامات تضىء لمن حولهم بالتعقل والقدوة الصالحة، والتهذيب والرقى، والتحضر والعلم الواسع.

وفوق كل هذه الأخلاق الحميدة التي اتصف بها كنت أرى تاجين باهرين فوق رأس هذا الرجل العظيم:

أحدهما: الحلم: ظهر هذا الخُلق في أحد المواقف عندما وجدت من احتدّ عليه ممن يحبهم ويحبونه، وارتفع النقاش حتى وصل إلى حد الغضب.

ولكنى وجدت رد فعل الدكتور رَحِمَهُ ٱللَّهُ عجيبًا، رأيت مثلًا لتجسيد حي لمعنى الحلم والحكمة، والصدر الواسع؛ حيث أخذ يبتسم ويهون على الغاضب

(١) عميد كلية الهندسة جامعة الأزهر الأسبق.

غضبه، ويلاطفه بجميل الكلام فما كان في النهاية إلا أن ابتسم هذا الذي غضب منه وقبّله ثم اعتذر، وتعجبت كيف تعلّم أن يكون حليمًا هكذا، وعرفت منه أن الحلم يمكن أن يغلب الشيطان ويفعل المحال في لحظات..

أما **التاج الآخر** الذي بهرني؛ أني عرفت منه كيف يكون الإنسان عالمًا بمعنى الكلمة.. ففي إحدى حواراتي معه في يوم من عام ٢٠٠٥م عرضت عليه تفسير آية من القرآن الكريم لأبين له وجهة نظري فيها وهي ﴿ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ ﴾ [المدثر:٦].

وهو ليس بحاجة لكي أفسر له شيئًا من القرآن الكريم الذي حفظه من طفولته، ودرس كل شيء عنه طوال حياته.

المهم كان تفسيري على خلاف الأربع تفسيرات التي وردت نقلًا عن السلف الصالح. وكان رد فعله غريبًا، فقد كنت أظن أنه لا يهتم بكلامي؛ ولكنه سكت تمامًا، وهو ينصت باهتمام لكل كلمة.

والعجيب أنه لم يقاطعني حتى فرغت من حديثي، صمت وهو العلَّامة وأنا مهنتي الهندسة فأنّى لي بمستوى علمه. لقد دعا لي بالتوفيق والسداد، وكأنما أمّن على كلامي.

لقد تأكدت أنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ صورة مشرفة للعالم الحق، والمعلم الناجح، ذى الخلق العظيم، حشره الله مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

أبي

السيدة/ مجد خلف

زوجة الدكتور هشام عبد الصبور شاهين [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحضور الكريم.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يمنح الله عَزَّوَجَلَّ الناس على رأس كل قرن منحة سماوية، ومنحة هذا القرن لنا حميّ الراحل **الدكتور عبد الصبور شاهين**.

لم يكن رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجلًا عاديًا، فقد كان يحمل كل صفات العظماء؛ من طهارة اليد واللسان، والنزاهة ورقي التعامل، والعلم الوافر الغزير، مع التواضع المنقطع النظير، تتلمذت على يديه أجيال وأجيال في شتى بقاع الأرض، وألَّف مع مؤلَّفاته الكثيرة بين قلوب تلامذته؛ كي ينشأوا على حب الله وطاعته، وحب العلم واغترافه، وحب العمل وعبادته، وينشروا هذه المبادئ في كل أرجاء المعمورة.

وقد أكرمني الله عَزَّوَجَلَّ بانتسابي إلى هذه العائلة الكريمة بزواجي من ابنه الدكتور **هشام**، وعبر عشرين عامًا كان لي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبًا وأستاذًا وملاذًا، تعلَّمت منه كيف يكون الحب هو الطريقة المثلى للتعامل بين الناس والدنيا بأسرها، فتعلَّمت منه حب الناس وحب الإصلاح وحب الدعوة إلى الإسلام لوجه الله،

(١) ألقيت في حفل التأبين.

سألته ذات مرة عن شعاره في حياته، **فقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن شعاره الذي يؤمن به ويردده في كل خطبه هو قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤]، كان تعامله رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع كل الناس صغيرهم وكبيرهم، غنيهم وفقيرهم، صديقه أو عدوه، متطابقًا مع مدلول هذه الآية الكريمة، كنتُ أراه واقفًا بين الناس بكل تواضع العلماء بعد كل خطبة، ووجهه يُضيء بابتسامة مشرقة، يجيب على كل الأسئلة المنهمرة عليه دون أن يرد سائلًا أو يصد أحدًا.

فلنكمل مسيرته ولنسر على خطاه كما تمنى دائمًا، ولنحرص على إكمال دعوته عبر فهمنا لهذه الآية، وتطبيق مفهومها تطبيقًا صحيحًا، وليكن حديث رسول الله ﷺ نصب أعيننا: «الدين المعاملة»، كما كان دائمًا مسلك حميَّ الراحل **عبد الصبور شاهين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

لم يفارقنا **الدكتور عبد الصبور شاهين** إلَّا جسدًا؛ لكنه معنا روحًا بأفكاره وكلماته وإبداعاته ومؤلَّفاته الخالدة، وأتمنى كما نتمنى جميعًا أن نلحق به في الصالحين بإذن الله، وقد ترك لنا في الأرض حبًّا وعلمًا وأثرًا طيبًا وسيرة عطرة.

رحم الله أبي وحمي وأستاذي وأستاذ القرن كله، وأسكنه فسيح جناته مع الأنبياء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، جزاءً لما قدَّم للإنسانية جمعاء، والدعوة الإسلامية في شتى بقاع المعمورة، وأختم كلمتي هذه بقول الله عَزَّوَجَلَّ:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧- ٣٠].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أبي

الأستاذ الدكتور هشام عبد الصبور شاهين[1]

أبي يا أبي يا أبي
إلى اللقاء يوم اللقاء
يوم يلقاك النبي الكريم
وصحبُه أصحابُك

نعم الرفيق.. نعم الصديق
نعم الحبيب.. نعم الخطيب
ولم يزل بعد الرحيل يحدونا خطابك

ما زال مقعدك الأثير مقعد نبيّ
عكازك الخشبي
مصحفك ذو الأحرف الكبيرة
مسبحتك.. عباءتك.. جلبابك

(١) ألقيت في حفل التأبين.

ما زالت تفاصيل حياتك تلازمنا

أدويتك.. أدواتك

طعامك.. شرابك

بسماتك.. ضحاتك

صحوك.. منامك

سكوتك.. كلامك

تفاصيل حياتك كلها أضناها غيابك

أسرتك.. أبناؤك

مريدوك.. طلابك

عاينوا فيك أخلاق النبوة

وطُهْر الملائكة

وأدهشهم هدوؤك وهمتك

صبرك واحتسابك

كنت طاقة من الحب هائلة

نهل منك أعداؤك وأحبابك

لاحقت فلول ماركس ولينين

وقلوع الغلمان مزقتها حرابك

ما يئست من روح الله أبدًا

ولا التهيت عن ذكر الله أبدًا

فصبر جميل.. وبال طويلْ

ويد عليا.. ومصاب المسلمين دومًا مصابك

أبي يا أبي يا أبي..

إلى اللقاء يوم اللقاء

وحتى نلتقي.. عيناي مستقرك

ودماء قلبي ترابك

الأخ الكبير دكتور عبد الصبور

الأستاذ الدكتور محمد السعد الرفاعي[1]

رغم عملي في هيئة التدريس بالجامعة منذ أكثر من أربعين عامًا وتمرسي الكتابة العلمية وكتابة المقالات لسنوات طويلة إلَّا أنني أجدني غير قادرٍ لأكتب ما يسكن في خلدي ناحية العالم الجليل والإنسان المعطاء والقدوة الحسنة والرَّجل المتواضع، مع كل ما حباه الله به من علم ورفعة ورقي، وهو المغفور له بإذن الله تعالى **الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين**.

كلماتي تتضاءل ومقدرتي على الكتابة تعجز عن التعبير عما تحمله ذكرياتي عن هذا العملاق العظيم.

أتذكره.. وأنا أراه في منزلنا للمرة الأولى منذ خمسين عامًا متقدمًا لخطبة شقيقتي الكبرى، لقد انبهرت بشخصيته وبهدوئه ولباقته وعلمه ونظرته الثاقبة وأدبه الجم ورقته الرائعة، وكيف استحوذ على حب من رآه للوهلة الأولى؛ بل واستحوذ على عقلي وأنا ابن الخامسة عشرة والباحث آنذاك عن من سيمثلون قدوتي المثلى في الحياة وأنا على أعتاب التحاقي بالجامعة، ولأدرك أهمية الاجتهاد للالتحاق بهيئة التدريس بالجامعة بعد ذلك.

أتذكره دائمًا بابتسامته المريحة التي لم تفارق وجهه مطلقًا، والتي دائمًا ما كانت تضفي البهجة على محدثيه؛ بل وتنزل السكينة على مريديه.

---

(١) أستاذ بكلية طب القصر العيني .

أتذكره وأنا ألجأ إليه أخًا كبيرًا، ناصحًا أمينًا، قوي الإدراك، خارق الذكاء، لمّاحًا فوق العادة، سريع البديهة، وفوق كل ذلك نقي القلب.

أتذكره وقد قدّم العون لكل من حوله وأنا منهم، دون انتظار لشكر أو حتى كلمة إطراء.

أسأل الله القدير أن يغفر له ويرحمه ويسكنه وإيانا جنات الخلد.. آمين.

بين الآية والنشيد

المهندس / مروان عبد الصبور شاهين

مـــن لي أحـــبُّ مـــن أبي	ومـــن أعـــزُّ مـــن أبي
إذا طلبـــت حاجـــة	أبي يجيـــب مطلبـــي
إني أراه مســـاعدي	في كل أمـــر متعـــب
يـــا رب أبـــقِ لي أبي	يـــا رب أبـــقِ لي أبي

هـذا النشـيد الـذي حفظتـه في درس الموسـيقى في الصـف الأوَّل الابتدائـي.. ظللـت أستشـعر كل كلمـة فيـه منذئـذ، فقـد كان أبي – الراحـل العظيـم – هـو الحـب والسـند والأمـل بالنسـبة لي، ولا يـزال.

كان صوتـه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وخطواتـه في دارنـا مبعـث السـعادة والأمـن في نفوسـنا، فكنـا نحـرص دومًـا أن يكـون راضيًـا؛ حيـث كانـت ابتسـامته العذبـة لنـا؛ ولي بخاصـة؛ هـي النبراس الـذي يُـضيء الحيـاة.

كان يفهـم حاجتنـا كأطفـال.. يداعبنـا، ويعلِّمنـا، ويوسّـع علينـا، ويقـوّم شـخصياتنا، ويرتحـل معنـا، ويقـص علينـا القصـص والأمثـال العليـا شـحذًا لنفوسـنا وتهذيبًـا. ولا أنسـى أحيانًـا كان يفـسر بعـض آيـات القـرآن لنـا بصـورة تمثيليـة مبهـرة، وكيـف كنـا نتابعـه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بـكل شـغفٍ وتأثُّـرٍ، وهـو مـا بقـي أثـره فينـا حتـى اليـوم.

لا أذكر يومًا أن حرمنا؛ بل كان حريصًا على أن يغدق علينا من معين عطفه، بصورةٍ تصل إلى التذليل، يصاحبها مخافة إفسادنا، مع حرصٍ شديدٍ على العدل بيننا كأبناء.

وعرَّفنا كأطفال وفتية كيف صادف في شبابه في سبيل الدعوة التي آمن بها العنت والمعاناة، وصرنا نتمثل كل ما لاقى، ونزداد قناعة أن المعاناة هي التي تخلق الرجال، وأن التمسُّك بحبل الله تعالى هو السبيل للظفر في الدنيا والآخرة، وأن الأيام دُوَل يقلّبها تعالى بين العباد تذكيرًا ووعيدًا.

علَّمنا قيمة الوالدين وبرَّهما، فكان كلَّما حكى عن والده رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ تفيض أعيننا بالدموع، ونشعر أن الله قد منَّ علينا نحن أيضًا بمنحنا إياه أبًا.

نشَّأنا كأطفال على الخجل من أنفسنا لو صرنا تافهين، فنشَّأنا على لفظ التفاهة ونقد أهلها، فكنا نتعلَّم منه ونستوعب دروسًا كثيرة في كل موقف، ناهلين من مخزون ما منحه الله تعالى له من الحنان والرِّقة والتفهُّم.

كنتُ أفيق في هزيع الليل الأخير من نومي فأراه في غرفة مكتبه ساهرًا منكبًا يكتب ويكدح في تأليف أو ترجمة أو تحضير دراسة حتى الفجر.. كان هكذا طوال حياته عاكفًا متعبدًا في محراب العلم، عليه رحمة الله.

وقد لا أكون مبالغًا إذا قلتُ إني لم أره في حياتي يُخطئ! كان حريصًا على أن يعطي مثلًا أخلاقيًّا في كل تصرُّفٍ وفي كل موقفٍ، وكان يخشى الله مستشعرًا أنه تعالى يراقبه في كل هنّاته، كما كان لا يخشى في الله لومة لائم، مستعينًا به فيما يقدم عليه، محكّمًا الدين.. والدين أولًا، ثم يأتي اعتبار أي مبدأ آخر.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى آسرًا لكل من حوله؛ لما كان من حرصه أن يقدّم دائمًا ما ينفع.

لم أره يكذب قط.. سبحان الله! فكان سرّه كجهره، ونطقه كسريرته، وصارت كل مواقفه يومًا بعد يومٍ، تمثّل علاماتٍ تهدينا وتنير لنا طريقنا.. عليه رضوان الله.

وصرنا نتعلّم في خطبته للجمعة؛ قبل جامع عمرو بن العاص وبعده، وقد كنتُ أذهب معه أسبوعيًّا منذ أوَّل جمعة، كان حريصًا على أن يقدّم للناس في خطبه مادة كاملة، مصرًّا على أداء رسالته في كل الظروف، فكان دائمًا لديه ما يقول وما يبلغ.

كان له رَحِمَهُ ٱللَّهُ رأيٌ في كل أمر، في الأشخاص والمواقف، وكان جادًّا في أن يتعامل مع كل ما هو إيجابي في نفس كل من يعرفه، فينمّيه على حساب ما يراه سلبيًّا فيها، فأحبه الناس. وكان يُقدر أهل العلم، ويرفعهم فوق غيرهم، ثم يتساوى الناس ما دونهم لديه، مهما علت مراكزهم.

كان سمحًا في بيعه وشرائه، يشعر بمسئوليته عمن يعامله، فيخلق معه صلة ودّ والتزام أخلاقي قبل أن يكون تعامُلًا بالمال، سعيًا لأن تتحوَّل المنفعة المتبادلة إلى تجارة مع الله أوَّلًا.

كان عفَّ اللسانِ، نادرًا ما رأيته ثائرًا حتى عندما يقع عليه ظلم، وهو ما كان يصدّره لنا تهوينًا من أمور الدنيا، وانطلاقًا من أن عرَضَها زائلٌ، فما كان يكفي إلَّا أن أنظر في عينيه فأستقرُّ نفسًا، وأهدأ بالًا، ثم أفوز بقبلة بينهما.. رضي الله عنه.

أحببته حتى تمنّيت دائمًا أن أفديه بحياتي، وكنت أخاف عليه من كل ملمّة، صغرت أم كبرت، أدركت عنها أم لم أدرك، أما هو – عليه رحمة الله – فديْدنه أن الله يدافع عن الذين آمنوا، فكان دومًا بشوشًا، هادئ النفس، متوكلًا على الله.

أما حين شاحنه المشاحنون على صفحات الصحف والمجلات، وأغلبهم من عتاة الماركسية والعلمانية، ظلَّ مرابطًا أمام هجماتهم، يذود عن حصن الإسلام بما آتاه الله من قوة وبيان، محتسبًا عند الله كل ما يجابه.

لقد أيقن أن الله ناصر دينه، وأيقن أنه لا يملك إلَّا أن يفعل ما يراه صحيحًا بغاية جهده، مبديًا قوة الحق في إهاب ما منَّ الله به عليه من علمٍ، وعلى الله التوكل وقصْد السبيل.

وسارت أمورنا على هذا النحو.. نشعر بمنَّة الله علينا وفضله بمنحه إيانا أبًا ومربيًّا ومرجعًا ومثلًا وفخرًا، ثم شاء الله تعالى أن أفارقه خلال آخر عقد من حياته لسفري، فأصبحت لا أراه إلَّا من وقت لآخر، إلَّا أنه لم يكن يمر يومٌ دون أن أعلم أخباره، وأسأله الدعاء لي والمسامحة لبعدي عنه لضرورات الحياة، أو لنقل: لحكمة يعلمها الله تعالى، ثم التقيته في العاصمة البريطانية، وكان في زيارة عمل ودعوةٍ فيها، فانتهزتها فرصَة، وسافرت إليه، وكان ذلك في شهر أكتوبر للعام الخامس بعد الألفين، خلال شهر رمضان المبارك، كنتُ قد بلغت الأربعين حين أجلسني، وقرَّأني أمامه الآية الخامسة عشر من سورة الأحقاف: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾.

ثم أتى مرضه الأخير الذي تحمَّله بكل أناة وصبر، لم يغفل لحظة عن أن الله هو الرحيم، وأنه تعالى هو الشافي، وكذا لم يعدم ابتسامته الهادئة، ومجاملته التي كان يغمر بها جميع من حوله، فرزقنا الله بقربه عددًا من الأشهر، سالت فيها دموع كثيرة، وحمدنا الله فيها على نعمائه، في سرّائه وضرّائه.

حتى يوم وفاته، حادثته قبلها بساعات، فسألني من خلال السكرات عن أحفاده، ثم أوصاني بهم، وكان هذا آخر ما قاله لي..

رحمك الله تعالى يا أبتِ الهصور رحمةً واسعةً، وألحقنا بك في روض فضله تعالى وجنان رحمته... آمين.

أستاذنا عبد الصبور شاهين

الأستاذ الدكتور إبراهيم الدسوقي [1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه وسلم، وعلى من اتبع دعوته واستنَّ بسُنته إلى يوم الدين، وبعد..

وسكت صوت **عبد الصبور شاهين** الذي ملأ الدنيا علمًا، ولغةً، وفكرًا، وثقافةً، وأخلاقًا، في منابر عدة في الجامعة، وقاعات الدرس، في البرامج التليفزيونية، ووسائل الإعلام المسموعة والمقروءة، **عبد الصبور شاهين** على شاشة التليفزيون يقدّم برنامجه «ندوة العلماء»، أجلس وأستمع باهتمام وفخر - محدِّثًا أفراد أسرتي - هذا الذي ترون الآن أجلس إليه في المحاضرة وقاعة الدرس، وكنت كمن يملك كنزًا يتباهى به - عن حقٍّ - بين أهله، وأقرانه ومتحدثيه.

عبد الصبور شاهين الذين تلقفني حينما عُيِّنت معيدًا بقسم «علم اللغة والدراسات السامية والشرقية»، وذهبت غارقًا في خجلي لأسلِّم عليه، وأسلمه نفسي، فيُجري معي حوارًا ينتشلني فيه من عرق الخجل الذي غمرني، ثم يأخذ بيدي في ممر الكلية القديمة بحي «المنيرة»، ويقدِّمني لكل من يقابله قائلًا - على سبيل المجاملة الرقيقة من أب يأخذ بيد ابنه المرتبك: أفصح من سمعت ينطق باللغة العربية، ولا زال في أذني رنين تلك الكلمات، وفي مخيلتي ملامح وجهه المشرقة الناضرة التي أسأل الله أن تكون الآن إلى ربها ناظرة، وتكون ضاحكة مستبشرة.

عبد الصبور شاهين الذي عاد من إحدى سفريَّاته، فوجدني حائرًا في

(١) الأستاذ بقسم علم اللغة - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة .وقد ألقيت هذه الكلمة في حفل التأبين .

البحث عن موضوع للدكتوراه، فاقترح - رحمة الله عليه - عليَّ أن أدرس «جهود البلاغيين العرب في مجالي الأصوات والدلالة».

فكان فتحًا جديدًا عليَّ، تعرّفت على فكر قدمائنا، ومدى وثاقة الصلة بين علم البلاغة، وعلمي الأصوات والدلالة؛ مما رسَّخ في تلك المقولة التي قرأتها لأحد الصوفية «العلم ثلاثة أشبار، إذا أدركت الشبر الأوَّل انتابك إحساس عارم بأنك عالم، وإذا أدركت الشبر الثاني انتابك الشك في حقيقة علمك ؛ حتى إذا أدركت الشبر الثالث انتابك اليقين في حقيقة جهلك، وما زلت متيقنًا من حقيقة جهلي حتى يومنا هذا.

عبد الصبور شاهين الذي زرع فينا الثقة بالنفس، والإحساس بأن لدينا القدرة على عمل شيء، فطلب مني أن أشاركه في مشروع تقريب كتاب التراث الذي يهدف إلى تقديم كتب التراث لعامة القراء سهلة، فإذا ما وجدوا فيها مَن يفيدهم، لجأوا إلى الكتب الأم، واستزادوا منها، فأشركني وأنا بعد حديث عهد بالماجستير، فقدمت كتاب «معاني القرآن» للفراء، لأزيد به معرفة باللغة، وأسرارها.

عبد الصبور شاهين الذي كان ديدنه أن يشيع الوئام والوفاق في أي وسط يعيش فيه، في القسم أو في الكلية أو في الجامعة، يحاول دائمًا أن يأخذ بيد المحيطين به، ويجعلهم ملائكة تسمو نفوسهم عن سفاسف الأمور، فارتقى من ارتقى، وظل على حاله من ظل فصاح صيحته: «ألا هل بلغت، اللهم فاشهد»، ودعا دعاء الرسول الكريم ﷺ «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون».

وطارت روحه لتلقى ربها راضية بما صنعت، مرضيةً بما أعدَّ الله لها من نعيم، لا نزكي عليك يا رب الأرباب أحدًا، وإنا لنحسبه من الأبرار الصالحين، فتقله قبولًا حسنًا، واغفر له، وارحمه، واجعل دعاء طلابه ومحبيه في ميزان حسناته، واجعل عِلْمه الغزير - الذي ترك - شفيعًا له عندك، واغمره برحمتك وعفوك، يا رحمن يا عفو . آمين آمين.

لا أقول إلَّا جزاك الله خيرًا

الأستاذ أحمد عبد العظيم علي[1]

خطبت اليوم خطبة من ينادى بصوت الحق مرفوع الجبين

فيا**عبد الصبور** لقد أجدّت وأحسنت الخطاب ألا ودينى

***

فأحسستُ السكينة بارتياح وأرجو أن أقوم بما يقينى

من النيران والحطب العظيم فنسعد بالجنان وحور عين

(١) الجمعة ٨ صفر سنة ١٤١٢هـ.

عبد الصبور شاهين

الأستاذ أحمد رائف [1]

عبد الصبور شاهين من الشموس المضيئة في سماء الثقافة الإسلامية، عرفته أيام الشباب عندما أحدث في عقولنا صرخة ثقافية استوعبناها بصعوبة؛ بتقديمه مؤلَّفات مالك بن نبى، بعد أن أزال طلاسمها الفرنسية، فظهرت لنا في ثوب عربى قشيب، مما جعلنا ننظر إلى الأمانى الإسلامية بطريقة جديدة.

وعبد الصبور شاهين ثاقب النظرة، مجتهد في جرأة، وهو سابق لغيره، لا يقدّم إلَّا الحق والصواب، وإن خالفه كثير، وهم يلحقون به بعد زمن عندما يستوعبون ما رآه، وهو لا يتجاوز النصوص؛ بل يلتزم بها، ورائده النقل يراه بعقل العالم المتمكن من اللغة والفقه والتفسير والتاريخ، وهوالملتزم بالإسلام الذي وهبه حياته في الدعوة إليه، ولا يعرف قدره إلَّا العلماء وأهل الفكر والثقافة.

(١) صاحب الزهراء للإعلام العربى ٢٠٠٠م.

رب الكلِم والقلم

الأستاذ السيد عبد الحليم [1]

ترى من يكون الذي يحمل هذا اللقب..؟ كأني بكم إذ تطالعونه الآن- تتساءلون ومن يكون صاحب هذا اللقب..؟؟

أجل سنعلم اللحظة من هذا الرجل؟

انظروه جيدًا.. تعلموه.. ادرسوه.. ذاكروه..

هل رأيتم جلال شبابه؟! هل رأيتم نضرة إهابه؟! هل خبرتم علمه؟! هل عرفتم حلمه؟! هل لامستم حدبه؟! هل قرأتم أدبه؟!

هل نظرتم فكره؟!

تأملوه وانظروا جوده الذي لا يخاف الفقر..تأملوه وانظروا علمه الذي لا حد له.. تأملوه وانظروا شجاعته التي لا تعرف الخوف..

سعداء إذن أولئك الذين يقبلون عليه، ويصغون إليه.. ألا تعالوا نقترب منه يا أولى الألباب..

إنه رجل في قلبه إيمان يفيض عليه أمنا وأمانا، وهدى ونورا، وعلى لسانه كلمات يدعوبها إلى العدل والإحسان والخير والمعروف.

---

(١) 2010م

رجل عكف على نفسه حتى صقلها وزكاها فانعكس عليها من الحكمة، والصواب، والخير، ما جعل منه معلمًا عظيمًا، وحكيمًا قويمًا، وأستاذًا عليمًا.

رجل كان بين الناس عالمًا، وبين العلماء علمًا وأستاذًا، وبين الأساتذة مثالًا، كانت الحكمة تفيض من بين جوانبه، وتنطق من نواحيه.

هل رأيتموه فوق منبر جامع عمرو بن العاص، وهو يصدع بالأمر ويصدح بالحق؛ لا يخاف في الله لومة لائم، وفيض من الله يتنزل عليه ثجاجًا؟

لقد عرفته من أكثر الناس برًّا بتلاميذه، فكان لا يدع أحدا منهم عائلًا إلَّا كفاه مؤونته وعياله، كان يزوج أياماهم، ويخدم عائلهم، ويقضى دين غارمهم..

هل رأيتموه وقد آن لشمس الحياة أن تغيب..؟ وهبت رياح الجنة فملأت نفسه شوقًا، ومآقينا دموعًا، فإذا روحه فارقت جسده ودنياه إلى الملأ الأعلى، مع ثلة من الأبرار إن شاء الله الغفار.

سلام عليك ثم سلام عليك رهوان العلماء، وسلام عليك نصير الضعفاء، وسلام عليك ضمير الفقراء، وسلام عليك شبيه الأنبياء...

إنه **عبد الصبور شاهين** يرحمه الله.

أبو زيد وأبى آدم أشهر معاركه

الأستاذ أمانى ماجد [1]

من نفس المسجد الذي طالما وقف على منبره خطيبًا وواعظًا، مفكرًا وعالمًا، من مسجد عمرو بن العاص، خرج جثمان الراحل الكبير **الدكتور عبد الصبور شاهين** أمس، عقب صلاة الظهر؛ ليشيعه إلى مثواه المئات من تلاميذه ومحبيه.

الراحل خاض العديد من المعارك والسِّجالات الفكرية، ربما كان **أشهرها** واقعة نصر حامد أبو زيد - رحمه الله... **والراحل** له نحو سبعين كتابًا كان آخرها كتابٌ أراد من خلاله وأد الفتن التي تثار بين السنة والشيعة من آن لآخر؛ ليصدر كتاب: السَّنة «السُّنة والشيعة أمة واحدة»... رحم الله العالم الجليل **الدكتور عبد الصبور شاهين**.

(١) الأهرام ٢٨ سبتمبر ٢٠١٠م.

عبد الصبور شاهين.. العالم والمفكِّر والدَّاعية

الدكتور المعتزُّ بالله السَّعيد [1]

تقديم:

كانت حياة **الدكتور عبد الصبور شاهين** رحلةً علميةً حافلةً بالعطاء والإبداع وتربية أجيالٍ من الباحثين والمفكرين، خاض خلالها العديدَ من المعارك الفكريّة في ميادين شتَّى مُدافِعًا عن اللُّغة العربية والهُويّة الإسلامية، وأثرى المكتبةَ العربيةَ بعشرات المؤلَّفات والتصانيف والكتب المترجمة، مُلتزِمًا بمبادئه ومُستضيئًا بمنهجه العلمي الذي كَوَّنَه.

وُلِدَ **الدكتور عبد الصبور شاهين** في ١٨ مارس عام ١٩٢٩م في حي الإمام الشافعي بالقاهرة، وأتمَّ حفظَ القرآن الكريم في أحد الكتاتيب قبل أن يبلغَ السابعة من عمره. ولمَّا أنهى دراسته الابتدائية الإلزامية التحق للدراسة بالأزهر الشريف، ومنه إلى دار العلوم التي تخرَّج فيها بتفوُّق عام ١٩٥٦م، وأكملَ دراسته بالحصول على دبلوم التربية في عام ١٩٥٧م، والماجستير عامَ ١٩٦٢م، ثم الدكتور في علم اللغة عام ١٩٦٥م.

حرص رَحِمَهُ ٱللَّهُ على التحصيل العلمي مُبكِّرًا، وعُرِف عنه اجتهادُه وسعيُّه إلى تنمية مهاراته والقراءة في علوم العربية وآدابها، بالإضافة إلى شغفه باللغة الفرنسية، فالتحق في سني عمره الأولى بأحد المعاهد المتخصِّصة لدراسة اللغة

(١) أستاذ بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

الفرنسية؛ حتى برع فيها، ثم دفعته رغبته في التعرُّف على الفكر الفرنسي إلى الالتحاق بكلية الحقوق في جامعة القاهرة – مستمتعًا حُرًّا – ليفيد من المحاضرات التي يلقيها الأساتذة في القانون المدني والدستوري والاقتصاد السياسي والقانون الروماني وتاريخ القانون.

ومع هذا الحرص والرغبة في التعلُّم فقد تعطَّلت المسيرة العلمية لأستاذنا الراحل أثناء دراسته في دار العلوم نتيجةَ انتمائه لجماعة الإخوان المسلمين وسعيه إلى ممارسة نشاطٍ تنويري؛ حيث اعتُقل في هذه الآونة، الأمر الذي أدَّى إلى تخلُّفه عن زملائه عامًا كاملًا.

في بداية الطريق:

لمَّا تخرَّج **الدكتور عبد الصبور شاهين** في دار العلوم سعى إلى الحصول على وظيفة مُناسبة، وساعدَه تفوُّقُه ونبوغُه في اجتياز الوظائف التي تقدَّم إليها بجدارة؛ سواء في السلك الدبلوماسي أم الإذاعة المصرية أم التدريس، إلَّا أن نشاطه السياسي الذي مارَسه في أثناء دراسته في المرحلة الجامعية أوقعه في العديد من المشكلات بعد تخرُّجه، فرُفِضَ تعيينُه في أيٍّ من هذه الوظائف.

وكان **أستاذُنا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحكي عن ذلك، **فيقول**: إنه في أثناء بحثه عن عملٍ بعد تخرُّجه قرأ إعلانًا للإذاعة المصرية تطلبُ فيها مُذيعين ومحرِّرين، وتقدَّم للامتحان مع ما يزيد عن ثلاثمائة متقدِّمٍ، واستطاع أن يتقدَّمهم جميعًا؛ ليكون الأوَّل بينهم، بعدما أثبتَ براعته في المحادثة والارتجال بالعربية والفرنسية على السواء.

وفوجئَ الشابُّ النابهُ آنذاك بجهات سيادية تستدعيه لتخبره أنه ممنوعٌ من العمل في مصر، وتُلزمه بعدم السعي إلى ذلك. وحينها فكَّر أن يتجه إلى العمل

الحـرِّ مسـتفيدًا مـن إجادتـه للغـة الفرنسـية وقُدرتـه عـلى الترجمـة منهـا إلى العربيـة. ومصادفـةً عـرف أن زائـرًا مغربيًّـا يسـأل عنـه، ويسـأله عـن مـدى اسـتعداده لترجمـة كتـاب «الظاهـرة القرآنيـة» للمفكـر الجزائـري مالك بـن نبـي مـن الفرنسـية إلى العربيـة.

كان هـذا الزائـر طالبًـا يـدرسُ بالقاهـرة، هـو الأسـتاذ **عبـد السـلام الهـرَّاس** – الـذي صـارَ أحـدَ أعـلام الأدب واللغـة فيـما بعـد، ويتذكَّـر **عبـد الصبـور شـاهين** ذلـك الموقـف، **فيقـول**: إنـه شـعرَ أن الله قـد أرسـلَ إليـه هـذا الزائـرَ؛ ليفتـح لـه بـه بابًـا إلى الخـير الـذي يطمـحُ إليـه.

وعكـف **عبـد الصبـور شـاهين** خـلال هـذه الفـترة عـلى ترجمـة وتعريـب العديـد مـن الكتـب والمؤلَّفـات في الحضـارة والفكـر الإنسـاني إلى أن أُتيحـت لـه فرصـةٌ للعمـل في التدريـس، ثـم رشَّـحته كليـة دار العلـوم للعمـل معيـدًا بهـا؛ حيـث كان ترتيبـه الثاني في دفعتـه بعـد صديقـه وزميـل رحلتـه العـالم اللغـوي الراحـل **رمضـان عبـد التـواب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الـذي سـافر حينهـا في بعثـةٍ إلى ألمانيـا للحصـول عـلى درجـة الدكتـوراه، واجتـاز أسـتاذنا الراحـل عقبـة الجهـات الأمنيـة بعدمـا تدخَّـل الشـيخ **أحمـد حسـن الباقـوري** الـذي كان وزيـرًا للأوقـاف – ليدعـم موقفـه ويـصر عـلى تعيينـه في دار العلـوم؛ ليبـدأ مرحلـةً جديـدةً مـن العمـل الأكاديمـي.

مالك بن نبيّ.. ومشروعٌ نهضويٌّ:

تعـرَّف **عبـد الصبـور شـاهين** عـلى أفـكار **مالـك بـن نبـي**، وكان اللقـاء الأوَّل بـين شـاهين ومالـك عـام ١٩٧٥م، وسرعـان مـا توطَّـدت العلاقـة بينهـما. وكان **مالـك** قـد انتقـل لاجئًـا سياسـيًّا للإقامـة في مـصر قادمًـا مـن فرنسـا بعـد

إعلان الثورة المسلحة في الجزائر عام ١٩٥٤م؛ إذ كان يشعُرُ أن الحكومة الفرنسية توشك أن تُلقي القبض عليه.

كان **أستاذنا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُعجبًا **بفكر مالك بن نبي وبمشروعه النهضوي**، وتحمَّس لترجمة مؤلَّفاتِه رغبةً في نقل فكرِه، وتعريف العرب به، وصارت ترجمةُ مؤلَّفات **مالك** مشروعًا طموحًا **لشاهين**، وبقدر ما عُرِف **مالكُ بن نبيّ** مفكِّرًا ومنظِّرًا وفيلسوفًا.. بقدر ما عُرِف **عبد الصبور شاهين** مُترجمًا ذا رؤية ووعي لأهمِّ ما كَتَبَ **مالك**، فلم يعد أحدٌ يعرف **مالك بن نبي** إلَّا ويعرف معه أوَّل مترجمٍ لأعماله.. **عبد الصبور شاهين**.

وَصَفَ **أستاذنا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **مشروع مالك** بأنه: **مشروعٌ عقلاني ومنطقي**، يصلح درسًا في مسالك النهضة الحضارية ودُرُوبها؛ لكن في هذا المشروع – كما كان يرى أستاذنا نُقطة ضعف، هي أن مالكًا لم يكن يُمثّل قيادةً فكريةً جماهيرية؛ بل كان منحصِرًا في ذاته. وتبلورت فكرةُ هذا المشروع في عديد من الكتب التي ترجمها **أستاذنا الراحل؛ لعلَّ أبرزها**:

- شروط النهضة (بمشاركة الأستاذ عُمر كامل مسقاري).
- فكرة الإفريقية الآسيوية.
- وجهة العالَم الإسلامي.
- ميلاد مجتمع: شبكة العلاقات الاجتماعية.
- فكرة كومنولث إسلامي.

وقد ترجمت جميعُ هذه الكتب في الفترة من عام ١٩٥٧م إلى عام ١٩٦٣م، وهو العام الذي عاد فيه **مالك بن نبي** إلى بلده الجزائر بعد استقلالها.

العالم اللغوي:

درسَ **الدكتور عبد الصبور شاهين** علوم العربية وآدابها والعلوم الإسلامية في الأزهر الشريف، ثم أكمل دراستَه في دار العلوم على أيدي أساتذة وعلماء أجلَّاء، وانتقل من مرحلة الطلبِ إلى مرحلة البحث بعدما عُيِّن معيدًا في دار العلوم عام ١٩٥٨م؛ حيث بدأت علاقته بالبحث في علوم اللغة بحكم عمله الأكاديمي، وكان **شاهين** مؤمنًا بأن القرآن الكريم هو الأداة الأساسية للبحث والتنظير في علوم اللغة العربية وأصواتها.

تتلمَّذ **شاهين** على يد **رائد الدراسات اللغوية الحديثة في العالَم العربي** الدكتور **إبراهيم أنيس** (١٩٠٦-١٩٧٧م)، فنهل من علمه في المرحلة الجامعية، وتوطَّدت العلاقة بينهما - أستاذًا وتلميذًا - في مرحلة الدراسات العليا؛ إذ أشرفَ **الدكتور أنيس** على تلميذه في أطروحَتَيه للماجستير والدكتوراه.

وأولى **شاهين** عناية خاصة **بعلم الأصوات** باعتباره أحد علوم اللغة، دفعه إلى ذلك حبُّه للقرآن الكريم، ورغبة في دراسة أصواته وفق منهج علمي له قواعدُه وضوابطه وأصوله. ومضى **شاهين** في بحثه ودراسته مستعينًا بتوجيه أستاذه الذي كان عالمًا بالأصوات العربية، فأعدَّ **أطروحته للماجستير** بعنوان «**الأصوات في قراءة أبي عمرو بن العلاء**»، ثم أعدَّ **أطروحته للدكتوراه** بعنوان «**دراسة صوتية في القراءات الشاذة**».

لم تتوقَّف عناية **شاهين** بالدرس الصوتي عند أطروحتيه اللَّتين تناولتا توصِيفًا وتحليلًا صوتيًّا لقراءات القرآن الكريم؛ بل امتدت لتشملَ العديدَ من الدراسات والترجمات والكتب المحقَّقة، **فكان من دراساته**: «المنهج الصوتي للبنية العربية: رؤية جديدة في الصرف العربي.

ومن ترجماته:

«علم الأصوات لبرتيل مالمبرج»: (وقد اهتم أستاذنا الراحل بتعريب مادة هذا الكتاب، كما ألحق به مجموعة من الدراسات الصوتية الفريدة).

ومن الكتب التي أَلَّفها في علوم اللغة وقضايا العربية:

- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي لأبي عمرو بن العلاء.
- العربية الفُصحى.
- في علم اللغة العام.
- في التطور اللغوي.
- في العربية والقرآن.
- العربية.. لغة العلوم والتقنية.
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث.

كما انشغل **شاهين** بقضية **تدريس اللغة العربية والتحديات التي تواجهها في العصر الحديث** نتيجة محاولات التغريب وطمس الهوية العربية، فكتب العديد من المؤلَّفات في هذا الجانب، **منها:**

- التحديات التي تُواجه اللغة العربية.
- قضية التدريس باللغة العربية في المعاهد العِلمية.
- النهوض باللغة العربية في مختلف المراحل التعلمية.

وعن **عمله في صناعة المعجم**.. فقد التزم بمناهج الصناعة المعجمية الحديثة، وآمن بأهمية استخدام التقنيات الحديثة في بناء المعجمات، ويتضح ذلك في العديد من تصنيفاته التي أنجزها منفرِدًا أو بمشاركة أساتذة آخرين. **وكان منها**:

- مفصَّل آيات القرآن الكريم.. ترتيب معجمي.
- دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكمبيوتر (بالاشتراك).

أما عن **علاقته بتلاميذه** فقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبًا ومعلِّمًا ومربِّيًا، يدعوهم إلى بيته العامر، ويزوِّدُهم بما تحويه مكتبتُه الزاخرة بكل نفيس وجليل، ويحثهم على التعلُّم والطلب والاجتهاد في التحصيل والبحث، مؤمنًا بأن العلمَ رَحِمٌ بين أهله، ويشهدُ تلاميذُه وزُملاؤه أنه كان ممن يصل هذا الرحم. وقد أشرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على العشرات من الأطروحات العلميَّة في الجامعات العربية، فصارَ ينشدُه طلابُ العلم في كُلِّ بقاع الأرض.

المفكِّر الإنسانيّ:

آمن **شاهين** بأهمية إعمال العقل والمنطق في الوصول إلى الحُجج والبراهين التي يُستدلُّ بها على الحقائق؛ ودفعه إيمانه إلى العمل على بناء منهجٍ موضوعي في التفكير العلمي، أداته النقل، ووسيلة فهمه العقل، وحقَّق **شاهين** غايته؛ إذ اتضحت أفكاره وتبلورت آراؤه من خلال مؤلَّفات ودراسات في مختلف ميادين الفكر الإنساني.

وتتجلَّى عبقريةُ **شاهين** في تحليل النصوص وفهمها وفقَ منهجيةٍ علميةٍ وموضوعيةٍ من خلال **مؤلَّفه الأشهر «أبي آدم»** الذي أحدث ثورةً وقتَ صدوره،

وأثار جدلًا كبيرًا لا تزال أصداؤه مستمرة حتى يومنا هذا. وقد لخَّص فكرته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أن «الإنسان الذي كرَّمه الله عَزَّوَجَلَّ وأمر ملائكته بالسجود له هو امتداد لمخلوق واحدٍ قبله هو البشر، وليس كما يقول داروين.. حلقةً في سلسلة تطوُّر القِردَة»[1].

ويُدلِّلُ **أستاذنا** على فكرته بأنَّ «الله تبارك وتعالى خلق البشر من طين، ثم سوَّاه وصوَّره، ونفخ فيه من روحه، فكانَ الإنسانُ هو الثمرة مكتملة الملكات في آخر المطاف؛ وعليه.. فوجود البشر إنما كان بمثابة المراحل التحضيرية لظهور ذلك المخلوق الذي قضى على الأرض ملايين السنين بين عوامل التسوية وتحصيل خواص الجمال والكمال بروحٍ من الله الذي قدَّر له أن يكون سيد الكون؛ حتى صار جديرًا بحمل أمانة الله على هذه الأرض». وفي رأيه أن الإنسانَ «أشرق من سلالة البشر، واكتمل الخلقُ فجاء آدمُ، وليس غريبًا أن نتصوَّر أن آدم جاء مولودًا لأبوين، وكذلك جاءت زوجته»[2].

واعتمد **شاهين** في عرض قضة الخليقة «على استنطاق آيات القرآن باعتبارِها المصدرَ الأوَّل والأوثقَ الذي ينبغي اعتماده في هذا المجال، كما اعتمدَ على بعض الحديث النبوي الشريف؛ حرصًا على فهم المعنى القرآني وإجلاء غموضه ومبهمه»[3]. والتزم **شاهين** بإقرار أربعة مبادئ أساسية، **هي**: «**الأرضية**» إذ على الأرض عاش ومات آدم، و«**الترابية**»؛ حيث خلق الله الخلق من التراب، و«**البشرية**» وهي حقيقة بدأ بها وجود الإنسان، و«**الربانية**» بما ميَّز الله به الإنسان من النفخ فيه من روحه.

---

(١) نقلاً عن حوارٍ أجرته جريدة الدستور مع **الدكتور عبد الصبور شاهين** في عددها الصادر بتاريخ ٣ يناير ٢٠١٠م، بتصرف.

(٢) السَّابق بتصرف.

(٣) **شاهين (عبد الصبور)**: أبي آدم، دار الاعتصام، ١٩٩٨م، ص١٢، بتصرف.

كَتَبَ **شاهينُ** مؤلَّفه على مدى خمس وعشرين سنة، «قضاها محاولًا فهمَ النصوص التي جاءت في القرآن الكريم باعتبارها نصوصًا قطعيّة تروي وقائع قصة الخلق التي صارت تُمثِّلُ أمام العقل الحديث مُشكلة نتيجة التصادُم بين معطيات القصة القديمة ومعطيات العصر الحديث»، فراعَى – بذلك – قداسة النصوص المنزَّلة، وأقرَّ بما هو معلوم من الدين بالضرورة؛ وكان الهدفُ من هذا الكتاب التوفيق بين التصوير القرآني والاتجاه العِلمي في تصوير الحياة البشرية على هذه الأرض[1].

وبصرف النظر عن اتفاقنا أو اختلافنا مع أستاذنا الراحل.. فقد أعطى صورةً مثاليَّةً للباحث الجاد الذي يلتزمُ منهجًا علميًّا واضح المعالم، دون خوضٍ في أدلَّةٍ ثابتةٍ أو تحيُّزٍ لفكرةٍ دون سواها. وأحدثَ الكتابُ – وقت صدوره – زوبعةً لمَّا تهدأ، فكان من رودُ الفعل أن أقيمت أربع دعاوٍ قضائية ضد الكتاب ومؤلِّفه، لم يصدُر في أي منها حكمٍ بإدانة الكاتب أو محتوى الكتاب.

نصر أبو زيد.. وحقيقة التكفير:

كانت المعركة الأشدُّ شراسةً في حياة أستاذنا الراحل معركتَه مع مُتهميه بتكفير الأكاديمي الراحل **نصر أبو زيد** الذي هاجر إلى هولندا بعد صدور حكم قضائي في قضية «الحسبة» يقضي بالتفريق بينه وبين زوجته.

ولسنا بصدد **تفصيل وقائع القضية المشهورة**؛ بل يكفينا أن **نعرِضَ دفاعَ أستاذنا عن نفسه** في هذه القضية التي أثارت الرأيَ العامَ وفرَّقت عُلماء مصر ومفكريها بين مؤيد **لشاهين** ومعارض له، حتى إن كثيرًا من وسائل الإعلام قد انبرَت للهجوم عليه تحقيقًا لأهداف غير مُعلنة، وترويجًا لمتعقدات وأفكارٍ تتبنَّاها الماركسية والشيوعية.

(١) جريدة الدستور في عددها الصادر بتاريخ ٣ يناير ٢٠١٠ م، بتصرف.

وكانت المشكلة حين تقدَّم الدكتور **نصر أبو زيد** إلى لجنة ترقية الأساتذة في جامعة القاهرة؛ حيث كان **شاهين** أحد أعضاء اللجنة العلمية التي أقرَّت بأن الإنتاج العلمي المقدَّم يحتاج إلى إعادة نظرٍ، وأنه لا يرقى إلى درجة الأستاذية في اللغة العربية، الأمر الذي عارضه أنصار الدكتور نصر أبو زيد داخل الجامعة وخارجها، في واقعةٍ فريدةٍ، تعدُّ الأولى من نوعها في تاريخ الجامعات المصرية؛ إذ انطلقت مظاهراتٌ إعلاميةٌ صاخبةٌ تتهم اللجنة العلمية – وعلى رأسها **الدكتور عبد الصبور شاهين** – بإعاقة حرية الفكر والبحث في جامعة القاهرة، التي تُعدُّ كبرى الجامعات المصرية.

وقد دافع **أستاذنا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عمل أعضاء اللجنة العلمية؛ لأنهم – من وجعة نظره – يقيِّمون الأبحاث بنزاهة المحكم وضمير القاضي، دون اعتبارٍ للرغبات والأهواء، ودون تعرُّض لعقيدة الباحث أو دينه؛ إذ أمر ذلك إلى الله؛ فهم يفحصُون بحثًا لا باحثًا، وهدفهم تحقيق العدالة ووصول الحقِّ إلى مستحقِّيه[1].

ومع أن **الدكتور نصر أبو زيد** قد دعا إلى ثورة مباشرة على سلطة نصوص القرآن الكريم معتبرًا إياه منتجًا ثقافيًّا ينتمي إلى ثقافة البشر، ومع أنه وصف العقلَ المؤمن بالغيب بأنه عقل مغيَّب بالخرافات والأساطير، إلَّا أن أستاذنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ نفى أن يكون قال بتكفيره قبل وفاته، كما نفى أن يكون قد سعى إلى ذلك، مؤكِّدًا أنه لا يمكن أن يورط نفسه في هذا الاتهام عملًا بقول النبي ﷺ: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»، وذَكَرَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن تقييمه لأعمال الدكتور نصر أبو زيد لم يخرُجْ عن كونه تقييمًا علميًّا وموضوعيًّا، دون نظرٍ إلى اعتبارات أخرى.

---

(١) السابق، بتصرف.

الداعية الإسلامي:

كان **الدكتور عبد الصبور شاهين** داعيةً إسلاميًّا ذا فكرٍ منهجيٍّ ورؤيةٍ تنويريةٍ واضحةٍ؛ وقد اعتلى منابرَ الدعوة في المساجد حين بلغَ الرابعة عشرة من عمره، وعلى حداثة سنِّه – في ذلك الوقت – إلَّا أنه كان خطيبًا مُفوَّهًا وفصيحًا، يُجيد الارتجالَ بالعربية الفُصحى البسيطة، فينتقي ألفاظَه، ويعكسُ فكرَه، وينقل رؤيتَه.

وقد انفرد **شاهين** بمنهجٍ دعويٍّ يجمع – من خلاله – بين نصوص القُرآن والسُّنة والأدلة الشرعية التي أقرَّها علماء الأصول، وبين قضايا مجتمعه ومشكلاته المعاصرة، متخِذًا من النصوص حُجَّة ودليلًا، ومن فقه الواقع وسيلةً يصل بها إلى قلوب مستمِعيه ورُوَّاد منبره قبل أن يصلَ إلى آذانهم وعقولهم؛ حتى قصدوه رغبةً في الاستماع والإدراك والفهم، والتماسًا إلى طريق الخير والهدى والرشاد.

وكان منبر **مسجد عمرو بن العاص** بالقاهرة شاهدًا على هذا، فقد تصدَّى **شاهين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ للخطابة في هذا المسجد، الذي يُعَدُّ أقدمَ مساجد مصر، كما يُعَدُّ منبرُه أحد أشهر المنابر الدعوية، ولعل الكثيرين من روَّاد مسجد عمرو بن العاص يعرفون ما كانت تُحدِثه الخطبة الأسبوعية للداعية الكبير من ضجة وجدل؛ نتيجة **مواقف شاهين الثابتة وآرائه الحرة الجريئة**، التي يستمدها من القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة، فكان يصدح بالحق؛ حتى شَهِدَ له القاصي والداني، أنه رَجلٌ صاحبُ موقفٍ، لا يخشى في الله لومة لائمٍ. هكذا كان **شاهين**.. حتى دفع ثمنَ مواقفه، فاستُبعد عن الخطابة لسنوات.

واتخذ **شاهين** من قلمه منبرًا آخر، يدعو من خلاله إلى الله بالحسنى وفق منهجٍ وسطيٍّ يوجِّهه فكرٌ مستنير، فخلَّف عشرات الكتب في ميادين الدعوة الإسلامية، **منها**:

- علِّموا أولادكم القضية.
- دستور الأخلاق في القرآن (مترجم عن د. عبد الله دراز).
- تأملات مِنبريَّة في ضياء القرآن.
- الإعلام في خدمة الدعوة الإسلامية.
- ماذا أعدَّت مصر لنفسها بعد أكثر من زلزال.
- الإسلام دين السلام: رسالة إلى الضمير الإنساني.

وبعد حياة علمية قضاها **الدكتور عبد الصبور شاهين** طالبًا.. فمُعلِّمًا.. فعالِمًا.. رحَل عن دُنيانا مساءَ يوم الأحد الموافق ٢٦ سبتمبر ٢٠١٠م، إلَّا أنه رحل حيًّا إذ ترك خلفَه علمًا غزيرًا تزخرُ به المكتبات العربيَّة، وجيلًا من الباحثين والمفكِّرين والدعاة ينشرون علمَه وفكرَه ودعوَتَه، إلى **روح أستاذي عبد الصبور شاهين**.. العالِمِ والمفكِّر والداعية.. أهدي هذه المقالةَ، سائلًا الله أن يتغمَّده بواسع رحمته.

رونق الأيام

الأستاذ الشاعر السورى/ بهاء الدين الأميرى

١٩٨٥ م

أبطــأ والأعــين عليــه تــدور تبحــث عنــه في مجــالي البــدور

مــا رونــق الأيــام مــن غــير نــور والنــور والرونــق **عبــد الصبور**

ورَحَلَ خليلُ العصر وأستاذُ الجيل

الدكتور جمال عبد العزيز أحمد (١)

رحل عالِمنا وأستاذُنا، وبقية السلف الصالح، رحل **الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فزلزل رحيلُه النفوسَ، وأتعب فراقه القلوبَ، وأبكى موتُه الأفئدة، لله أنت **يا علَّامة العصر، وخليل الفكر، وسيبويه اللسان**، عهدناك فارسًا رئبالًا، حتْفَ الكلمة الشَّرُود، يا مَنْ أسعدْتَ المنابر، وأتحفتَ المجالس، بفيض علمك، وواسع فكرك، وبُعْد نظَرِك، كم شنَّفْتَ الآذانَ في الندوات، والمؤتمرات، والمحاضرات، واللقاءات، وعلى المنابر، وخصوصًا منبرَ «جامع عمرو بن العاص»، وكنا نستمع إليك تهزُّ المنابرَ هزًّا، وتتقاطر الفصاحة من بين ثناياك، ويأتيك اللفظ رقراقًا يتباهى على فمك، ويبسم على محيَّاك، وأنت تصوغ العبارة بكل لونٍ.

يا حسرتنا على رحيلك أيها **الأسد الهصور، والغضنفر** الذي عبَّد طريق اللغة، وأنهج سُبُلَها، فصارت متنًا سهلًا ذلولًا، يا مَنْ رَبَتْ مؤلَّفاته على السبعين، وجاءت في مختلف المجالات والفنون، فإذا رميْتَ بطرفك إلى الدراسات القرآنية وجدته متفرِّدًا، وإذا يمَّمت وجهك تجاه القراءات القرآنية ألفيته رائدًا، فإذا نظرت إلى الدفاع عن القرآن والسُّنة وجدته على القمة متوسِّدًا، وإذا رُمْتَ فصيحًا لَسِنًا وجدته للسانة منجدًا، والسيد الماجد، وللفصاحة وقمم البيان قائدًا، وكُتُبُه أمامه تراها عن اقتداره منبئةً، ودليلًا، وشاهدًا، **فمِن كُتُبِه**: «العربية لغة العلوم والتقنية»، و«مفصل آيات القرآن» في عشرة مجلدات، ومجموعة «نساء وراء

(١) أستاذ النحو والصرف والعروض – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

الأحداث»، وهو عشرة كتب كذلك، و«دستور الأخلاق في القرآن»، و«تاريخ القرآن»، وشارك زَوْجَه المَصُون في التأليف؛ إذ أخرجا معًا موسوعة «أمهات المؤمنين»، و«صحابيات حول الرسول» وهو في مجلدين، وله العديد من الأسفار المترجمة، والأحاديث المتلفزة، وإذاعة القرآن الكريم خير شاهد على جهوده؛ حيث كنا ننتظر حديثه الذي يطوِّف فيه في البلاغة، والإعجاز، وبيان الحق من أقرب طريق، وأوضحه، وأفصحه.

وكان منذ سلوكه طريق العلم قد وَقَفَ أنفاسَه على خدمة كتاب الله، وليس أدلَّ على ذلك من رسالته للدكتوراه التي حصل عليها في موضوع «القراءات الشاذة في القرآن الكريم» حتى وصل إلى درجة الأستاذية، عن جدارة واحتراف، ويُعدُّ راحلنا المفدَّى، ووالدُنا الكبير من أشهر الدعاة والمفكرين بمصر والعالم الإسلامي، وكانت خطبته الأسبوعية الشهيرة التي كنا نستمع إليها بكُلِّنا وبكامل ذواتنا – بمسجد عمرو بن العاص أكبر مساجد مصر وأقدمها – كانت خير زادٍ لنا على خوض طريق الحياة عن بصيرةٍ وفهمٍ.

كان **الدكتور شاهين** قمةً لا تُسامَى من قمم الفكر الإسلامي والإنساني، وله مواقف لا تُنسَى، وله بصماته العلمية والفكرية على الساحتين المصرية والعربية، وهو السبب الذي جعلني أصعد المنابر؛ حيث كلفني أن أخطب الجمعة في كبريات المساجد، وألَحَّ عليَّ في ذلك، وكنتُ يومها معيدًا، لم أزل أدرج في دنيا المحاضرات، ولم أصعد قطُّ منبرًا، إلَّا بعد أن شدَّ من أزري، وبيَّن لي خطورة عدم تبليغ الدعوة، وإثم البعد عن اعتلاء المنابر مع المقدرة، وأن يقول الإنسان لله كلمة قبل الرحيل، حتى يلقى الله وقد قال له عَزَّوَجَلَّ في الأرض كلمة، وكان قد أمدَّني ببعض كتبه في الخطابة، وتابعني إلى أن رسختْ منِّي القدَمُ في هذا السبيل.

عبد الصبور شاهين قمة شامخة

الأستاذ الدكتور حلمي محمد القاعود [1]

كان أوَّل لقاء لي مع **الأستاذ الدكتور عبد الصبور** في دار العلوم بوصفي طالبًا، دخلت في المبنى القديم لدار العلوم بالمنيرة أسأله عن نطق حرف (الجيم) في بعض القراءات، وخرجت من ذلك اللقاء لأعود إليه؛ ليمتحنني بعد شهور في الامتحان الشفهي للتخرُّج، ولِأحظى بتقدير عالٍ، وظلت العلاقة بيننا موصولة طوال فترة الدراسات العليا، وهي علاقة طالب بأستاذه.

لقد صار دكتور **عبد الصبور** أستاذًا جامعيًّا في دار العلوم. وصار من أشهر الدعاة الإسلاميين في مصر والعالم الإسلامي، وكان خطيب مسجد عمرو بن العاص أكبر وأقدم مساجد مصر، وأتيح له العمل خارج مصر.

بقيت الإشارة إلى **دوره الدفاعي عن الإسلام**، الذي تمثل في البرامج الإذاعية والتلفزيونية التي شارك فيها، ومقالاته وتصريحاته التي ردَّ فيها على كثير من الخصوم، الذين حاولوا النيل من الدين الحنيف، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ صلبًا في مواجهة الهجمات العاتية التي قادها بعض المنتسبين إلى النُخب الموالية للعرب، والكارهة للإسلام.

(١) نشر في موقع (لها أون لاين). 13 يونيو 2011 م

أعلام القرن العشرين

الدكتور راغب السرجاني [1]

الدكتور عبد الصبور شاهين.. وداعًا

الناس موتى وأهل العلم أحياء، والعلماء لا يموتون ولكنهم يرحلون، وفي الذِّكْر الحكيم: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

رحل الأستاذ الداعية والأكاديمي البارز، وأحد فرسان الإسلام في القرن العشرين والعشرية الأولى من القرن الحادي والعشرين؛ **الدكتور عبد الصبور شاهين** عن عمر يناهز الثمانين عامًا، كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ شاهدًا على عصره فعَّالًا فيه، يُعدُّ واحدًا من رجال الدعوة المميزين تاركًا بغيابه ثغرة كبيرة، جزاه الله عنا وعن الإسلام خيرًا.

لقد كان **دكتور شاهين** من العلماء القلائل الذين تصدوا لتيار التغريب والعلمانية، وتيار التكفير أي إخراج المسلمين من الإسلام عن طريق الشبهات أو الجهل أو التشكيك أو مهاجمة العلماء في محاولات النيل من هيبتهم وقدرهم عند الناس، فكانت ردود ومواقف هؤلاء العلماء تُبدِّد ظلمات الكفر والتكفير.

عرفَته **دار العلوم** بجامعة القاهرة **أستاذًا بارعًا**، وعرفه **جامع عمرو بن العاص معلمًا راشدًا وخطيبًا مرشدًا**، وعرفته **جامعة الملك فهد** للبترول والمعادن

(١) موقع قصة الإسلام.

محاضرًا مخلصًا وعالمًا مدقِّقًا حريصًا على نشر العلم وتعميم المعرفة، وعرفته **المكتبة العلمية الإسلامية كاتبًا متمرِّسًا شديدًا** في الحق لا يخشى في الله لومة لائم.

لقد ترك **الدكتور عبد الصبور شاهين** ذِكرًا حسنًا، وصدقات جارية وعلمًا، سواء في صدور الرجال أو في بطون الكتب، ذخرًا للأجيال القادمة؛ لذلك فهو من الخالدين في الدنيا، ونسأل الله أن يجعلنا وإياه من الخالدين في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا.

في أحد اللقاءات معه؛ أكد **الدكتور عبد الصبور** أنه نذر نفسه للدفاع عن الإسلام **فقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لقد أوقفت حياتي لخوض المعارك الفكرية الساخنة ضد كل من يحاول النيل من الإسلام، سواء داخل مصر أو خارجها».

رأى **الدكتور عبد الصبور** أن الحروب الصليبية ما تزال تعيش في وعي الغرب، وتملي عليه ما ينبغي أن يسير فيه على طريق الانتقام والثأر، رغم أن الزمان غير الزمان، والتاريخ قليلًا ما يكرّر نفسه، ولكن هذا قدرنا مع خصوم الحق.

لقد رحل **الدكتور عبد الصبور** ولم تكرمه الدولة المصرية، رغم تجاوز عدد الكتب التي ألفها وترجمها السبعين كتابًا؛ لكنه لم يحفل بذلك؛ حيث **قال قبل وفاته**: «هذا موضوع لا يشغل بالي، فأنا أفخر والحمد لله أني كنت ولا أزال من المجاهرين بالحق المجاهدين في سبيله، ومثلي لا تطرق الجوائز بابه، لأن باب التكريم معروف وله ثمن رفضت أن أدفعه».

ونودع **الدكتور شاهين والقُرَّاء بهذه الوصية للفقيد** الذي انضم لقائمة الخالدين في الفكر والثقافة، قائمة الأعلام والنبلاء حيث **قال**: «لقد آتى الله أهل

القـرآن مـا لم يـؤت أحـدًا مـن العالمـين، وليفخـر أهـل القـرآن بـأن الله تعـالى جعلهـم عـلى منـبر الطهـر، ومنجـم الثـراء وكنـز الحقيقـة؛ هـو القـرآن الكريـم، مـا دامـوا عـلى خدمتـه وأخلصـوا في هـذه الخدمـة».

المفكر الراحل عبد الصبور شاهين
في آخر حوار قبل وفاته

الأستاذ صابر رمضان [1]

س: ما تحليلكم لواقع المسلمين حاليًّا من خلال رؤيتكم الخاصة كمفكر له ثقله في العالم الإسلامى؟

ج: واقع المسلمين الآن أشبه بمرحلة الشتات الإسرائيلى في عهد سيدنا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، عندما كتب الله عليهم الشتات في الأرض أربعين سنة؛ لتخاذلهم عن تنفيذ تعاليم النبوة، وجاء بعدها جيل أفضل؛ لأن منهم من استطاعوا تنفيذ ما أمروا به.

س: ما رأيكم في دولة إسرائيل؟

ج: أما إسرائيل فهى الدولة الوحيدة التي قامت على العرقية الدموية، وهذا شيء لن يستمر إلَّا إلى حين، ثم تدور الأيام؛ لتصنع النهاية السعيدة لهذه الدراما الهزلية العدوانية.. وفناؤها قادم لا محالة.

س: هل معنى ذلك أنكم تنادون بضرورة الوحدة الإسلامية؛ لتقف ضد إسرائيل؟

---

(١) أجرى الحوار الصحفى الأستاذ صابر رمضان ونشر في جريدة الوفد أكتوبر ٢٠١٠م.

ج: المسلمون لن يتحركوا في اتجاه الوحدة ضد العدو إلَّا إذا حدثت كارثة عظمى.. فعندما وحّد صلاح الدين الجبهة الداخلية استطاع تحرير القدس، وعندما وحد قطز المسلمين في مصر والشام قهر التتار فى موقعة عين جالوت.

قبض العلماء

الأستاذ عبد المعطى عمران [1]

يقول الرسول ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينزعه من صدور العلماء، ولكن يقبضه بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمٌ، اتخذ الناس رؤوسًا جُهّالًا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا.

وهذا الأسبوع لحق بركب الرَّاحلين **فارسٌ من فرسان اللغة**، ومفكر إسلامي كبير هو **الدكتور عبد الصبور شاهين** الذي لقى ربه بعد حياة حافلة بالعطاء لدينه وأمته، امتدت نحو ثمانين عامًا، كان خلالها مدافعًا صلبًا عن الإسلام واللغة العربية من خلال مؤلَّفاته التي بلغت الثمانين، ومنها كتبٌ مترجمةٌ عن اللغة الفرنسية.

كما يعتبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أوَّل من اشترك مع زوجته في التأليف؛ حيث أخرجا معًا عشرين كتابًا في التاريخ الإسلامى، **أهمها**: «موسوعة أمهات المؤمنين»، و«صحابيات حول الرسول».

وأذكر أننى كنت أكتب خبرًا عن باكورة هذا الإنتاج، **فقال لى مداعبًا**: يصدرقريبًا كتاب «موسوعة أمهات المؤمنين»، من تأليف **عبد الصبور شاهين** وحرمه، بعد أن فرغا من إنجاب الأطفال، وتفرغا لإنجاب الكتب.

وأُبْعِدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن منبره وجمهوره في جامع عمرو، بقرار غير حكيم.

---

(١) اللواء الإسلامى ٣٠ سبتمبر ٢٠١٠م.

ومن المؤسف حقًّا أن إعلاميًّا بهذا الحجم، وهذه المكانة، لم يحصل على جائزة واحدة من جوائز الدولة، التي حصل عليها بعض المارقين.

رحم الله الفقيد رحمة واسعة، وعوّض الأمة عنه خيرًا.

أخي وصديقي.. عبد الصبور شاهين

الدكتور عبد الحليم عويس [1]

عَرفت **الدكتور عبد الصبور شاهين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٩٦٦م، بعدما دخلت دار العلوم الفيحاء، حاملًا للثانوية الأزهرية، وكان هو كذلك ممن أخذوا ثانوية الأزهر ودخلوا دار العلوم؛ إذ تعمَّقت علاقتي **بالدكتور عبد الصبور**، بعد أن كان قد غاب عن الكلية سنة تقريبًا.. وبدأنا نختلط **بالدكتور عبد الصبور**، ونذهب إلى بيته؛ ليحدثنا بعض الأحاديث الثقافية، فهو مثقف موسوعي وليس فقط أستاذًا في العلوم اللّسانية، أو ما يُسمَّى بفقه اللغة ومخارج الحروف.

وكان **الدكتور عبد الصبور** يتميَّزُ بالقدرة على الحوار، ولم تخلُ أحاديثه قط من الدُعابة والفكاهة، وكنا نرى في ذلك رفعةً لأنفسنا، حينما كان يلعب دورًا إعلاميًّا كبيرًا في القاهرة، فمن بين أمجاده في هذه الفترة قيامه بالنشاط الثقافي الأسبوعي في المركز العام لجميعات الشبان المسلمين التي أصبحت الآن جثة هامدة، وكأنها جمعيات رياضية.

وامتد نشاطه إلى وسائل الإعلام؛ حيث كانت له أحاديث ثابتة، فلما انتقل إلى السعودية كان أيضًا جامعيًّا وإعلاميًّا ومحاورًا، وترك بصمات قوية.

والتقيت به في الظهران، واستضافني في بيته هناك.

---

(١) رئيس تحرير مجلة «التبيان».

والحقيقة أني كنتُ صديقًا للعائلة، فزوجته سيدة فاضلة لها قلم رائع في الكتابة لمستويات معينة، وقد تعاون هو وزوجته في إعداد سلسلة من الكتب... **فالدكتور عبد الصبور** له عقل جريء، وهو الذي علَّم نفسه اللغة الفرنسية يوم كنا نرهب اللغات في الأزهر ودار العلوم، وقد ترجَّم عددًا من الكتب الرائعة عن الفرنسية، من بينها **كُتُبُ مالك بن نبي**، وهي كتبٌ شاقة؛ لأنها تتحدث عن فلسفة الحضارة وكاتبها مهندس كهربائي، ولكن **الدكتور عبد الصبور** صاغها صياغة طيبة، كما أن قيامه بترجمة كتاب «دستور الأخلاق في القرآن» الذي حصل به الدكتورعبد الله دراز على درجة الدكتوراه من السربون يُعَدُّ عملًا رائعًا.

ومن **أعماله الخالدة** التي لا يعرفها كثير من الناس: قيامه بنقل المحاورة الخالدة التي وقعت بين شيخي الأندلس وفقيهيها العظيمين «أبو علي محمد بن حزم» أحد أعلام الدنيا بلا منازع و«أبو الوليد الباجي» فقيه المالكية الأعظم في الأندلس، ونقله من الفرنسية إلى العربية بترجمة رائعة، وقد حصلت على نسخة منها بأعجوبة وبثمن غالٍ من معرض القاهرة الدولي، فأنا ممن عاش بأعصابه ووعيه الحضاري والعاطفي قصة المسلمين في الأندلس صعودًا وهبوطًا، تلك القصة التي بدأت ببربريٍّ عظيم مسلمٍ عميق الإيمان هو طارق بن زياد سنة ٩٣ هـ، وانتهت في غرناطة على واحد من بني الأحمر القحطانيين العرب الماديين من أشباه الرجال سنة ٨٩٧هـ، الذين بكوا بكاء النساء على مُلْكٍ أضاعوه، كما بكى حكَّام عرب بعد هزائم ساقطة؛ لأنهم كانوا أشباه رجال.

فجزى الله البربر الذين فيهم طارق بن زياد، والأكراد الذين فيهم صلاح الدين، والمماليك الذين فيهم سيف الدين قطز والظاهر بيبرس بطلاً عين جالوت، فلا نامت أعين الجبناء.

المفسِّر المنبريّ .. فقيه القرآن واللغة

الكاتب الصحفي الدكتور عبد الله إبراهيم المصري [1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه وسلم، وعلى مَنْ اتبع دعواته واستنَّ بسُنته إلى يوم الدين، وهو ﷺ القائل: «العلماء مصابيح الأرض، وخلفاء الأنبياء، وورثتي وورثة الأنبياء»، ومن هؤلاء العلماء صاحب الفضيلة **الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين**، المفكر الإسلامي الكبير والداعية إلى الله، أحد فرسان منبر رسول الله ﷺ بالجامع العتيق جامع عمرو بن العاص (٣٠ محرم ٢١هـ/ ٧يناير ٦٤٢م) أوَّل مسجد جامع في مصر والقارة الأفريقية، وترك فيه بصمات مضيئة ما زالت متوهجة حتى الآن في جميع المجالات:

نشأته الدعوية:

عاش فضيلة **الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين محمد موسى شاهين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيئة دعوية منذ ميلاده في حي الإمام الشافعي بالقاهرة يوم ١٨ مارس ١٩٢٩م؛ حيث حفظ القرآن الكريم وهو دون السابعة بأربعة أشهر، وصعد المنبر في سنٍّ مبكرة بعد أن بلغ الثالثة عشرة من عمره متأثرًا بوالده العالم الأزهري وأخيه الدكتور عبد الرحمن وزوج أخته الشيخ عبد العظيم حمزة رحمهم الله، فكان جُلُّ اهتمامه باللغة العربية والقرآن الكريم، وانعكس هذا على مسيرة حياته بانضمامه إلى جماعة الإخوان المسلمين التي جلبت له الكثير من المتاعب

(١) مؤرِّخ جامع عمرو بن العاص.

الحياتية؛ سواء بسجنه في (قرة ميدان) او تتبع تقدمه للعمل في جهات حكومية، وأهمها الإذاعة والتليفزيون، بعدما تقدَّم لمسابقة المذيعين وكان ترتيبه الأوَّل مع الإعلامي الأستاذ أمين بسيوني.

كما انعكست اهتماماته باللغة العربية والقرآن الكريم على مؤلَّفاته التي تزيد على الثمانين مؤلَّفًا ما بين مؤلَّف ومترجم، ويدور أغلبها حول اللغة العربية والقرآن الكريم، ككتاب «الظاهرة القرآنية» للمفكر الجزائري الأستاذ مالك بن نبي، وكان سببًا في تحويل مسار المفكر الكبير المرحوم مصطفى محمود، من طريق الإلحاد إلى طريق الإيمان عندما كان في ليبيا عام ١٩٦٨م، وأهداه أحد أصدقائه الكتاب ووجد عليه اسم المترجم **عبد الصبور شاهين** من الفرنسية إلى العربية، فأخذ الكتاب، وقرأه، فانشرح قلبه للإيمان، وفتح شهيَّته لقراءة المزيد من الكتب الإسلامية.

الطريق إلى منبر عمرو بن العاص:

أرسل الدكتور الأحمدي أبو النور خطابًا للدكتور **عبد الصبور شاهين** يدعوه فيه للخطابة في جامع عمرو بن العاص، ويشكره إذا وافق على هذا، فوافق الدكتور **شاهين** بشرط ألَّا يتقاضى أيَّة مكافآت، وولَّى الدكتور **شاهين** مسئولية الخطابة اعتبارًا من يوم الجمعة الموافق ١٣ محرم ١٤٠٦هـ/ ١٧ سبتمبر ١٩٨٥م، وبذلك بدأت **مرحلة الخطابة الشاهينية في الجامع العتيق**.

وشرفتُ بأن أكون أحد مستقبليه في الجامع، ثم عملت معه في لجنة الزكاة بعد أن تولَّى الإشراف عليها، وجعل منها مؤسسة اجتماعية عالمية؛ فدعا المصلين في الجامع للتبرع من أجل شعب البوسنة والهرسك ثلاث مرات في عامي ١٩٩٢م،

١٩٩٣م، كما جمع التبرعات في الجامع عام ١٩٩٥م، لرعاية أسر طلاب الشيشان الذين يدرسون في القاهرة بعد أن انقطعت عنهم الإعانات إبَّان نشوب الحرب بين روسيا والشيشان، هذا بخلاف نقده اللاذع للسياسات الأمريكية ضد المسلمين في العالَم والممارسات الإسرائيلية ضد الفلسطينين، ومن قِبل السياسات السوفيتية ضد الأفغان والشيشان.

وفي بداية عهد بالجامع – عهد الخطابة الشاهينية – كان يُحدث الناس ويُجدد إيمانهم في العقيدة والأخلاق والعبادات في الخطبة الأولى من خطب الجمعة، أما الخطبة الثانية فكانت دفاعًا عن القضية الفلسطينية والإسلام والقرآن واللغة العربية، والرد على أعداء الإسلام في الداخل والخارج، فكان يُخصِّصها للحديث عن الأحداث الجارية؛ سواء أكانت عالميّة أم محلية، وكثيرًا ما كان يُقدِّم النُّصْح والرأي والمشورة لأصحاب القرار في الأحداث؛ سواء أكانوا رؤساء أو ملوكًا أو رؤساء حكومات أو وزراء أو محافظين، وغالبًا ما كانت مسيرة الأحداث تصدق حكمته ومشورته وصواب رأيه، وكأنه يقرأ من كتاب مفتوح.

وبذلك حوَّل الجامع إلى جامعة مفتوحة لكل جماهير المسلمين؛ فعاد المسجد إلى سابق عهده أيام الصحابة الفاتحين والعلماء والأئمة التابعين وتابعي التابعين، فيُعَدُّ امتدادًا لعلماء جامع عمرو بن العاص من **أمثال**، العبادلة العلماء: عبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن لهيعة، وعبد الله بن وهب، وعبد الله بن عبد الحكم، وعقبة بن عامر، ويزيد بن أبي حبيب، والليث بن سعد، والإمام الشافعي، وابن حجر العسقلاني، والشيخ الغزالي.. وغيرهم كثير.

ولم يكن الجامع جامعة فقط في عهد خطابته؛ بل حافظ على حدود الجامع ومساحته بإقامة سور حول المسجد لأوَّل مرّة، وعمل بوابات حديدية، وتوسيع

ميضأة الرجال وتطويرها، وإقامة ميضأة للسيدات لأوَّل مرة في تاريخ الجامع، ولأوَّل مرَّة يُفرش المسجد بالسجاد في إيوان القبلة على نفقة «الملك فهد» رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما خاطبه من فوق المنبر بأن جامع عمرو بن العاص يطلب من الحرم المكي السجاد الفائض عن حاجته، واستكملت وزارة الأوقاف فرش إيوانات الجامع الثلاثة الباقية في عهد الدكتور محمد علي محجوب وزير الأوقاف الأسبق بإشراف الدكتور علي لطفي رئيس مجلس الوزراء الأسبق، كما تابع الدكتور **شاهين** ثلاث مراحل في ترميم وإصلاح الجامع.

ولم يدم الحال طويلًا بسبب الانتقادات المتلاحقة للدكتور **شاهين** من فوق منبر جامع عمرو للوزراء والمحافظين، حتى جاء رئيس الوزراء الأسبق الدكتور عاطف صدقي ليصلي في جامع عمرو بن العاص ومعه بعض سفراء الدول العربية والإسلامية، وسمع نقد الدكتور في خطبته الثانية من فوق المنبر لوزير الثقافة فاروق حسني بشراء ستِّ لوحات لتعليقها بدار الأوبرا بأربعة ملايين جنيه، وكرَّر الدكتور **شاهين**: «هو ملهوش ريس يحاسبه؟ الشعب فقير ومش لاقي يأكل»، وضحك السفراء، وتندَّروا بهذا النقد، فاتصل الدكتور صدقي بوزير الأوقاف الأسبق محمد علي محجوب يشكو له **الدكتور عبد الصبور شاهين** خطيب جامع عمرو بن العاص، فعقد الدكتور محجوب اجتماعًا لبحث الأمر، ورأى إقصاء الدكتور **شاهين** عن منبر جامع عمرو، وطلب صدور قرار؛ لكن اعترض الشيخ منصور الرفاعي وكيل الوزارة لمديرية أوقاف محافظة القاهرة الأسبق، لأن **شاهين** لم يُعيَّن للخطابة في الجامع بقرار وزاري؛ بل بخطابٍ، فطلب الدكتور محجوب إعداد خطاب ليوقِّع عليه كي يوجهه للدكتور **شاهين** وإبلاغه بانتهاء خطابته في الجامع، فرد الشيخ عبد الحميد عبد الرحيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكيل وزارة الأوقاف الأسبق بأن هذا خطأ إداري؛ لأن رئيس الجمهورية صلَّى

وراء الدكتور **شاهين**، وجرى في الوزارة أن خطيب المسجد الذي صلَّى فيه الملك أو رئيس الجمهورية لا ينقل إلَّا بمرسوم ملكي أو قرار جمهوري، ورُفعت الجلسة.

وبعد أيام قابله الرئيس المخلوع في مطار القاهرة؛ حيث كان الدكتور **شاهين** ضمن وفد الشورى المسافر للصين – صافحه الدكتور **شاهين**، فقال له الرئيس المخلوع: ها يا دكتور، لسَّه برضه بتشتم الناس ومزعلها! فردَّ الدكتور **شاهين** في غضب: يا ريس، أنا لا أقول إلَّا الحق وبالحق، فغضب الرئيس قائلًا: أووه، وغادر المكان دون أن يصافح بقية الوفد، وكان هذا هو القرار الجمهوري؛ حيث جاء الدكتور زقزوق وزير الأوقاف الأسبق – واتصل به تليفونيًّا يوم الثلاثاء الموافق ١٤ ذو القعدة ١٤١٦هـ/ ٢ أبريل ١٩٩٦م، وطلب منه أن يستريح لمدة أسبوعين، وفهم الدكتور، وبذلك تنتهي مرحلة الخطابة الشاهينية يوم الجمعة الموافق ١٧ ذو القعدة ١٤١٦هـ/ ٥ أبرايل ١٩٩٦م، بعد أن أمضى عقدًا كاملًا – عشر سنين – حتى إنه كان يقول: «الحمد لله، لقد خطب الشافعي خمس سنين في جامع عمرو بن العاص، وخطبتُ أنا ضعْفه».

وداعًا:

وظلَّ **الدكتور شاهين** محرومًا من الخطابة واعتلاء المنابر، حتى عاد يخطب في مسجده الذي بناه بجوار مسكنه في هضبة الهرم، واستمر في رحلة تفسير القرآن؛ حتى توقَّف عند الآية ١٠ من سورة الصافات، والسبب هذه المرة كبر السن وأمراض الشيوخة، ولم تتحقق أمنيته في الانتهاء من تفسير القرآن الكريم كله وهي إرادة الله ومشيئته، ولكن تحققت أمنية أخرى وهي وصيته بصلاة الجنازة عليه في جامع عمرو بن العاص حتى يودع دنيا الناس منه قبل أن ينتقل إلى حياة البرزخ، ويشاء القدر بأن يكون اليوم الذي دخل فيه الجامع أوَّل مرة (٢٧

سبتمبر) هو نفس يوم تشيع جنازته وأخر عهده بالجامع في يوم (٢٧ سبتمبر) الاثنين الموافق ١٨ شوال ١٤٣١هـ / ٢٧ سبتمبر ٢٠١٠م، رحم الله الداعية والمفكر الإسلامي فضيلة الأستاذ **عبد الصبور شاهين** رحمةً واسعةً.. وجزاه الله عنا خير الجزاء بما قدَّمه لجامع عمرو بن العاص والدعوة الإسلامية، وعوَّضها عنه خيرًا، وألحقنا به في عليين والفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والعلماء آمين آمين.

ورحل د. شاهين عالم الفقه واللغة

الأستاذ الدكتور عبد الهادي عباس [1]

عرفته بدار العلوم - نضّر الله أيامها - درة العقد وسط علمائها الأجلاء، أستاذًا لهم، وإن ساواهم في العمر؛ لكن المساواة في الأعمار لا تعنى أبدًا المساواة في العقول والألباب، مكتبه لا يغلق، ولا يُصد في وجه أحد، كبيرًا أو صغيرًا، وأذكر أنه كان يتحمل إلحاحي ومسألتي في طلب العلم بصدر رحب؛ بل ويتحمل مخالفته - وهو العالم الكبير - خاصة عندما انتقد الأستاذ العقاد في بعض المواقف ووقفت مدافعًا عن العقاد موضحًا أنه لا يوجد في الأمة الآن من يقاربه رجاحة فكر وصواب نظر، فما كان منه إلا أن تبسّم قائلًا: إن الاختلاف في الرأي لا يعني أبدًا هدم الكاتب أو المفكر؛ بل الاختلاف ضرورة لنمو الأفكار وازدهارها، وإن مدرسة الفكر وربط المفاهيم الإسلامية بواقع الحياة المعاصرة غاية من غايات عديدة نتمناها لهذه الأمة المباركة.

وأذكر أيضًا أنه رغم شغبنا في معظم المحاضرات بعد أن تركنا فناء المدرسة الضيق إلى رحابة الجامعة أن محاضراته كانت هي الوحيدة التي يمتلئ فيها المدرج عن آخره في صمت القبور، وكأن على رؤوسنا الطير؛ لأنه عندما يتحدث يخرج السحر من فمه، وأشهد أنى كنت أرى طلابًا من كليات أخرى يأتون لمحاضرته مع أنهم لا يحضرون مقرراتهم في كلياتهم.

---

(١) جريدة الأخبار ١ - ١٠ - ٢٠١٠ م.

سألته في حديث سابق عن كيف يبدأ يومه، **فأجاب**: قبل الفجر بنصف ساعة أتوضأ وأقرأ القرآن الذي تربطني به معرفة وثقى، ويشدني إليه حبل متين، ثم أصلي الفجر، وأبدأ حياتي العادية.

والدكتور عبد الصبور شاهين، وإن جاب البلاد العربية والعالمية، وعلَّم أهلها، وحصد جُل جوائزها، فإنه لم يلق في بلده إلا الكثير من التجاهل والنسيان كعادتنا دائمًا..

وقد كان يرحمه الله يعلم ذلك العنت، فأقام مركزًا إسلاميًا، أنفق فيه أغلب أمواله، ووهب نفسه لخدمة القرآن، تفسيرًا وتحليلًا، وخدمة اللغة العربية دراسة وإشرافًا على أكثر من أربعمائة رسالة ماجستير ودكتوراه، في مصر وأنحاء العالم.

وظل يخطب في مسجد عمرو بن العاص لمدة ثلاث عشرة سنة، وكان دائم الافتخار بذلك، **ويقول**: «أنا أكثر حظًّا من الإمام الشافعي الذي خطب في مسجد عمرو خمس سنوات فقط».

رثاء بلا رياء

الأستاذ/ علي عطية [1]

إلى روح والدي وأستاذي الحبيب إلى قلبي وروحي ووجداني فضيلة الأستاذ الدكتور/ **عبد الصبور شاهين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهدي هذه الكلمات:

لم أتخيّل يومًا أن أتعرَّض لمثل هذا الموقف في حياتي، وأستغفر الله العظيم، فهو الأوَّل والآخر، وهو الباقي وما عداه يزول، لكن! لا تطاوعني يدي وهي تسطِّر هذه الكلمات؛ لأنها مهما كانت فلن تبلغ مقداره العظيم الذي لا نُزكِّيه على الله، فقلبي يُعتَصَرُ حزنًا، ولا تكفُّ مُقْلتايَ عن الدمع الذي يُبلِّلُ هذه الحروف؛ لفراقه الذي أصابني بالزلزال والتصدُّع والهَدْم الداخلي لنفسي، فوالله الذي لا إله إلَّا هو، أني لصادق فيما أقول، فقد عرفت المعنى الحقيقي للحياة منذ شرَّفني الله عَزَّوَجَلَّ بلقاء أستاذي لأوَّل مرَّة في رحاب مسجد عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في صلاة جمعة أواخر عام ١٩٨٦م، وإلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى – مغرب يوم الأحد الموافق السابع عشر من شهر شوال من العام الحادي والثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة، السادس والعشرين من شهر سبتمبر من العام العاشر بعد الألفين الميلادي – لم أفارقه روحًا أبدًا، وإن غِبْتُ عنه جسدًا عدة أيام خلال الأسبوع من الجمعة للجمعة، فقد شرَّفني المولى عَزَّوَجَلَّ بأن أكون في خدمته وصُحْبته المباركة ما يقرب من ربع قرنٍ من الزمان – لم تُتَحْ لغيري – عدلت مسار حياتي بالكامل، وأنارت لي الطريق، وعرفتُ المعنى الحقيقي لوجود الإنسان على الأرض، فماذا تعلَّمت من أستاذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟!

(١) بنك ناصر الاجتماعي.

تعلَّمتُ من فضيلته رَحِمَهُ ٱللَّهُ المعنى الحقيقي للحب في الله، وكذا حب الوطن والأصدقاء والأهل والأسرة والزوجة، والسعادة الحقيقية في صفاء القلب والطهارة من الغلِّ والحسد، فكان في كل موقف إنساني تلمس ذلك منه.

تعلّمتُ من فضيلته رَحِمَهُ ٱللَّهُ معنى التسامح اللانهائي، وتجد ذلك عنده قولًا وفعلًا؛ فكل خطبة جمعة يردِّد من فوق المنبر: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]، ويطبِّق ذلك علميًّا مع خصومه من أعداء الدعوة والعلمانيين.

تعلَّمتُ من فضيلته رَحِمَهُ ٱللَّهُ معنى التواضع، فقد كان يتعامل مع كافة الفئات والأنماط في المجتمع بمنتهى الحب والتواضع خاصة أبسط الناس، فكان من يتعامل معه يشعر وكأنه يتعامل مع أحد الصحابة- رضي الله عنهم - لدماثة خلقه، وتواضعه الجمِّ.

تعلَّمتُ من فضيلته رَحِمَهُ ٱللَّهُ معنى الرحمة والشفقة حتى على الحيوان والطير، وأذكر أنه أمر الخادم بعمل (مَسْقًى) في حديقة المنزل حتى تشرب منها الطيور والحيوانات السائمة، وكان يتأثر بشدة عندما يسمع عن أذيَّة إنسان أو حيوان، كما كان يوصي دائمًا لوضع سُبُلٍ للمياه في أماكن عديدة، ويسارع لإغاثة الملهوف، ويحثُّنا على ذلك... إلخ.

تعلَّمتُ من فضيلته رَحِمَهُ ٱللَّهُ المثابرة والجهاد من أجل فكرة قد تفيد كتاب الله أو الإنسانية أو الإسلام، وعدم الاستسلام للنقد أو المعارضة الهدَّامة، ووَضَع ذلك جليًّا في معركة «أبي آدم»، و«أبو زيد».

تعلَّمتُ من فضيلته رَحِمَهُ ٱللَّهُ معنى العطاء والعمل الاجتماعي، وكيف يكون الإنسان نافعًا لغيره، كما قال الحبيب ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس»، فقد كان يرعى النشاط الاجتماعي في مسجد عمرو بن العاص الذي كان يؤدِّي خدماته إلى ما يقرب من ألفي أسرة شهريًّا على مدى أحد عشر عامًا، وأيضًا كان يرعى النشاط نفسه في مسجده الكائن بمنطقة حدائق الأهرام، ولكن ليس بالحجم نفسه.

تعلمتُ من فضيلته رَحِمَهُ ٱللَّهُ التأمل والتفكير العميق وإعمال العقل في أدقِّ الأشياء، وربط المواقف ببعضها البعض خاصةً في شرح كتاب الله، لقد انتهج فضيلته رَحِمَهُ ٱللَّهُ منذ عام ١٩٨٨م نهجًا منفردًا لم يسبقه إليه أحدٌ من العلماء، ألا وهو «تفسير كتاب الله من فوق المنبر»، وكنا ندرس الآيات المقرر شرحها قبل يوم الجمعة بقراءة شرحها في عدة تفاسير، ثم نجده رَحِمَهُ ٱللَّهُ يطل علينا برؤية وفكر جديد يتناسب مع العصر ويسبق زمانه وعصره.

تعلَّمتُ من فضيلته رَحِمَهُ ٱللَّهُ ملاحقة العلم والدرس والقراءة ليلًا ونهارًا، وتواجُده الدائم في محراب العلم، إما في الجامعة، أو في معهد الدراسات الإسلامية، أو المشاركة في ندوات أو مؤتمرات، أو مكتبته العامرة – الموجودة أعلى مسجده بحدائق الأهرام والتي أوقفها رَحِمَهُ ٱللَّهُ لطلبة العلم – أو في قراءة القرآن الكريم، أو في التأليف، فكان لا يضيع وقتًا أبدًا، وقد شرَّفني بإشراكي معه في تجميع ومراجعة موسوعة «المعجم المفهرس لآيات الله: ترتيب معجمي»، وقد تمَّ إعداده – بفضل الله – في فترة زمنية قاربت الأربع سنوات من العمل المتواصل.

تعلَّمتُ من فضيلته رَحِمَهُ ٱللَّهُ العمل الدءوب لإعمار الأرض، فقد قضى ما يزيد على أحد عشر عامًا خطيبًا على منبر مسجد عمرو بن العاص، وكانت بحقِّ هذه الفترة هي العصر الذهبي لنهضة المسجد وإعماره، ثم إنشاء مسجد

بجوار مسكنه بمنطقة الأهرام كان بمثابة شعاع علم ونور وخير للمنطقة، استمرَّ يخطب فيه الجمعة لفترة تقرب من أحد عشر عامًا أيضًا، وقبل وفاته تقريبًا أسَّس مجمعًا للمعاهد الأزهرية على مساحة ثلاثة آلاف متر مربع (ابتدائي – إعدادي – ثانوي) للبنين، ومثلهم للبنات، ولم يمهله القدر حتى يرى افتتاحه بنفسه – وجاري حاليًّا استكماله كما كان يتمنى.

تلقيتُ من فضيلته رَحِمَهُ ٱللَّهُ العلم والمعرفة من المنابر التي اعتلاها عملاقًا – وكنت آنذاك بشرف مرافقته – وأيضًا في دراستي بمعهد الدراسات الإسلامية، وشرَّفني بمرافقته لحضور ندوات ومحاضرات، ولقاءات دينية كثيرة جدًّا لا أستطيع حصرها لكثرتها، كانت بالنسبة لي كالماء الفُرات الراوي لتائهٍ يلهث وراء سراب صحراء قاحلة.

تعلَّمتُ من فضيلته رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكثير والكثير، وكل يومٍ؛ بل كل ساعة قضيتها في رحابه كنتُ أتعلَّم شيئًا جديدًا، أضيفه إلى رصيد معرفتي، وأنهل منه الآن، وأستحضره عند الحاجة، ولولا خوفي من الإطالة لظللت أسرد وأفنِّد ما لديَّ، وما اكتنزته في أعماقي خلال ربع قرن مضى، وأتمنى أن يمهلني المولى عَزَّوَجَلَّ حتى أكمل ما بدأه أستاذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ خاصة المشروعات الخيرية التي بدأت في حياته، **مثل**: (مجمع المعاهد الأزهرية – المركز الطبي – مكتبة العلماء)، وأنا الآن أحاول أن أستجمع ذكرياتي خلال ربع قرن من الزمان، وألملمها في كتاب شرعت في تسطيره تحت اسم «أيام في رحاب عالم»، أذكر فيه بالتفصيل مناقب هذا العالِم الجليل الذي قلَّما يجود الزمان بمثله، لعله يفيد الأجيال التي تأتي بعدنا، وآملًا على الله أن أكون بمثل هذا العمل قد أدَّيت نقيرًا أو فتيلًا أو قطميرًا من أفضال أستاذي عليَّ التي تُعَدُّ ولا تُحْصَى.

وقبل أن يجفَّ دمعي وقلمي أدعو الله أن يتقبّل أستاذي وأعماله الصالحة، وأن يتغمَّده بواسع مغفرته، ويحشره في مستقر رحمته مع الأنبياء والصديقين والشهداء، كما أدعوه عَزَّوَجَلَّ أن ينعم عليَّ بالصبر الجميل؛ليعينني على فراقه الذي لا يعلم مداه إلَّا هو، وأن يرزقني صحبته في الآخرة مع الحبيب ﷺ، كما شرَّفني بصحبته في الدنيا، اللهم آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الدكتور عبد الصبـــور شاهيـــن
٨١ عامًا من الفكر والاجتهاد

الأستاذ عمرو محمد [١]

تُـوفِّي **الدكتـور عبـد الصبـور شـاهين** وأصبـح في ذمـة الله، ويشـهد لـه القـاصى والدانـى أنـه صاحـب مواقـف لم يتخـل عنهـا يومًـا.. ومـع ذلـك فقـد دفـع **د. شـاهين** لقـاء مواقفـه التـي لم تعجـب البعـض، لذلـك كان اسـتبعاده مـن مسـجد عمـرو بـن العـاص عندمـا كان يتـولى الخطابـة فيـه، عـلى خلفيـة موقفـه مـن آراء د. نـصر أبـو زيـد، عندمـا رفـض ترقيتـه إلى درجـة أسـتاذ في كليـة الآداب بجامعـة القاهـرة في عـام ١٩٩٣م، منتقـدًا آراءه التـي خرجـت عـن إجمـاع الأمـة والمتعلقـة بالقـرآن الكريـم والحديـث النبـوى الشريـف.

ومـن نفـس المسـجد الـذي ظـل الرجـل يصـدح فيـه بالحـق قبـل أكثـر مـن ١٣ عامًـا، تكـرّر المشـهد ذاتـه، ولكـن بصـورة مغايـرة عندمـا تـم تشـييع جثـمان الفقيـد الراحـل وسـط حشـد كبـير مـن محبيـه وتلامذتـه ودعـاة، كثـيرًا مـا صلُّـوا خلفـه، ولم يكونـوا يدركـون أنهـم يومًـا يمكـن أن يصلـوا عليـه كـما كانـوا يصلـون وراءه.

الراحـل الكبـير **د. شـاهين** كان مهمومًـا بأمـور المسـلمين في شـتى بقـاع الأرض، ولم تكـن قضيـة القـدس بمنـأى عـن الرجـل، ولم يكـن غافـلًا عنهـا.

---

(١) (هيسبرس) Hespress جريدة مغربية إلكترونية ١٨-٩-٢٠١٠م.

مـنّ الله عـلى االفقيـد بعبـارات بليغـة، وتعلـم لغـات أخـرى، أبرزهـا اللغـة الفرنسـية، فـكان يترجـم عنهـا بقـدر مـا كان يكتـب في العربيـة والعلـوم الشرعيـة والقضايـا الفكريـة والدعويـة.

كان أول مـن اشـترك مـع زوجتـه في التأليـف، إذ أخرجـا معًـا «موسـوعة أمهـات المؤمنـين»، و«صحابيـات حـول الرسـول» في مجلديـن، و«نسـاء وراء الأحـداث»، وينسـب إليـه توليـده وتعريبـه لمصطلـح حاسـوب، وهـو المقابـل العربـى لكلمـة كمبيوتـر الـذي أقـره مجمـع اللغـة العربيـة بالقاهـرة.

قـام الرجـل الكبـير بتأليـف أكثـر مـن ٧٠ كتابًـا مـا بـين مؤلَّفـات وتراجـم، كـما كان يترجـم عـن الفرنسـية، ومـن أشـهر تلاميـذه الدكتـورة عائشـة عبـد الرحمـن (بنـت الشـاطئ).

تحية من أستاذ كبير

الأستاذ عمر الدسوقي [1]

وكان من حظ المجلة أن وجد بين أعضاء الاتحاد شاب له خبرة بالعمل الصحفى، وفيه كفاءة ودأب على العمل، فقام بالعبء الأكبر في جميع موادها، وترتيبها،وإخراجها، على الرغم من قصر الوقت، وتزاحم الدروس عليه وقرب ميعاد الامتحان..

ذلك هو الطالب **عبد الصبور شاهين** – الفرقة الأولى.

(١) عندما صدر العدد الأول من مجلة (كلية دار العلوم) سنة ١٩٥٣م.

مقدمة كتاب فكرة الإفريقية الأسيوية

الأستاذ مالك بن نبى مؤلّف الكتاب

قال في الإهداء:

«إلى **الرجل المخلص** للفكرة الإفريقية الأسيوية.

إلى **المثقف** الذي ترجم قلمه الفكرة إلى اللغة االعربية.

إلى **المكافح** الذي دخل الصراع العنيف الرهيب من أجل تحقيقها، رغم أنف الاستعمار وقوة وسائله.

إلى **الرفيق** في ميدان الصراع الشريف: **الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين**».

١٩٥٩م.

مقدمة كتاب دستور الأخلاق في القرآن

الأستاذ الدكتور محمد السيد محمد البدوى[1]

والكتاب تأليف د/ محمد عبد الله دراز من رسالة دكتوراه من جامعة السربون بباريس، وترجمة وتعليق وتحقيق: د/ **عبد الصبور شاهين**، والمراجع: د/ السيد محمد بدوى أستاذ علم الاجتماع بجامعة الإسكندرية؛ **قال في مقدمة الكتاب:**

إن الرسالة نُوقشت أمام لجنة من خمسة أساتذة من السربون والكوليدج دى فرانس فى١٥/ ١٢/ ١٩٤٧م.

وقد طبعها الأزهر الشريف عام ١٩٥٠ م. ثم ظهرت النسخة العربية لأوَّل مرة عام١٩٧٧م.

وأشار الدكتور البدوى إلى الدكتور المترجِم قائلاً:

«لقد ظل جمهور المثقفين من العرب والمسلمين يسمعون عن هذا العمل القيم دون أن يستطيعوا قراءته والاستفادة منه؛ حتى قيّض الله له أستاذًا شابًّا من شباب العرب والمسلمين هو **الدكتور عبد الصبور شاهين** الذي ندب نفسه طيلة أعوام ثلاثة لترجمة النص الفرنسى إلى اللغة العربية.

وقد جمع الدكتور صفات قلما تتوافر لمن يتصدى لمثل هذا العمل الضخم، فهو إلى تكوينه وثقافته الدينية العميقة أستاذًا للغة العربية، كما أنه يتقن اللغة

(١) الأستاذ بكلية الآداب جامعة الإسكندرية وزوج بنت الدكتور دراز رحمه الله .

الفرنسية التي درسها دراسة جادة وترجم منها إلى العربية عدة كتب لعدد من العلماء والفلاسفة.

ولم يأل المترجم جهدًا في أن يضع في خدمة النص كل ما يستطيع من أساليب التوثيق والإيضاح التي تخدم قارئ العربية وتعمق ثقافته الدينية».

سلمت يداك

الأستاذ الدكتور محمد خليل نصر الله [1]

تحية إلى **الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين**، في موقفٍ كشف باطلًا ودافع فيه عن حق:

سلمت يداك عشيةً وصباحا ... وحباك ربك من لدنه فلاحا
سلمت يداك لقد كشفت تآمرا ... وكبحت فسقًا جامحًا وبواحًا
سلمت يداك فضحت زيغ قلوبهم ... وضبطتهم متلبسين صراحًا
سلمت يداك لقد رميت بجمعهم ... سهمًا أصاب مسيلمًا وسجاحًا
سلمت يداك عرفت كيف تردُّهم ... وتذود عن ساحٍ رأوه مباحًا
سلمت يداك فإذ كشفت قناعهم ... طفحت سرائرهم لظىً وسفاحًا
سلمت يداك فإذ كشفت ضلالهم ... ملئوا المحافل رنةً ونواحًا
سلمت يداك لقد غضِبت مناصرًا ... علمًا ودينًا قيّمًا ومراحًا
سلمت يداك لقد رفعت إلى الهدى ... علمًا تطاول عاليًا وضّاحًا
سلمت يداك فكن بربك واثقًا ... لا تخش زيفًا ناعبا ونباحًا
سلمت يداك تحيةٌ وهديةٌ ... وكسيتَ من حُلل الصلاح وشاحًا
سلمت يداك أقولها وأعيدها ... سلمت يداك عشيةً وصباحًا

(١) الأستاذ بكلية الآداب – جامعة بني سويف.

الإمام الأمة

الأستاذ الدكتور محمد صالح توفيق [1]

وقالوا: الإمام قد قضى نحبه وصيحة من قد نعاه علت

فقلتُ: فما واحد قد مضى ولكنها أمة قد خلت

نعم **أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين** أمة قد انتقلت إلى رحاب ربها، أراه غاب عنا بجسده، ولكنه خالد بمرور الأزمنة، بعلمه الغزير وعشقه للقرآن الكريم، ومؤلَّفاته التي تربو على سبعين مؤلَّفًا، وسيرته العطرة التي تحتل أعز مكان في وجداننا، وخطبه المنشورة تحت عنوان «في ضياء القرآن».

عرفت قيمة **الدكتور عبد الصبور شاهين** وقامته حين دخلت قسم علم اللغة وقُدِّر لي أن أقترب من هذا العالم الجليل، فوجدت الجدية في العلم.

صحيح أن الموت أكبر واعظ، وكفى به واعظًا، ولكن موت **الدكتور عبد الصبور شاهين** واعظ شديد الحضور، قوي الدلالة، فقد أحسست لأوَّل مرة أن الموت زاد **الدكتور عبد الصبور قدسية وجلالًا**، ونحن نصلِّي عليه في مسجد عمرو بن العاص، الشاهد على تقواه، وأنه من ورثة الأنبياء. وحسبه – كما قال – أنه ظلَّ خطيبًا في هذا المسجد ثلاث عشرة سنة، وكان دائم الافتخار بذلك

(١) الأستاذ بكلية دار العلوم، والعميد السابق للكلية ، والكلمة ألقاها في حفل التأبين .

ويقول: أنا أكثر حظًّا من الإمام الشافعي الذي خطب في هذا المسجد خمس سنوات فقط – مرَّ أمامي شريط الذكريات وأنا أودع أستاذي في مقابر الإمام الشافعي، وتمنيت –وما زلت أتمنى – أن تكون خاتمتي كما كان **الدكتور عبد الصبور شاهين** رضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته، ونفع بعلمه الغزير القراء والباحثين على مرِّ الزمان. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدكتور عبد الصبور شاهين.. المفكر والداعية

الأستاذ الدكتور محمد قاسم المنسي [1]

ترجع صلتي بأستاذنا الراحل **الدكتور عبد الصبور شاهين** إلى عام ١٩٧٥م، وهو العام الذي التحقت فيه بكلية دار العلوم، فقد كان يُدرِّس لنا كتابه في «علم اللغة العربية»، وكنت وزملائي مبهورين بقدرة الأستاذ على التحدث بالفصحى، وبالطريقة الجميلة التي ينطق بها الحروف والكلمات، وبالجرس الموسيقي المصاحب لكل ذلك، وبالدُّعابة والفكاهة التي لم تخل منها محاضراته وأحاديثه الخاصة؛ بل وخطبه على المنبر، ويرجع ذلك في تقديري إلى قدرته اللغوية الفذَّة؛ حيث يستطيع قلب الكلمات والألفاظ إلى معانٍ لم تخطر ببال المتحدث، في زمن لا يكاد يذكر؛ حتى يظن المتابع لحديثه أنه كان قد فكَّر قبل أن ينطق؛ لكن الأمر في الحقيقة كان أقرب إلى الطبع والتفنُّن، منه إلى الصناعة والتجمُّل.

وقد استمرت الصلة غير المباشرة بيني وبين أستاذي؛ حيث كنتُ أتابعه في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية؛ حتى جاء يوم من أيام شهر مايو من عام ١٩٨٤م؛ حيث استدعاني أستاذي الدكتور/ حامد طاهر أستاذ الفلسفة الإسلامية بالكلية، وقال لي: أنا رشحتك لخطبة الجمعة في مسجد الدكتور مصطفى محمود، اذهب إلى أستاذك **الدكتور عبد الصبور شاهين** في مكتبه، فذهبت وقلتُ له: جئت لسيادتك من طرف د. حامد طاهر، فتحدَّث معي قليلًا وعرف أنني معيد في قسم الشريعة، وبعد لحظات اتصل بالدكتور مصطفى محمود، **وقال له**: وجدت لك الشاب المناسب لأداء خطبة الجمعة، ومتابعة النشاط الديني في

(١) الأستاذ بقسم الشريعة – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

المسجد (يقصد مسجد محمود)، فحدد الدكتور مصطفى محمود لي موعدًا في اليوم التالي مباشرة في العاشرة صباحًا، فذهبت في الموعد المحدد، وأنا لا أصدق نفسي، كنتُ بالأمس مع أستاذي د. **عبد الصبور**، واليوم مع د. مصطفى محمود!! أي شرف هذا الذي نلته أمس واليوم. ولقد كانت مقابلتي مع د. مصطفى قصيرة الزمن؛ لكنها كانت عميقة التأثير، فقد قال لي: أريد منك أن تؤدي خطبة الجمعة؛ لكن لا تدخل في السياسة، فنحن في هذا المسجد لا نتدخل في الأمور السياسية، فأبديت ترحيبي واستعدادي لذلك، وحرصي الشديد على عدم الخوض في أمور السياسة، ثم أنهى اللقاء بأن دعاني إلى الخطبة في اليوم التالي مباشرة، وكنتُ أظن أن الأمر سيحتاج لبضعة أشهر، فإذا به لا يزيد عن بضع ساعات، ومن ذلك التاريخ أكرمني الله – حتى هذه اللحظة – بإلقاء الخطبة في مسجد محمود، ولله الفضل والمنة.

ولقد كان أستاذي **الدكتور عبد الصبور شاهين**، يلقي خطبة الجمعة في المسجد مرتين في الشهر، وكان يجعل خطبته من جزأين: الأوَّل لموضوع ديني واجتماعي، والثاني لموضوع سياسي.. وفي إحدى خطبه وجه نقدًا شديدًا لوزير الداخلية في ذلك الوقت (اللواء أحمد رشدي) بسبب بعض التصريحات التي رآها د. **عبد الصبور** مسيئة للإسلام والمسلمين، وكان من بين ما قاله: كيف يتصور هذا الكلام من شخص اسمه أحمد؟!

بعد هذه الخطبة حدث خلاف شديد بين الدكتور مصطفى محمود والدكتور **عبد الصبور**، فقد كان من رأي الدكتور مصطفى محمود ألَّا يدخل المسجد في صدام مع وزير الداخلية، وحدث كلام شديد حول هذه النقطة .

وللأمانة عندما جاء الدكتور **عبد الصبور** يقدم واجب العزاء في وفاة د. مصطفى حرص على أن يُذكِّر الحاضرين، وأنا منهم بهذه القصة، كجزء من الذكريات التي جمعته مع د. مصطفى، وهي كثيرة بالمناسبة...

وللأمانة أيضًا، فقد كان د. **عبد الصبور** حريصًا على أن يسألني عن أحوال المسجد وعن الدكتور مصطفى وصحته وأحواله الخاصة، الأمر الذي أكد لي أن الخلاف بينهما لم يكن شخصيًّا، وإنما كان خلافًا في الأسلوب والطريقة، ولكل مبرراته وأسبابه بطبيعة الحال. بعد فترة قصيرة من هذه الحادثة، بدأ د. **عبد الصبور** يلقي خطبة الجمعة في مسجد عمرو بن العاص، بعرض من الأستاذ الدكتور الأحمدي أبو النور وزير الأوقاف في ذلك الوقت، ولا أنسى الخطبة التي حضرها الرئيس المخلوع في آخر جمعة من شهر رمضان (لا أذكر العام)، وكان موضوعها عن الزكاة ودورها في تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية؛ حيث التفت الرئيس إلى معاونيه، وطلب منهم أن يستفيدوا من خطبة الدكتور **عبد الصبور** في النواحي الاقتصادية!!

لقد كانت حياة أستاذنا الدكتور **عبد الصبور** حافلة بالعمل والنشاط والحركة الدائبة في كل مجالات الحياة، وأحسب أنه بسبب ذلك وجد نفسه في مواجهات عديدة من أهل الفكر والثقافة والسياسة، لكني أشهد أنه نذر حياته لخدمة لغته ودينه، بكل ما أوتي من أسباب العلم والمعرفة والإيمان والتواصل مع الآخرين، ويشهد لذلك أيضًا هذا الإنتاج الفكري المتنوع، تأليفًا وترجمة ومشاركات في منتديات محلية وعالمية، هذا الحضور الكبير كان تعبيرًا عن شخصية كبيرة قلَّ أن يجود الزمان بمثلها.

لقد كان **الدكتور عبد الصبور شاهين** ظاهرة فريدة، وعبقرية خاصة، وحسبك أن تطالع سيرته الذاتية: كيف نشأ؟ وكيف بدأ؟ ثم كيف بنى ثقافته؟ وكيف صنع هذا المزيج الثقافي المتميز؟ الذي قلما يُتاح لأبناء هذا الجيل – فضلًا عمن بعدهم – أن يخطوا بمثله؟!

ولا أملك في ختام هذه الكلمة المتواضعة إلَّا أن أذكر بجزء من تقديمه للطبعة الأولى من كتاب الأستاذ وحيد الدين خان وهو بعنوان «الإسلام يتحدَّى»، لعلها تلقي مزيدًا من الضوء على فكر الأستاذ وروحه:

(1) ما أكثر ما يكتب عن الإسلام والمسلمين في مطبوعات هذا العصر في العربية، وغير العربية، وما أقل غناء أكثره.

(2) قليل جدًّا من الكتابات الإسلامية هو الذي يُعَدُّ إسهامًا في معالجة مشكلات عالمنا الإسلامي، إسهامًا جادًّا مخلصًا من أجل عودته وتقدُّمه.

وكثيرًا جدًّا ا نقرؤه من تلك الكتابات التقريرية، أو الرثائية الوعظية، التي تخطها أقلام، إن كانت تتاجر بالدين، فلا غرابة، في عالَم يقوم على المتاجرة حتى بالقيم، فإما إذا كانت معروفة بالعلم والذكاء. فذلك هو داعي الحسرة والإشفاق في أنفسنا على علمائنا الأذكياء.

(3) أيمكن أن نتصور عالم الفكر الإسلام مجرد أقاصيص تحكي للبهر، أو مقالات يجتهد أصحابها في تدبيج مقدماتها وسياقاتها؛ لتنهي بعد قراءتها إلى هز الرءوس، ولوك عبارات الثناء والإعجاب؟.

هـذا عـلى حـين يتشـاغل كُتَّـاب الفلسـفات الماديـة برسـم تطلعـات العـصر، وعـلاج مشـكلات التطبيـق عـلى مسـتوى عالمـي؛ حتـى ليحـس المـرء بعـد مطالعـة بحـث مـن هـذه البحـوث بحاجتـه إلى أن ينـزوي نفسـيًّا في ركـن مـن أركان اليـأس والقنـوط؛ لأنـه غائـب تمامًـا عـن المعركـة الحـاضرة!

(4) ذلـك محنـة الوجـدان والعقـل المسـلم، الـذي ينشـد لـدى كتابـه ومفكريـه مسـتوى مـن المبـادرة والجـد والإخـلاص، ولونًـا مـن الكتابـة المبـاشرة التـي تعيـش عصرهـا وأفـكاره وتطلعاتـه، فـإذا هـم لا يزيـدون عـلى بضـع حكايـات الأوليـاء، واجـترار بضعـة خيـالات محلقـة في سـماوات التيـه، ومجابهـة الواقـع الصـارخ الملـح بـما يميعـه في وعـي الجماهـير، ثـم يسرح بهـا بعيـدًا بعيـدًا، في أحـلام المـاضي وتصوراتـه، ومـن البلـه أن نظـن أن أخبـار السـلف هـدف ثقـافي، يقصـد لذاتـه كمتعـة عقليـة، دون أن يكـون مـن وراء ذلـك مـشروع إنهـاض، وخطـة توعيـة مـن أجـل صنـع الحـاضر والتأثـير في الأجيـال القادمـة حسـب هـؤلاء السـلف أنهـم كانـوا أمثلـة مسـهمة في صنـع عصرهـم وتوجيـه معاصريهـم، ثـم مضـوا، عليهـم مـن الله رضـوان، ومـن النـاس سـلام.

(5) وجـاء مـن بعدهـم خلـف، أصبـح بعـد حـين سـلفًا، بعـد أن مـضى إلى الرفيـق الأعـلى، مخلفًـا كذلـك تركـة مـن السـلوك، ومـن الكفـاح هـي جـزء مـن تاريـخ أمتنـا».

(6) وجـاء جيلنـا ليوهـم، أو لـيراد لـه أن يتوهـم، أنـه مجـرد وارث لأجيـال سـابقة، عليـه أن يسـتغل تركتهـا في خلـق ملذاتـه. فـإذا مـا جوبـه بتحديـات عـصره لجـأ إلى المباهـاة بتراثـه، المباهـاة وحدهـا، المتمثلـة في أكثـر الكتابـات

المنشورة التي لا تمل أن تحكى وتحكى، حكايات في حكايات، وتقف أحيانًا مستعلية من فوق منبر؛ لتمطر على الحضور وعظًا في وعظ دون أن تبلغ في ظن الجماهير أن تهزَّ وجدانًا أو حتى تحرك قشة.

بقي أن أتساءل:

هل أتت صيحة **الدكتور عبد الصبور شاهين** أكلها بعد أربعين سنة من بثها وإرسالها؟!

هل بقي الحال على ما هو عليه أو تحسَّن أو ازداد سوءًا؟! الله أعلم.

عبد الصبور شاهين ونصر أبو زيد

الأستاذ الدكتور محمد الجوادي [1]

لم يصل أحد من معاصري **عبد الصبور شاهين** إلى التأثير الضخم الذي ارتبط بهذا الاسم الكبير على مدى نصف قرن تقريبًا، وعلى الرغم من أن **عبد الصبور شاهين** لم يصل إلى أن يكون شيخ طريقة أو زعيم حزب، أو مدير جامعة أو عميد كلية، فإن أثره في جيله وفي مجتمعه قد فاق تأثير هؤلاء جميعًا، وقد كان له زملاء وصلوا إلى هذه المواقع الأربعة، لكنهم لم يتركوا الأثر الذي تركه **عبد الصبور شاهين** في الأحداث التي قُدِّر له أن يشترك في صياغتها أو في تعديل مسارها على نحو أو آخر.

بالإضافة إلى هذا فإن **عبد الصبور شاهين** كان مرشحًا للوزارة في آخر مرَّة رشح فيها وزراء جدد من بين نجوم الحياة العامة، وأزعمُ أن اعتذاره الخاطف عن مشاورات الوزارة حتى لو لم يكن هو نفسه الذي أبداه أو أبلغه – كان من الأسباب العميقة التي دفعت القيادة السياسية إلى تقليل معدلات التفسير، وإلى الإبقاء على الوزراء في مقاعدهم لفترات طويلة.. ذلك أن ما وصل إلى القيادة السياسية عن اعتذار **عبد الصبور شاهين** جاء مصحوبًا بما وصل عن اعتذار أكثر من شخصية عامة أخرى، ثم تكرَّس الموقف الدرامي بعامود صحفي كتبه عميد الصحافة العربية في ذلك الوقت الأستاذ مصطفى أمين ناصحًا بالبعد عن المنصب الوزاري مستخدمًا لفظًا قاسيًا في وصف هذا المنصب، وهو ما حدا برئيس الجمهورية نفسه أن يعلق عليه مستهجنًا صدور مثل هذا اللفظ عن رجل في سن والده، على حدِّ تعبير الرئيس في ذلك الوقت.

(١) عضو مجمع اللغة العربية.

ومن الطريف أن **عبد الصبور شاهين** الذي كان وقتها عضوًا في مجلس الشورى باختيار الرئيس نفسه سرعان ما اندفع إلى معركة عابرة مع بعض أجهزة الحكومة دون أن يدري هو نفسه، ودون أن تدري الحكومة أن هذه المعركة ستتحول إلى أخطر معركة اقتصادية داخلية خاضتها حكومات عهد الثورة، وكانت هذه المعركة هي معركة شركات توظيف الأموال التي فاقت في تأثيراتها معارك التأميم والتمصير والإصلاح الزراعي، وتحوَّلت لتؤثر في الطبقة الوسطى والطبقة الدنيا بدلًا من أن تؤثر في طبقات عليا، ومن المدهش أن **عبد الصبور** حين قاد المواجهة مع الاقتصاديين في التجمع الكبير الذي خطب فيه ببلاغته وقوة تأثيره – قد دفع الحكومة إلى أن تسارع بخطواتها إلى حدِّ التعسُّف مع أبناء الشعب، ثم إلى حدِّ التعنُّت أيضًا متخذة سياسات أدَّت إلى خراب بيوت كثيرة، وكان في وسع الحكومة لو عالجت الأمور أن تنقذها؛ لكنَّ الحكومة وجدت نفسها في مواجهة **عبد الصبور شاهين** الأقوى من الإقطاع ومن الرجعية ومن الشيوعية! وهكذا حسمت المعركة مبكرًا؛ حتى لا يأكلها منطق **عبد الصبور شاهين** ولا قدرته على الإقناع والزِّعامة.

ومن الطريف أيضًا في هذه الدراما أن الأحداث تسارعت إلى الحد الذي لم يعد أحد يذكر معه بداية المعركة ولا الدوافع وراء حسمها على نحو ما حدث..

ومن الطريف أخيرًا أن دور **عبد الصبور شاهين** أصبح ينسب إلى الشيخ الشعراوي من باب التغليب، كما يقول علماء اللغة العربية، التي كان **عبد الصبور** نفسه واحدًا منهم، وكذلك كان الشيخ الشعراوي، لكن الرجلين عُرِفا في الأوساط الجماهيرية بصورة أخرى هي صورة علماء الشريعة.

بدأ **عبد الصبور شاهين** حياته العامة منذ كان طالبًا، وقد عانى من انتمائه السياسي للإخوان المسلمين، ودفع ثمن هذا الانتماء من سنوات عمره حين ضاع منه عام دراسيٌّ، وهو بعيد عن موقعه في الدراسة؛ لكنه تخرَّج بتفوُّق، ثم قُدِّرَ له أن ينشق بصورة أو بأخرى عن الإخوان المسلمين، وهكذا كان من أصحاب الحظ الحرج الذين يُحسبون على الإخوان، ولا يحسبهم الإخوان منهم!

وحين أراد **عبد الصبور شاهين** وهو الخريج المتفوق أن يختار قسم الشريعة الإسلامية؛ ليكون معيدًا فيه قيل له: إنه ليس مسموحًا له بهذا، وأن المسموح له به هو أن يكون معيدًا في قسم علم اللغة، حينئذٍ قال **عبد الصبور** إنه سيقبل هذا الاختيار الإجباري، ولكنه سيحوِّل علم اللغة إلى علم من علوم الشريعة.

ومن المدهش أن رسالته في علم اللغة كانت بالفعل عن القراءات الشاذة في القرآن الكريم، وفي فترة تأهُّله العلمي في الدراسات العليا لمع اسم **عبد الصبور** الشاب القادر على الخُطَب في المسجد وعلى الكتابة في الصحافة – بما فيها اليسارية – وعلى الإسهام النشيط في الحياة السياسية المحدودة في ذلك العصر، لكنَّ تفوقه الساحق ظهر حين تقدَّم في تعلُّم اللغة الفرنسية، وحين اتصلَّ بعلماء السربون والأساتذة الفرنسيين، وحين وضع رسالة عظيمة في مجال تخصصه بإشراف هؤلاء عن بُعد وعن قُرب، لكن الزمان كان يعطي **عبد الصبور** مجدًا آخر لم يصل إليه أحد من معاصريه في ذلك الوقت، فقد كان هذا الشاب المتفتح أوَّل مَنْ أدرك أن فرصة الإسلام السياسي في الظهور على سطح المجتمع الأوروبي قد حانت، حتى وإن لم يلحظها أحد، وواكب هذا أن قدَّم **عبد الصبور** للفكر الإسلامي وللمكتبة العربية أفضل عمل فكري ظهر في تلك الفترة، وهو كتاب «الظاهرة القرآنية» الذي وضعه الفيلسوف الجزائري المسلم المهندس مالك بن نبي صاحب نظرية شروط النهضة وما شاكلها.. وقد ترجم **عبد الصبور شاهين** هذا الكتاب الذي

كتبه صاحبه بالفرنسية في لغة عربية كفيلة بالارتفاع بما كان فيه من فكرٍ عالٍ، وإلى حدٍّ أن أصبح **عبد الصبور شاهين** في ذهن المنصفين شريكًا لمالك بن نبي، في هذا العمل العظيم.

وفي هذه الفترة أُتيح **لعبد الصبور شاهين** أن يلعب دوره في التأثير المباشر على بعض اليساريين للتحوُّل إلى النظرة الإسلامية بديلًا عن الماركسية، وهو الاتجاه الذي عبَّرت عنه اتجاهات متعددة من المزج أو الإحلال أو التبديل أو التحول، لكن أبرز نجوم التحول كان هو المفكر المصري مصطفى محمود الذي كان صديقًا حميمًا ل**عبد الصبور شاهين**، كما ربطتهما علاقات نسبٍ في مرحلة شبابهما.

وتمضي سنوات أخرى ليقدِّم **عبد الصبور شاهين** إلى القارئ العربي قنبلة جديدة كانت بمثابة الراية الخفَّاقة في بدايات الحركة الإسلامية في السبعينيات، وهي ترجمة كتاب «الإسلام يتحدَّى» لوحيد الدين خان، ومع أن هذا الكتاب لم يكن مثل «معالم على الطريق» مثلًا، لكنه كان بمثابة مانفستو الحركة الجديدة - فإنه بعنوانه العبقري، وبأرقامه الدالة، وبمقارناته الذكية كان مصباحًا قويًّا غير قابل للإطفاء.. ومرة ثانية كان دور **عبد الصبور شاهين** ذكيًّا ودالًّا ومؤثرًا.

مارس **عبد الصبور شاهين** أُستاذية علم اللغة في مصر وفي الكويت، وانشغل بما ينشغل به الأساتذة الأكاديميون من دراسات للطلبة ودراسات عليا، ولجان علمية، وتقديم الخبرات وتقييم الأساتذة التالين له، والتأليف والتحقيق والشرح... إلخ، وأخذ هذا كله من وقت رجل كان في نظر كثيرين أولى بأن يتفرغ للفكر المحض، لكن الأستاذية كانت ولا تزال ساحرة وقادرة على الاستحواذ والاستئناس، وعلى إقناع أصحابها جميعًا بأنها أولى بهم مما غيرها ومن

غيرها كذلك.. وهكذا ظل **عبد الصبور شاهين** يمارس الأستاذية طيلة سيره دون مبالغة، وإنِّي لأذكر أنني كنت ألقاه مصادفة، فيدعوني إلى ما هو فيه نشاط علمي إذا كان وقتي يسمح أو بقدر ما يسمح وقتي، أذكر أني قابلته في شارع قصر العيني، **فقال**: إنه متوجِّه لمراقبة البروفة الأخيرة في المطبعة العالمية قرب ضريح سعد، فذهبت معه أصحِّحها، وأذكر أني قابلته عام ١٩٧٨م وهو متوجه إلى ركوب سيارته، فدعاني إلى مناقشة رسالة دكتوراه لأحد تلاميذه، فسألته عمن يشاركه المناقشة فأجابني: صديقك رمضان عبد التواب، وأستاذ آخر ستصادقه هو حسن عون، ومن الطريف أن صاحب الرسالة التي حضرت النصف الأوَّل من مناقشتها، حسبما كان متاحًا لي من وقت ليلتها، كان هو محمد حسن عبد العزيز الذي انتخب عضوًا في مجمع اللغة العربية في اليوم الذي انتخبت فيه أنا أيضًا.

ثم جاءت المعركة الأكثر شهرة في حياة **عبد الصبور شاهين**، وهي معركة نصر حامد أبو زيد، ولست أدري إن كان الأوان قد آن للاعتراف بأن هذه المعركة كانت معركة مصطنعة تمامًا، وأن نصر حامد أبو زيد نفسه استُخدم فيها ليكون درعًا بشريًّا يصعد عليه غيره إلى المناصب العليا، وإلى صدارة الحياة الثقافية.. وربما لا يصدق أحد حقيقة ما حدث في هذه المعركة الصناعية، أو في هذه المسرحية التي كانت متوسطة ما بين المسرحيات الارتجالية والمسرحيات عديمة النص..

وقد رويتُ حقائق هذه المعركة كلها في مقال مطوّل، نشرتُه جريدة الأهرام، ونشرته في كتابي «مستقبل الجامعة المصرية»؛ لكني أكتفي هنا بأنْ أروي أن **الدكتور عبد الصبور شاهين** حين بدأ في فحص أوَّل أعمال نصر حامد أبو زيد لتقييمها ظنَّ أن الأبحاث جاءته على سبيل الخطأ، وأنها أبحاث أستاذ متقدِّم للترقية في

قسم الفلسفة، فأخذ يبحث في الأبحاث الأخرى التي لم يكن تصفحها، فوجدها كلها أقرب إلى ميدان الفلسفة منها إلى الميدان الذي تقدَّم بها صاحبها للترقية فيه، وهو «اللغة العربية وآدابها»، وهكذا فإن **عبد الصبور** اتصل؛ ليتأكد من أن الأوراق لم تأتِ إليه من باب الخطأ الذي يحدث عند تبديل المظاريف بالمصادفة، فلما تأكَّد أن الأمر لا يخلو من الخطأ الإداري بدأ يفحص، ولأنه مغرمٌ بالفلسفة ودارس لها من قبل؛ ولأنه من هواة الإسلاميات بطيفها الواسع فلم يكن صعبًا عليه أن يقيّم أبحاثًا جاءت إليه للتقييم لا للمباركة!! ولا للبصمة!! ولأن اللجنة العليا الدائمة في ذلك الوقت كانت تضمُّ من بقي من السلف الصالح من مؤسسي الجامعة الأوائل، ومنهم القطبان الأوَّلان لمعيدي الجامعة المصرية: سهير القلماوي وشوقي ضيف، فقد استمعت اللجنة إلى تقييم **عبد الصبور شاهين** وأقرته على تقييمه، ووقَّع هؤلاء الأعلام جميعًا بمن فيهم ممن كانوا يودون تمرير أبحاث نصر حامد أبو زيد وترقيته ، خصوصًا بعد كفاحه العلمي وبعد كِبَر سنه.. لكن القلماوي وشوقي ضيف وغيرهما من الأساتذة الكبار انتصروا للضمير العلمي، وخافوا الله في مستقبل العلم في هذا الوطن.. ووصلوا إلى تقرير حقيقة أن أبحاث نصر في ذلك اليوم لا ترقى به إلى الأستاذية في ذلك اليوم، ومعنى هذا أن الفرصة متاحة أمامه؛ لكي يُجوِّد ويرتقي، لكن الطموح الزائد لأصدقاء نصر حامد أبو زيد جعلهم يقفون على رقبته، ويصعدون على جثته، ويصوِّرون للمجتمع كلَّ ما صوَّروه من أن **عبد الصبور** «وحده» ظلم نصرًا «وحده»، وسرعان ما تنامى الإفك إلى حد الاستفزاز الذي نعرف أنه أثمر دعوة المحتسب المشهور إلى رفع قضية التفريق المشهورة، ولم يكن **لعبد الصبور** أي علاقة بهذا كله من قريب ولا من بعيد.. لكن آفة قومنا وهي النسيان نسبت إلى **عبد الصبور** ما لم يفعله.. وهكذا مضت معركة من المعارك المعطِّلة للتقدُّم باسم التقدُّم، والمعطِّلة للعلم باسم الرأي.. لكنَّ أصحابها فازوا في نهايتها بما

كانوا يبتغون، واحتسب **عبد الصبور** رأيه، واحتبس نصر حامد أبو زيد نفسه في السجن الذي أراده له أصدقاؤه الذين لا يعلم إلَّا الله مدى إخلاصهم له، ومدى إخلاصهم لأنفسهم، وأي المَدَيَين أضخم.

مضى **عبد الصبور** إلى لقاء ربه وقد حاز من الدنيا طيباتها عملًا صالحًا، وذرية صالحة، وزوجة صالحة، وتاريخًا ناصعًا، وثروة صالحة.. كان مغرمًا بالبناء والتجديد، وبالنجاح وبالكسب الحلال، وكان مُقدِّرًا لكل من ينجح في هذا، وقد فاته تقديرٌ كثيرٌ كان يستحقه؛ لكنه – في رأيي – رُزِق ما هو خير منه، حَالَ مَرَضي بيني وبين السؤال عنه في مرضه؛ لكنه كان أفضل مني في السؤال الدائم عني؛ بل كان بالقطع أفضل مني في كل شيء اشتركنا فيه!

تعليق أخير :

كان الدكتور شوقي ضيف – رحمه الله – أحد المحكِّمين الأربعة لبحث ترقية نصر أبو زيد – رحمه الله – وقد تحدَّث مع الغالي بعد قراءته للأبحاث المقدَّمة، **وقال:** لن أستطيع أن أحكم على هذا اللغو وسأنسحب من التحكيم ، ولكني أوصيت أن يوضع تقييمي للبحوث معي في قبري .

إصلاح

أوَّل من أسَّس مدرسة البحث اللغوي في القراءات القرآنية

الأستاذ محمد الشندويلي

في الثامن عشر من شهر مارس عام ١٩٢٩م بمحافظة القاهرة وُلِدَ فضيلة **الدكتور عبد الصبور شاهين**، وكانت أسرته التي نشأ وتربَّى في كنفها محبة للقرآن الكريم، وهو ما ساعده على حفظ كتاب الله كاملًا قبل أن يتم السابعة من عمره بأربعة أشهر.

دار العلوم:

وكان د. **عبد الصبور** من المتفوقين في دراستهم؛ حتى إنه التحق بالتعليم الأزهري وحصل على الثانوية الأزهرية عام ١٩٥١م، والتحق بعدها بكلية دار العلوم، وتخرَّج فيها عام ١٩٥٦م، وحصل على الليسانس بدرجة ممتاز[1]، ورغم أنه كان من أوائل دفعته وتقديره كان يؤهله لأن يصبح معيدًا في الكلية، لكن هذا القرار صدر متأخرًا بعد أن حصل على الدبلوم العام في التربية وعلم النفس عام ١٩٥٧م؛ حيث عُيِّن مدرسًا بالمدارس الثانوية للغة العربية والتربية الدينية لمدة عام أوَّلًا، وبعد ذلك اختير ليكون معيدًا بكلية دار العلوم عام ١٩٥٨م، وحصل على درجة الماجستير بامتياز عام ١٩٦٢م، وبعدها حصل على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٦٥م، وبعد الدكتوراه بعام واحدٍ

(١) تأخر لسجنه بأمر من جمال عبد الناصر.

عُـيِّن مدرسًـا بالكليـة بقسـم الدراسـات اللغويـة، وترقَّـى إلى درجـة أسـتاذ مسـاعد عـام ١٩٧٣م، ثـم بعدهـا حصـل عـلى الأسـتاذية عـام ١٩٧٨م، ومنـذ عـام ١٩٩٤م حتـى وفاتـه وهـو يعمـل أسـتاذًا متفرغًـا بـدار العلـوم بجامعـة القاهـرة، وفي الفـترة مـن عـام ١٩٦٩ – ١٩٧٣م عمـل أسـتاذًا بجامعـة الكويـت، وعمـل أسـتاذًا بجامعـة الملـك فهـد (البـترول والمعـادن) مـن ١٩٧٩ – ١٩٨٣م، كـما أنـه عمـل أسـتاذًا زائـرًا في جامعـات البـصرة وعُـمان وعـدن وعـمَّان والمدينـة المنـورة والخرطـوم.

الظاهرة القرآنية:

وقـد درس د. **عبـد الصبـور شـاهين** اللغـة الفرنسـية منـذ مطلـع شـبابه؛ لتـزداد كفاءتـه في الدعـوة خـارج الوطـن العـربي، ومـن أجـل هـذا حـاول أن يـدرس الحقـوق في كليـة الحقـوق بالفرنسـية بالقاهـرة، فـدرس فيهـا عامـين ثـم ألغيـت الكليـة، فتفـرغ للدراسـة في دار العلـوم، وقـام بترجمـة الكثـير مـن الكتـب للمفكـر الجزائـري الراحـل مالـك بـن نبـي – أوَّل مفكـر جزائري إسـلامي يلجـأ إلى القاهـرة إبـان الثـورة الجزائرية – ومـن هـذه الكتـب «شروط النهضة»،«فكـرة الأفريقيـة الآسـيوية»، «وجهـة العـالم الإسـلامي»،«الظاهرة القرآنية»،«ميـلاد مجتمع»،«مشـكلة الثقافـة»، وقـد شـارك فضيلته في كثـير مـن المؤتمـرات والنـدوات العلميـة والإسـلامية في العديـد مـن دول العـالم، ومنهـا نـدوات الحـوار الإسـلامي المسـيحي، وقـد اعتـلى فضيلتـه منـبر المسـجد للمـرة الأولى وهـو بـين الثالثـة عـشرة والرابعـة عـشرة، ومنـذ ذلـك الحـين لم يتخـل عـن رسـالة المنـبر، فبـدأ عـلى منـبر عمـرو بـن العـاص في تفسـير القـرآن الكريـم بمنهـج جديـد، ملتزمًـا بإنـزال النـص عـلى الواقـع الإسـلامي بصـورة دقيقـة وشـاملة، وبلـغ ذلـك في أكثـر مـن ثلاثـة أربـاع القـرآن الكريـم، والربـع الأخـير مـن القـرآن كان قـد بـدأ في تفسـيره بمسـجده بحدائـق الأهـرام، إلَّا أنـه انتقـل إلى الرفيـق الأعـلى قبـل أن

يتم ذلك، كما أنه كان قد أعدَّ لطبع ما قدَّمه من خطب نُشِر منه جزءان تحت عنوان «في ضياء القرآن».

المصطلح العربي:

عكف فضيلة **د. عبد الصبور شاهين** على تأليف الكثير من الكتب، فكان له عديد من الإسهامات في مجال البحث اللغوي في القراءات القرآنية، وأسَّس بذلك مدرسة ينتشر رجالها في الجامعات العربية والإسلامية، وقد بلغ عدد رسائل الدكتوراه التي أشرف عليها في الدراسات اللغوية سبعًا وستين رسالة، وعدد رسائل الماجستير التي أشرف عليها حوالي مائة وثلاثين رسالة، وشارك في الجهود التي بُذلت خلال السبعينيات لاستخدام الكمبيوتر في الإحصاء اللغوي، وكان له بحث مشهور عن المنهج الصوتي للبنية العربية، وهو خروج كامل على المنهج الشكلي والتقليدي، وتطبيق لنظريته الأصواتية على مسائل الصرف العربي، فضلًا عن أنه وضع المنهج الكامل لعلم «المصطلح العربي» في كتابه «العربية لغة العلوم والتقنية» المنشور عام ١٩٨١م، وله بحث يؤسِّسُ مفهوم إعجاز القرآن على الجانب الدلالي للكلمة العربية، وهو منشور في جملة من المقالات والمؤتمرات آخرها مؤتمر الإعجاز القرآني ببغداد عام ١٩٩٠م، وعكف على تأليف المعجم القرآني تحت عنوان «مفصل آيات القرآن.. ترتيب معجمي»، وأخرجه في عشر مجلدات.

تاريخ القرآن:

لم يقتصر جهد د. **شاهين** على الدراسات اللغوية؛ بل إن له كثيرًا من الأعمال العلمية تأليفًا وترجمةً ودراسةً، **منها**: «القراءات القرآنية في ضوء علم

اللغة الحديث»، «تاريخ القرآن»، «أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي»، «العربية لغة العلوم والتقنية»، «في علم اللغة العام»، «دراسات لغوية»، «في التطور اللغوي»، «علم الأصوات»، «المنهج الصوتي للبنية العربية»، «تاج العروس من جواهر القاموس»، «دراسة إحصائية لجذور مفردات تاج العروس باستخدام الكمبيوتر» (بالاشتراك مع الدكتور علي حلمي موسى)، «عربية القرآن»، «الألفاظ الأجنبية في اللهجة الكويتية»، «العربية الفصحى.. نحو بناء لغوي جديد»، «التفكير الصوتي عند العرب»، «لطائف الإشارات في فنون القراءات» (تحقيق بالاشتراك مع الشيخ محمد عثمان)، **بالإضافة إلى مجموعة من الأعمال الفكرية، منها**: «فلسطين.. أرض الرسالات الإلهية» ترجمة، «صحابيات حول الرسول» بالاشتراك مع زوجته، «نساء وراء الأحداث» بالاشتراك مع زوجته، «مصر قبل الإسلام.. الدين والنبوة» بالاشتراك مع زوجته، «مصر في الإسلام.. القرن الأول حتى القرن السادس» بالاشتراك مع زوجته، «الإسلام يتحدى» تعريب وتحقيق، «حديث القرآن»، «الأمة.. الفريضة الضائعة»، «أبي آدم.. قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة»، «السُّنة والشيعة.. أمة واحدة»، «حديث الصيام وآداب المنبر»، «إلى عرفات»، «الإسلام بين الحقيقة والادّعاء»، «تأملات في سورة العنكبوت»، «تأملات في سورة الفاتحة»، «تأملات في آية الكرسي»، «التدخين.. حرام أم حلال»، «تأملات في ليلة القدر»، «قصة أبو زيد وانحسار العلمانية في جامعة القاهرة»، «مع النبي في إسرائه ومعراجه»، «البر في الإسلام»، «لغات أواخر القرن التاسع عشر» (تحت الطبع)، «الغزالي والإحياء» بالاشتراك مع زوجته (تحت الطبع).

أُتْرُجَّةُ دار العلوم

الأستاذ الدكتور محمد جمال صقر (١)

ما ماتَ مَنْ جَعَلَ الزَّمانَ لِسانُه يَتْلو مَناقِبَ عُوَّدًا وَبَوادي

فَاذْهَبْ كَما ذَهَبَ الرَّبيعُ وَإِثْرُه باقٍ بِكُلِّ خَمائِلٍ ونِجَادِ

الشَّريفُ الرَّضِيُّ

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٦].

مات أستاذنا **الدكتور عبد الصبور شاهين**، فـ «مَنْ سرَّه أن ينظُرَ كيف ذهابُ العِلْمِ فهكذا ذَهابُه»، أو كما قال ابن عباس ترجمان القرآن، حين مات زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كاتب الوحي وجامع القرآن وعالم الأنصار، فصدَّق قَوْلَ رسول الله ﷺ: «إن الله لا يقبض العِلْمَ انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماءِ، حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا اتخذ الناسُ رُءوسًا جُهَّالًا، فسُئلوا، فأفتوا بغير علمٍ، فضلُّوا وأضلُّوا»(٢).

لقد درستُ عليه أربع سنوات، منذ سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م الجامعية، دراسة نظامية بكلية دار العلوم من جامعة القاهرة: أولى دار العلوم، وفيها كان كتابه «علم اللغة العام»، وفي الفرقة الثانية بدار العلوم وفيها كانت ترجمته لـ

(١) أستاذ بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، برقم (١٠٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب العلم، برقم (٢٦٧٣)، واللفظ للبخاري.

«علم الأصوات» كتاب برتيل مالمبرج، وفي الفرقة الرابعة بدار العلوم وفيها كان كتابه «دراسات لغوية»، وتمهيدية قسم علم اللغة وفيها كان كتابه «المنهج الصوتي للبنية العربية.. رؤية جديدة في الصرف العربي»، ثم جلستُ إليه مجالس مختلفة، واطّلعتُ على كثيرٍ من أعماله اطّلاعًا حُرًّا، ولكن لم يقم لمعرفتي به شيء مثلما قامت تلك السنوات الأربع!

لقد كان من علماء القرآن درايةً وتلاوةً، وما مثلُه في الناس إلَّا مثل الأُتْرُجَّةِ ريحُها طيبٌ وطعْمُها طيبٌ، أو طعمها طيبٌ وريحها طيبٌ، على روايتي تمثيل رسول الله ﷺ مَثَل المؤمن الذي يقرأ القرآن، تجذبك إليه أحيانًا تلاوتُه ثم درايتُه: ريحُها طيبٌ وطعمها طيبٌ – وتجذبك إليه أحيانًا درايتُه ، ثم تِلاوته: طعمها طيبٌ وريحُها طيبٌ!

رَحِمَ اللهُ أستاذنا **الدكتور عبد الصبور شاهين**.

لقد تأملَّته قريبًا وبعيدًا، حتى اجتمعت لي نُقط ملامحه، وظهرت صورته؛ فأحسنت رؤيته على حين تلقَّف ناس النقطة من تلك النقط وحدها، فلم يروه وأحببتُه: «... ولولا الحب لم أتكلَّم»! وربما قيل لي: «... ولولا الحبُ لتكلَّمتَ»! وهذا وهم فاسد مفسد؛ فإن الحب الخالص كفيل بأن يفتح العقل لفهم حقيقة المحبوب، ولذلك كان حب رسول الله ﷺ شرط كمال الإيمان، فهو من حُبِّ مُرْسِلِه ﷺ، ومن طريق حبه حبُّ آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، فأما حديث «حُبُّك الشيءِ يُعمِي ويُصِمُّ»[1]، ففيه ضعفَ ورَحِمَ الله عباس محمود العقاد الكاتب الأديب الفذَّ، لقد أعرض عن الكتابة في بعض من توقَّع الناس منه الكتابه عنهم في سلسلة عبقرياته، فلما قيل له في ذلك، قال:

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود في «سننه»: كتاب النوم، برقم (٥١٣٠)، وضعَّفه الألباني.

إنما أكتب عمَّن تَرْفَعُه كتابتي! والحق أنه إنما كان يكتب عمَّن أحبَّه حبًّا خالصًا، أطلعه على مفتاح شخصيته الذي كان مولعًا بالبحث عنه، وليس فرضًا عليه أن يحب كلَّ عبقري؛ فللمحبة كُنْهُهَا الذي يصعب وصْفه، والكلام هنا إنما هو عن أثر المحبة، لا عن كنهها!

كان أستاذنا رجلًا طويل القامة، صحيح البنية، أنيقًا وسيمًا، ميسور الحال، مبسوط اليد، صافي القلب، مصريًّا عربيًّا، عبقريًّا، غيورًا، طموحًا، يحار الناس فيه، ولاسيما أصحاب النُّقْطة السابق ذِكْرهم، تُحيِّرُهم مناقبه لا مثاله؛ فلقد نشأ وشبَّ واكتهلَ وشيَّخَ راضيًا عن حاله، ساخطًا على حال أمته، وامتحنه الله عَزَّوَجَلَّ بالسجن قريبًا من منتهى طلبه الجامعي ومبتدأ انطلاقه المعيشي؛ فكأنما أطارَ بالسجن طائرًا كان في صَدْره؛ ففزع كلَّ مفزعٍ، واشتغل بأعمال كثيرة، ينوء بها العصبة أولو القوة، من غير أن ينخلع في أيٍّ منها عن رضاه ذاك ولا عن سخطه؛ فكان في أكثرها كأنما يثيرُ الناس إليها، ويغريهم بها؛ ليحقِّقوا منها ما لم يتحققْ، ويُدقِّقوا ما لم يتدقَّقْ، غير ضائقٍ بهذه المنزلة!

ها هو ذا يتحدث عن تقديمه كتاب «الإسلام يتحدَّى» لوحيد الدين خان عما أريد له أن يكونه فأباه أشدَّ الإباء، ورصد حياته للثورة عليه قائلًا: «جاء جيلنا ليتوهَّم، أو ليُراد له أن يتوهم أنه مجرد وارث لأجيال سابقة، عليه أن يستغل تركتها في خلق ملذاته، فإذا ما جوبه بتحديات عصره لجأ إلى المباهاة بتراثه، المباهاة وحدها، المتمثلة في أكثر الكتابات المنشورة، التي لا تملُّ أن تحكي وتحكي، حكايات في حكايات، وتقف أحيانًا مستعلية من فوق منبر؛ لتمطر على الحضور وعظًا في وعظٍ، دون أن تبلغ في ظن الجماهير أن تهز وجدانًا، أو حتى تحرك قشة.

إن أخصَّ صفات عصرنا هي أنه ينتج من الأفكار بقدر ما ينتج من الأشياء، وليس من الضروري أن نتطلب من الأفكار المنتجة أن تكون نافعة دائمًا كالأشياء، فإن المجتمعات التي تُصدِّر إلينا أشياء الحضارة ترى في الأفكار سلعة ينبغي أن تتغيَّر كل يوم، كما تتغيَّر طُرُز الأشياء؛ ولذلك يقف مثقفونا مبهورين أمام موجات الفكر الواردة من الخارج: ماذا يأخذون، وماذا يدعون؟ بل قل: ماذا يقرؤون، وماذا يترجمون؟ ولا شيء أكثر من هذا! يكفيهم أن يستطيعوا ملاحقة الأفكار دون أن يكون عليهم أن يواجهوها، أو ينقدوها، فهم إلى أن يصوغوا نقدًا معينًا لأحد الاتجاهات الجديدة نسبيًّا يكون الوقت قد فات، وتقادَمَ بمرور الزمن ما ينقدون، وغطت عليه أفكار أخرى أشدُّ لمعانًا، وأكثر جاذبية وإشعاعًا.

ومما لا شكَّ فيه أن العالم الإسلامي هدف ثمين من أهداف تصدير الأفكار؛ نظرًا إلى موقعه، وخطورة موقفه بين الكتل المتصارعة، أو بعبارة أخرى: مراكز الإنتاج، والهدف من وراء التصدير واحد لدى كل هذه المراكز: أن يبقى هذا العالم مفتقرًا إليها، على اختلافها، وأن يُحال بينه وبين أفكاره الأصيلة، التي يمكن أن تغنيه عن الاستيراد، وتحقِّق له الاكتفاء الذاتي».

تلك كلمةٌ له في تقديم عملٍ لغيره، ولكنها أوجز ما يعبر عن رسالة الثقة والطموح والسخط والجرأة، التي وطَّن عليها نفسه، ورصد لها أعماله، **والأمثلة كثيرة:**

منها: عمله بكتابه «**القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**»، الذي **قال في** مقدمته: «هذا كله (أعمال اللغويين الحداثيين المعاصرين) وغيره على كثرته وغناه، لم يحاول أن يقترب من دراسة ظواهر اللغة العربية الفصحى دراسة

نقدية، تصفي آراء القدماء، وتقوِّمها، وتضع حلولًا جديدةً للمشكلات التي بقيت دون حلٍّ، أو التي نالت حلًّا خاطئًا قام على تصوُّرٍ قديمٍ خاطئ»؛ فأغرى الدكتور الطيب البكوش بإنجاز مأموله، وإن لم يبرأ من النعي عليه قائلًا: «إن ما نجد في بعض عناوين هذه الكتب من إشارة إلى ذلك (الدرس في ضوء العلوم اللسانية الحديثة) لا يخلو من ادِّعاء؛ فنحن لا نجد فيها من الألسنية الحديثة إلَّا بعض المصطلحات والمفاهيم الثانوية، أما المبادئ الأساسية كالنظام ووظائف وحداته وعلاقة بعضها ببعض، فإننا لا نجد فيها أثرًا لذلك، وهو ما يستوجب إعادة النظر فيها بصفة أعمق وأحدث، مع إثرائها وإنارتها بنتائج البحوث في اللهجات العربية العصرية على اختلافها».

ومنها عمله بكتابه «المنهج الصوتي للبنية العربية.. رؤية جديدة في الصرف العربي»، الذي **قال في مقدمته**: «إن المهم دائمًا هو الوصول إلى الحقيقة، ولكن وسيلة الوصول تختلف من عصر إلى عصر، ولقد كانت للأقدمين وسائلهم المناسبة لبلوغ ما طلبوا من الحقيقة، ثم مضوا إلى مستقرهم تاركين بصماتهم على ما خلّفوا من آثار ودراسات، فيها وصف لما عرفوا من الحقيقة من وجهة نظرهم، وجاء بعد ذلك دورنا في محاولة الوصول إلى الحقيقة، بوسائلنا لا بوسائلهم، ومن وجهة نظرنا، لا من وجهة نظرهم، ولكن عوامل التقليد تقف دائمًا دون هذه المحاولة في ميدان الدراسات العربية، ولا سيما النحو والصرف.

والتقليد هنا يشبه ما يُسمَّى بسياسة فرض الأمر الواقع، على أنه حقيقة يستحيل تغييرها، وليس في معارف البشرية ما يمكن أن يكون قد بلغ الكمال، حتى يستحيل تغييره، ما دام مصدره هو العقل الإنساني؛ فهذا العقل يؤكد في كل لحظة نقصه، بسعيه الدائب نحو كشف المجهول»؛ فأغرى أستاذَنا الدكتور سعد مصلوح بتأمُّل عمله، مُتَحَفِّظًا منه بمثل قوله: «أشهد أن هذا المنهج أثار

حفيظتي بالفعل، وليس حسنًا أن تذهب هذه الدعوة الكريمة بَدَدًا دونما جواب؛ ومن ثم عمدت إلى بعض ما عنَّ لي من ملاحظات، لأجعله تحت بصر مؤلِّف الكتاب وقرَّائه؛ لعله ولعلهم واجدون فيها ما يقع في دائرة النقد البنَّاء الذي يقوِّم المعوج ويسدُّ الخل».

ومنها عمله بكتابه «أبي آدم.. قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة»، الذي قال في أثنائه: «لا يطلق (لفظ إنسان) بمفهوم القرآن إلَّا على ذلك المخلوق المكلَّف بالتوحيد والعبادة لا غير، وهو الذي يبدأ بوجود آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وآدم على هذا هو [أبو الإنسان] وليس [أبو البشر]، ولا علاقة بين آدم والبشر الذين بادوا قبله تمهيدًا لظهور ذلك النسل الآدمي الجديد، اللهم إلَّا تلك العلاقة العامة أو التذكارية، باعتباره من نسلهم»؛ فأغرى أستاذَنا الدكتور محمد بلتاجي حسن بتأمُّل عمله، مُتَحَفِّظًا منه بمثل قوله: «قد حاكمنا كتاب الدكتور **عبد الصبور** إلى المعيار الذي قَبِلَه (مراعاة قداسة النصوص المنزَّلة وعدم مخالفة معلوم من الدين بالضرورة...)؛ فتهاوت مقولاته واحدة بعد الأخرى... فهل يعيد الدكتور **عبد الصبور** النظر في مقولات كتابه على ضوء ما فصَّلناه؟ نرجو ونأمل».

رَحِمَ الله أُسْتاذَنَا **الدُّكْتورَ عَبْدِ الصَّبورْ شاهينْ!**

قال لي مرةً أن بعضَ تلامذتي قالوا: ألا تمرُّ محاضرة من غير أن تذكر الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس؟ إن كثرة ترديد اللسان علامة تعلق القلب، ولقد تعلق أستاذنا **الدكتور عبد الصبور شاهين** بالدكتور إبراهيم أنيس؛ فلم يكن يترك ذكره لنا، ولا يملُّه، تعبيرًا عن أفضاله، وتنبيهًا على أعماله، لقد حظي بالجلوس إليه كما حظي غيره - وإن استفاد ما لم يستفيدوا - ثم حظي بإشرافه عليه في عمله برسالتيه للماجستير والدكتوراه جميعًا، فكانت بينهما علاقة وثيقة طويلة،

أَثَّرَتْ تأثيرًا كبيرًا في بناء تفكيره العلمي اللغوي وممارسته العملية التعليمية؛ حتى **قال فيه من آخر مقدمة كتابه: «أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي»**، الذي كان رسالته للماجستير: «أسجِّل هنا عرفاني لأستاذي المغفور له الدكتور إبراهيم أنيس، على ما أمدني به من مراجع وتوجيهات كان لها أبعد الأثر في إنجاز مهمتي؛ فكثيرًا ما دلَّني على وجهة الحق كما جنَّبني مزالق كثيرة، رحمه الله وجزاه عن العلم والمتعلمين جزاء العلماء، ولئن كان هذا البحث قد أُنْجِزَ في حياته، فقد كتب الله ألا ينشر إلَّا بعد وفاته، راجيًا أن يكون ذلك رضًا له في بَرْزَخِه».

وقال من آخر مقدمة كتابه «تاريخ القرآن»، الذي كان الجزء الأول من رسالته للدكتوراه: «لست أريد أن أضع القلم قبل أن أسجَّل هنا عرفاني العميق لأستاذي الدكتور إبراهيم أنيس الذي عاش معي هذه المحاولة، دفعني إليها، وسدَّد خطاي في طريقها».

وقال في أثناء مقدمته لكتابه «القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث»، الذي كان الجزء الأخير من رسالته للدكتوراه: «قد انتقلت موجة البحث اللغوي هذه إلى الشرق على يد جماعة من الرواد، الذين تلقُّوا مناهجه في أوروبا، ثم جاءوا إلى الوطن؛ ليقدِّموا إلينا ما تلقّوه عن أساتذتهم في صور مختلفة، وكان في مقدمة هؤلاء أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس الذي يُعد بحق أوَّل من حاول تطبيق مناهج علم اللغة الحديث في الوطن العربي على تاريخ العربية الفصحى، وخرج لنا بجملة من الملاحظات النظرية، تدعمها الشواهد اللغوية، وبخاصة في كتابه «في اللهجات العربية»، كما درس عدة ظواهر لغوية مهمة في كتابه «من أسرار اللغة»، وخصَّص كتابًا ثالثًا لدراسة الأصوات اللغوية، وكتابًا رابعًا لدراسة دلالة الألفاظ».

وفي إهداء كتابه «المنهج الصوتي للبنية العربية.. رؤية جديدة في الصرف العربي»، الصادر بعقب وفاة الدكتور إبراهيم أنيس في ١٩٧٧م، **يقول**: «أستاذي الدكتور إبراهيم أنيس، إلى روحك في الرفيق الأعلى، تحقيقًا لأمل طالما تمنيته، ووفاءً ممن علمته ورعيته، وعليك سلام الله ورحمته وبركاته».

وكذلك تعلَّق بالأستاذ محمود محمد شاكر الكاتب الأديب الفذّ، وطاب لديه ذِكْرُه، حتى دعانا في بعض محاضراته إلى الاستشهاد بلغته فيما نستشهد لِلُّغة العالية، وحكى لنا أنه كان يتردّد على مجلسه في أثناء ترجمته لكتب مالك بن نبي – صديقه العالم الجزائري الفذ – فلا يجد لنفسه مكانًا بين جبال الحاضرين الشامخة، ثم اتصلت بينهما الأسباب، حتى **قال في مقدمة ترجمته لكتاب «الظاهرة القرآنية» لمالك بن نبي**: «كان من فضل الله أن تولَّى أستاذنا الكبير محمود محمد شاكر، تقديم كتاب الظاهرة القرآنية إلى القرَّاء، هذا التقديم الثمين، الذي يُعدُّ بحق من أروع ما كتب في مسألة اتصال بيان العرب في الجاهلية بقضية إعجاز القرآن، وإني لأرجو الله مخلصًا، أن يتولى عنَّا جزاء أستاذنا، بقدر ما بذل من جهده وما ضحَّى من وقته، على عظيم تبعاته وخطر مسؤولياته».

ولم يؤثر في تقديره الكبير هذا لبيان الأستاذ محمود محمد شاكر عن مسألة «اتصال بيان العرب في الجاهلية بقضية إعجاز القرآن» – ميله الواضح في البيان عن إعجاز القرآن إلى الأستاذ سيد قطب خصيم الأستاذ محمود محمد شاكر، عن الأستاذ مصطفى صادق الرافعي حميم الأستاذ محمود محمد شاكر، حتى قامت لديه بعض عبارات «في ظلال القرآن» للأستاذ سيد قطب، بـ «إعجاز القرآن» للأستاذ الرافعي؛ فلم تكن كتابة الأستاذ الرافعي الغامضة على جمهور القُرَّاء؛ لتعدل لديه كتابة الأستاذ سيد قطب الواضحة لجمهور القُرَّاء، على رغم اعترافه بغلبة كتابة الأستاذ الرافعي عليه، في مرحلة من حياته!

لقد أنتج له رضاه عن نفسه، ثِقَةً واضحةً فيها، وأنتج له سَخَطُه على حال أمته، جُرْأَةً واضحةً عليها، ثم تَأَيَّدَتْ تلك الثقةُ بتلمذته للأستاذ محمود محمد شاكر الذي رصد حياته لتَوْثيق تلامذته بما بين أيديهم، وتَأَيَّدَتْ هذه الجرأةُ بتلمذته للدكتور إبراهيم أنيس الذي رصد حياته لتَجْريء تلامذته على ما بين أيديهم؛ فامتزج في شرابه المزاجان، والتأم في كسائه اللِّفْقانِ!

رَحِمَ اللهُ أُسْتاذَنَا الدُّكْتورَ عَبْدِ الصَّبورْ شاهينْ!

ما أحسن ما أحاط حياته العلمية بحياطة القرآن الكريم؛ فحصل في سنة ١٩٦٢م على الماجستير برسالة في «الأصوات في قراءة أبي عمرو بن العلاء»، نشرها فيما بعد بعنوان «أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي»، وحصل في سنة ١٩٦٥م على الدكتوراه برسالة في «دراسة صوتية في القراءات الشاذة»، نشرها فيما بعد على كتابين بعنواني «تاريخ القرآن» و«القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث»... حتى أتاه في سنة ٢٠١٠م اليقين وهو منقطع لتفسير القرآن الكريم!

وفيما بين هذين الحدَّين كانت له أبحاث مختلفة مؤتلفة، ومقالات وكتب، منها: «المنهج الصوتي للبنية العربية.. رؤية جديدة في الصرف العربي»، «في علم اللغة العام»، «في التطور اللغوي»، «العربية لغة العلوم والتقنية»، «دراسات لغوية»، «عربية القرآن»، «المنهج اللغوي في كتاب سيبويه»، «دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكُمبيوتر»، «الألفاظ الأجنبية في اللهجة الكويتية»، «نظرة في اللهجات والقراءات في السودان»، «المستقبل الحضاري للغة العربية»، «القومية ضرورة عربية»، «الإنسان المسلم»،«أبي آدم.. قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة»، «السنة والشيعة أمة واحدة»؛ بل كانت له **تحقيقات**

تراثيـة وتقريبـات؛ منهـا: «تحقيـق لطائـف الإشـارات لفنـون القـراءات للقسـطلاني»، و«تقريـب إحيـاء علـوم الديـن للغـزالي»، و«الرسـالة» للشـافعي.

رَحِمَ اللهُ أُسْتاذَنَا الدُّكْتورَ عَبْدِ الصَّبورْ شاهينْ!

كيـف حملتـه نفسـه عـلى تعلـم الفرنسـية حتـى انضـم وحـده إلى معهـد تعليمهـا، وكيـف بالـغ في طلبهـا فـوق مـا طلبهـا زمـلاؤه المنقطعـون لهـا، وكيـف صـبر عـلى ذلـك، واستسـهل المصاعـب! مـا أَطْرَبَـه حـين حدثنـا أنـه خـرج مـرَّة إلى ذلـك المعهـد، فـإذا السـماءُ مَطَـرٌ والأرضُ طـينٌ؛ فلـم يبـال بالمـضي في سـبيله بنعليـه القديمتـين النافرتـين، حتـى أَثْقَلَـتْ قَذائفُهـا الطينيَّـةُ جِلْبابَـه، وكادت تقلبـه رأسًـا لعقـب! ثـم كيـف أتقـن الفرنسـية فـوق مـا يطمـح الطامحـون، حتـى حكـى لنـا أسـتاذنا الدكتـور رجـاء عبـد المنعـم جـبر أنهـما زارا فرنسـا معًـا - ربـما كانـت المـرَّة الأولى - فأقبـل أسـتاذنا يكلـم الفرنسـيين بـما اسـتغربوا؛ حتـى قـال لـه أسـتاذنا الدكتـور رجـاء: تكلـم العامـة بالفرنسـية الفصحـى، وتنتظـر أن يفهمـوك، أو كـما قـال!

ولقـد كانـت عينـه كلـما قـرأ بالفرنسـية، عـلى مـا يفيـد أمتـه العربيـة الإسـلامية، في تحريـك واقعهـا، واسـتشراف مسـتقبلها؛ فهـو يترجـم أعـمالًا لغربيـين عـن الثقافـة العربيـة الإسـلامية، يريـد بهـا أن نَـرى أنفسـنا في عيـون الآخريـن - كـما في ترجمتـه لروجيـه جـارودي «فلسـطين أرض الرسـالات الإلهيـة»، وهنـري فليـش «التفكـير الصـوتي عنـد العـرب»، «العربيـة الفصحـى» - ويترجـم أعـمالًا لمسـلمين عـرب وغـير عـرب، عـن الثقافـة العربيـة الإسـلامية، يريـد بهـا أن نَـرى كيـف نُـري الآخريـن أنفسـنا - كـما في ترجمتـه لعبـد الله دراز «دسـتور الأخـلاق في القـرآن الكريـم»، ومالـك بـن بنـي: «الظاهـرة القرآنيـة»، «شروط النهضـة»، «وجهـة العـالم الإسـلامي»، «الفكـرة الأفريقيـة الآسـيوية»، «مشـكلة الثقافـة»، وكـما في مراجعتـه وتقديمـه لترجمـة ظفـر

الإسلام خان لكتابه أبيه وحيد الدين خان «الإسلام يتحدى»، وما أَطْرَبَه حين لاحظ تلاقي عمل وحيد الدين خان وعمل مالك بن نبي «الظاهرة القرآنية»، على منهج واحد؛ فقال: «ذلك أن خطوات هذا المنهج بنفس الترتيب تكاد تكون طبق الأصل من كتاب أخرجته من قبل مترجمًا عن الفرنسية، هو كتاب «الظاهرة القرآنية» (...) وهي ملاحظة غريبة في المنهج لا تنصرف إلى مادة الكتابين (...) وتفسير هذا التوافق ينحصر في توارد الأفكار على مشكلة واحدة»، وهي بهجة من اطمأن قلبه إلى وحدة منطلقه وغايته. ويترجم أعمالًا لغربيين في الثقافة الغربية، يريد بها أن نَرى نحن الآخرين أنفسهم - كما في ترجمته لبرتيل مالمبرج «علم الأصوات» - ولا يخلي أيًّا من ترجماته تلك، من مقدمات وتعليقات، يضبط فيها أمرها، بحيث يستقيم استيعابها، وتكتمل منفعتها.

رَحِمَ اللهُ أُسْتاذَنَا الدُّكْتورَ عَبْدِ الصَّبورْ شاهينْ!

لقد ألقى بين عينيه حَديثَيْ رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَه»، و«مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَه أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجامٍ مِنْ نارٍ يَوْمَ الْقِيامَةِ»، ثم أقبل يعلم تلامذته، بحرًا زَخّارًا فَيّاضًا سَمْحًا جَوادًا مَكينًا وَدودًا، وأنعم عليه الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما ينعم به على أساتذة الجامعة، من نعمة سابغة لا يعرف قدرها كثير منهم، هي طلاب الماجستير والدكتوراه، الذين يستطيعون أن يؤسسوا لأستاذهم أساس مدرسة يمضون به فيها إلى آماد لا يصل إليها وحده؛ فعرف نعمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وشكرها؛ فقسّم في جسوم تلامذته جسمه، ووزّع في عقولهم هَمَّه!

لقد وجَّه رسائل بعضهم إلى القرآن الكريم، **مثل**: «الرسم المصحفي.. دراسة لغوية تاريخية»، لغانم قدوري الحمد، «اختلاف المصاحف.. دراسة لغوية

تاريخية»، لعبد اللطيف السعيد يوسف الخميس، «قراءة المدينة في القرن الأول الهجري.. دراسة صوتية تاريخية»، لأحمد مصطفى أحمد أبو الخير، «دراسة لغوية إحصائية لأنماط الجملة البسيطة في القرآن الكريم»، لمحمد رضا كاظم الطريحي.

ووجَّه رسائل بعضهم إلى ما بين القرآن الكريم والتوراة، **مثل**: «أبنية المصادر في اللغتين العربية والعبرية واستعمالاتها في القرآن الكريم والتوراة»، لصلاح الدين صالح حسنين، «دراسة مقارنة لأساليب الاستفهام في العربية والعبرية في ضوء ما ورد في القرآن والتوراة»، لعبد الله علي مصطفى، «داود وسليمان في العهد القديم وفي القرآن الكريم.. دراسة لغوية تاريخية مقارنة»، لأحمد عيسى الأحمد.

ووجَّه رسائل بعضهم إلى مادة اللغة العربية غير القرآن الكريم، **مثل**: «اللغة العربية بين المذكر والمؤنث»، لإبراهيم عبد المجيد ضوة، «لغة أبي العلاء في رسالة الغفران»، لفاطمة الحبابي، «خواص لغة الطب عند الرازي كما تبدو في كتاب الحاوي»، لمحمد يوسف حبلص، «الألفاظ العلمية عند جابر بن حيان الكوفي.. دراسة لغوية ومعجم»، لفائق خلف سلمان، «دراسة لغوية لصور التماسك في لغتي الجاحظ والزيات»، ثم «دراسة صوتية للأخطاء النطقية وأسبابها لدى طلبة دار العلوم واختيار التدريبات العملية المناسبة للعلاج»، وكلتاهما لمصطفى صلاح قطب، «الربط بين التراكيب في اللغة العربية المعاصرة»، لمحمد حسن عبد العزيز، «الألفاظ الدالة على الكلام في اللغة العربية المعاصرة.. دراسة دلالية تأصيلية»، ثم «أفعال الحركة في العربية المعاصرة.. دراسة دلالية تركيبية»، وكلتاهما لمحمد إمام داود.

ووجَّه رسائل بعضهم إلى تاريخ اللغة العربية، **مثل**: «العربية في العصر المملوكي.. دراسة لغوية»، لهويدي شعبان هويدي، «اللغة العربية في عصر الحروب الصليبية كما

تمثلها كتب التاريخ.. دراسة لغوية تاريخية»، للبدراوي زهران.

ووجَّه رسائل بعضهم إلى ما بين اللغة العربية واللغة العبرية، **مثل**: «الإسرائيليات في تفسير الطبري.. دراسة في اللغة والمصادر العبرية»، لآمال محمد ربيع، «الشعر الديني العبري كما تمثله مزامير العهد القديم وعلاقته بالأدب العربي.. دراسة لغوية مقارنة»، لأحمد عيسى الأحمد، «أبنية الجموع في اللغة العربية.. دراسة مقارنة باللغات السامية»، لأحمد شوقي النجار.

ووجَّه رسائل بعضهم إلى علماء اللغة العربية، **مثل**: «ابن حزم لغويًّا»، ليعقوب يوسف الفلاحي، «ابن الطيب الفاسي وأثره في المعجم العربي مع تحقيق كتابه شرح كفاية المتحفظ»، لعلي حسين البواب، «كتاب مختصر القاموس المحيط لعلي بن أحمد الهيتي.. تحقيق ودراسة»، لأحمد مفرح السيد، «التفكير اللغوي عند العرب قبل سيبويه»، ثم «النقد المعاصر للنحو العربي.. دراسة لغوية»، وكلتاهما لفتحي محمد جمعة، «الفكر اللغوي بين سيبويه وابن جني.. دراسة تأصيلية نقدية»، لأشرف مصطفى رضوان، «الدرس الصوتي عند موفق الدين بن يعيش في ضوء علم اللغة الحديث»، لمنى إبراهيم صادق، «جهود البلاغيين العرب في مجال الأصوات والدلالة في ضوء علم اللغة الحديث»، لإبراهيم الدسوقي عبد العزيز، «وحدة التحليل الصرفي بين القدماء والمحدثين»، لمحمد أحمد حماد، «اتجاهات التحليل الفونولوجي في المدارس اللغوية المعاصرة مع محاولة تطبيقية على اللغة العربية»، لأحمد عزت البيلي.

بل وجَّه رسائل بعضهم إلى بعض اللهجات العربية، **مثل**: «الخواص التركيبية للهجة طرابلس الغرب ليبيا»، لعبد الله عبد الحميد سويد، «دراسة صوتية صرفية للهجة مدينة نابلس الفلسطينية»، لمحمد جواد النوري، «دراسة صوتية في لهجة

قبيلة الشايقية»، لبكري حاج أمين، «الأصوات والأبنية في لهجة قبيلة العبابدة بمحافظة البحر الأحمر.. دراسة في ضوء المنهج الوصفي»، لخالد حسن أبو غالية.

رَحِمَ الله أُسْتاذَنَا الدُّكْتورَ عَبْدِ الصَّبورْ شاهينْ!

أذكر أنني أرسلت إليه من مَكْمَني بغرفة عمليات لواء المشاة الميكانيكي ١٢٠ من الفرقة الثانية بالجيش الميداني الثاني، أوائل سنة ١٩٨٨م، أُعَبِّرُ له عن شوقي إلى محاضراته التي كان يُطَوِّفُ بنا فيها على معالم خبرته، يُعَرِّفُها لنا، وينقلها إلينا، **قائلا**: «ترحل بنا من علم الأصوات إلى علم الطائرات...»، وكلامًا كثيرًا كهذا، لا يعجب كثيرًا من الطلاب الذين يرون خروج المحاضر عن حدود الكتاب المقرّر، تَحْريفًا للكَلِم «مِنْ بَعْدِ مَواضِعِه»، حتى نابَذَهم التهمةَ بعضُ أساتذتنا، فسمّاهم: «الكِتابيّينَ»، وتلا عليهم: ﴿ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ ﴾.

لقد كانت محاضرته جرعةً ثقافيةً كاملةً مركبةً، أفكارًا وتجارب ورحلات وكتبًا ورجالًا ومواقف...، لا يفضل عنصر من عناصرِ مُرَكَّبِها عنصرًا؛ فمن المعروف من طبائع الأشياء بالضرورة، أن لعناصر المركبات وجودًا في مركباتها غير وجودها على انفرادها؛ لهذا كان لكلامه في أيٍّ من تلك العناصر، مذاق خاص عميق جليل مهيب، لقد كانت محاضرته صورة من شخصيته هو نفسه، وكان ملء الصورة، ملء السمع والبصر!

حاولت مرة أن أسجِّل محاضرته تسجيلًا صوتيًّا - ولم يكن تسجيل المحاضرات شائعًا كاليوم مألوفًا مطلوبًا، ولا حاولت أن أسجل لأحد غيره - فأبى! ربما أرادني أن أتقن الإنصات في الوقت، أو أن أتقن إيجاز الكتابة في أثناء الإنصات على طريقة ذوي المهارات المركبة؛ وكان ذلك التسجيل الصوتي شعار الطلاب الكُسالى!

رَحِمَ اللهُ أُسْتاذَنَا الدُّكْتورَ عَبْدِ الصَّبورْ شاهينْ!

ما أظرفه خطيبًا - وإنما ظَرْفُ هذه الأمة في لسانها - حاضر البديهة، لا تفلته النكتة، ولا تعجزه الملحة، حاد الصوت، عميق نبوعه، سليم مخارجه، منغوم صفاته، قصير الجُمَل، عربي اللغة، واضح الأفكار مرتبها متدفقها، قرآني الأسلوب، نبوي الأناة! وما أطربه حين حدثنا أن عجوزًا عجمية - ربما كانت من المستعربين حديثًا - استوقفته مرَّة؛ لتعبر له عن راحتها لخطابته الواضحة!

لولا خطابته بمسجد عمرو بن العاص بالقاهرة (أقدم مساجد أفريقيا)، خطبة الجمعة، ومجلسه بعدها، وكلمته بين التراويح في ليالي رمضان التي كان يؤم المسجد فيها مئات الآلاف - لذهب نصف ما انبعث للمسجد من صيت! خطيب موهوب، واعٍ مجدد، لا يشغل الناس بما لا يفيدهم عمَّا يتعلق به وجودهم، ولا يجمد لهم فيما بعد الاستراحة على ما كان قبلها فيُمِلّهم، حَيَويُّ المنهج غير منقطع إلى القديم ولا منقطع عنه؛ بل مازج مزجًا عجيبًا بين القديم والحديث والطموح إلى المستقبل! لن أجد مثل بركة مجلسه ذلك المهيب بالمسجد بعد الجمعة، وقد حَضَرَه رَجُلٌ لِيُسْلِم على يديه، **فقال له**: اغتسلت؟ **قال**: نعم. **قال**: هيا اشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله! فشهد الرجل، فكَبَّر الحاضرون، فكفكف من صخب تكبيرهم **قائلا**: ما لكم! ما لكم! الله أكبر دائمًا!

وما أصدق العامة في التعبير عن نعمة الله عَزَّوَجَلَّ به عليهم! ذَهَبْتُ أوائلَ تسعينيّات القرن الميلادي العشرين، أعزي أستاذنا الدكتور سعد مصلوح عن وفاة زوجته، فإذا وفد المعزين كامل العَدَد، فيه الكبار والصغار، الأساتذة والطلاب، وإذا سرادق العزاء كامل العُدَد، فيه الخشب والقماش والمصابيح والمكبرات، وفيه قارئ القرآن، وفيه واعظ المُعَزّين! قرأ القارئ شيئًا من كتاب الله، ثم قام الواعظ، فإذا هو من جهلة الوعاظ وسخفائهم، يهذي بكلام لا

يقبله لا عقلاء ولا مجانين، ولا مؤمنون ولا جاحدون، وبجانبي أستاذنا الدكتور محمد عبد المجيد الطويل يَرُدُّ سَخافاته واحدة واحدة لا يسمعه غيري، ولا يعلم إلَّا الله كيف كَظَمْتُ ضَحِكي! وأمامي أستاذنا الدكتور إسماعيل سالم ينصح له أن يكتفي! فلم ينتصح، بل أفرط، فوقف له الدكتور إسماعيل، ونهره، فارتدع: واستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم! ولمَّا يستوفِ العزاءُ مَوْعِظَتَه؛ فاستوى في مكانه فجأة أستاذنا **الدكتور عبد الصبور شاهين**، فتَدَفَّقَ ارتجالًا بسَلْسبيل فُتوحاته، فسالَتْ بتَخاريف ذلك الواعظ المُسْتَأْجَرِ، حتى جاء شيخ هرم لا أعرفه إلى أستاذنا الدكتور سعد مصلوح يهنئه: الله، يا دكتور سعد! أرأيت كم يُحِبُّها رَبُّنا! أرأيت كيف يَسَّرَ للوَعْظِ في عزائها **الدكتور عبد الصبور شاهين؟**

رَحِمَ اللهُ أُسْتاذَنَا **الدُّكْتورَ عَبْدِ الصَّبورْ شاهينْ!**

ما أَبَرَّ إشارته إلى فضل أبويه عليه، في إهداء كتابه: «أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي»، **قائلا**: «إلى والديَّ في برزخهما بعدما غَرَسا فيَّ حياتهما، غَمَرَهما الله بالرحمة والرضوان؛ «كما رَبَّياني صَغيرًا»! **عبد الصبور**». ولقد يكفي في الدلالة على بِرِّ ما بين الوالدين وابنهما، حفظُه القرآن الكريم وهو دون السابعة؛ فإنه تاج كرامتهما في الآخرة، وتاج رقي درجته في الدنيا والآخرة. ولولا كرامة والدي حافظ القرآن، لم يكن سبيل إلى مكافأة فضلهما، إلا بأن ينجب مثلما أنجبا، ويُفْضِل على أبنائه مثلما أَفْضَلا؛ لتستمر سبيل ذلك حتى يرث الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الأرض ومن عليها، ولقد فهم أستاذنا ذلك، وسعى في سبيله، حتى قال في إهداء كتابه: «العربية لغة العلوم والتقنية»: «إلى أولادي: محمد عمرو، وهشام، ومروان، وأميرة، ولبنى - آملًا أن تكونوا بسبب من العلم النافع، وداعيًا أن تكون ثمرته فيكم نعمة العلم بالله، وشرف العمل الذي ينفع الناس

– دعوة كانت من جدكم لأبيكم في قِبلة الأزهر الشريف، ثم ها أنتم أولاء أورثتموها؛ الحمد لله! **عبد الصبور**». فسبيل العلم النافع الممهدة، متصلة من والد أستاذنا إلى أبنائه، محروسة باليقين والإخلاص والإتقان والثبات والرضا.

وكما أَيَّدَتْ والدَه فيما سبق والدتُه، أَيَّدَتْهُ زَوْجَتُه؛ فلم يكن لينسى فضلها عليه؛ بل تَحَبَّبَ إليها في إهداء كتابه: «القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث»، قائلا: «إلى زوجتي، وفاء بحقها، وعرفانًا بفضلها، وإني لأحس في أعماقي أن ما منحتنيه من عون ورعاية، هو مثال تأتسي به بنات حواء، من رافقت منهن أحدًا من العلماء أو الباحثين». ولم يكن الودود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليخيب مسعاهما؛ بل أنبت لهما أبناءهما نباتًا حسنًا، وجعلهما بهجتهما الدائمة، وعونهما الحاضر، حتى لَيَعْتَمِدُ على بعضهم، في بعض أعماله الخاصة، قائلًا في أوائل ترجمته لكتاب: «علم الأصوات»، لبرتيل مالمبرج: «يسجل المُعَرِّبُ الوالِدُ شكره خالصًا لابنته الآنسة أميرة الطالبة بكلية الطب جامعة القاهرة، على إنجازها الممتاز لما حفل به الكتاب من رسوم إيضاحية»، غير مستغن عن أن يعيد ذلك في أواخرها، **قائلاً في إطار مزخرف**: «أنجزت هذه الرسوم والأشكال الإيضاحية، الآنسة **أميرة عبد الصبور شاهين** [1]، وأضافت إليها رسماً إيضاحيًّا للأذن وأجزائها السمعية، هو الذي يجده القارئ ملونًا على غلاف الكتاب، كما يجده ملحقًا بدراسة الأذن ص٤٠-٤١، دون أن يأخذ رقمًا مسلسلًا بين رسوم الكتاب».

رَحِمَ اللهُ أُسْتاذَنَا **الدُّكْتورَ عَبْدِ الصَّبورْ شاهينْ**، وَلَمْ يَحْرِمْنا أَجْرَه، وَلَمْ يَفْتِنّا بَعْدَه! آمين!

(١) هي الآن أستاذ في القصر العيني.

الدكتور عبد الصبور لغويًّا

الأستاذ الدكتور محمد حسن عبد العزيز [1]

الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين شخصية فريدة، متعددة الجوانب، هو ممن يصدق فيهم القول القديم: «**نسيج وحده**» اجتمعت فيه ملكات كريمة لم تجتمع إلَّا فيمن ندر من الرجال الذين تتعب في مرادهم الأجسام، واجتمعت فيه خصال جميلة محببة من بساطة التعامل وتسامح النفس؛ بل كانت تجري على لسانه النكتة المهذّبة الحلوة.

الدكتور عبد الصبور شاهين داعية إسلامي، قضى حياته كلها مخلصًا للدعوة؛ إذ كان يخطب في جامع عمرو بن العاص، وكان الناس يجتمعون إليه من كل أنحاء مصر والعالم العربي والإسلامي، وكنت لا تجد في ساحة المسجد الواسعة أو في رحابه من خارجه مكانًا لمصلٍّ، ولما أن ضاق أمن الدولة بدعوته ومُنع من الخطابة فيه أقام بجوار بيته العامر مسجدًا يدعو فيه إلى الله، وكان المسجد يغص بقصادة – مع مشقة الذهاب إليه – وظل يمارس الدعوة فيه حتى أقعده المرض عن اعتلاء المنابر، وقد حضرت بعض خطبه في المسجدين فما وجدت أطلق منه لسانًا بالقرآن الكريم، وأحلى من حديثه مع قوة في الرأي والحجة، وكان في خطبته يخصص جزءًا منها في الحديث عن مشكلات العصر، ولم يكن يتحرج قط من مهاجمة الظلم والظالمين والفساد والمفسدين.

---

(١) الأستاذ بقسم علم اللغة – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

والدكتور عبد الصبور إعلامي بارز، أدرك بوعي وحِرْفية قوة أجهزة الإعلام، وأحسن استغلالها أيّما إحسان، وكان الناس يجتمعون في البيوت وفي المقاهي؛ ليشاهدوا برنامجه الناجح «ندوة العلماء»، ولما أن ضاق به أمن الدولة لجأ إلى قنوات أخرى عربية يمارس فيها دعوته الإسلامية؛ بل أعدَّ في بيته حجرة لإنتاج البرامج.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعشق الأضواء والجماهير، وكان من طرائفه التي حدثنا عنها عقب انتهاء إعارته لجامعة الكويت: إذا فتحت التليفزيون وجدت **عبد الصبور**، فإذا ما أغلقته وفتحت الحنفية وجدت **عبد الصبور**.

وكان له في برامجه الإعلامية حضور آسر بفضل ما يتمتع به من خصال النفس الطيبة، ومن الذكاء الألمعي وحسن التأني، ومن طلاقة اللسان وحلاوته، ومن التمكُّن من التراث العربي والإسلامي.

والدكتور عبد الصبور مترجم ماهر في اختيار ما يترجمه وفي أسلوب ترجمته، قلما تجد في ترجمته عوجًا أو إبهامًا، تقرأ فتحسّ فيما تقرأ وكأنه من تأليفه ومن إبداعه. ويكفيه نجاحًا أنه قدَّم لنا أعمالًا أصيلة في الفكر الإسلامي المكتوب بالفرنسية، ترجم السفر العظيم «دستور الأخلاق في القرآن» للشيخ دراز، وعرّفنا بالمفكر الجزائري مالك بن نبي، وترجم كتبه، كما ترجم كتاب المفكر الهندي وحيد الدين خان «الإسلام يتحدَّى»، وترجم للمفكر التونسي عبد المجيد التركي «مناظرات بين ابن حزم والباجي في أصول الشريعة».

ويكفيه فخرًا أنه ترجم كتاب الفيلسوف الفرنسي جارودي «فلسطين أرض الرسالات»، فهذه المترجمات قدَّمت لنا فكرًا جديدًا عميقًا، وكان لها وما يزال آثارها الكريم.

رَحِمَ الله أستاذنا **الدكتور عبد الصبور شاهين**.

عبد الصبور شاهين أستاذًا مربِّيًا

الأستاذ محمد خالد الفجر (١)

إن الإنسان ليقف حائرًا عندما يريد أن يكتب عن أستاذه، فكيف إذا كان أستاذه قد كتبت عنه أقلامٌ لها باعٌ في الكتابة، فإنه عندها يحاول أن يستجمع حبر قلمه، وأن يعصر فكره ويختار كلماته؛ فلذلك أجدني لا أعرف كيف أبدأ كلماتي بالحديث عن أستاذي **الدكتور عبد الصبور شاهين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي جمع أهم صفات الأستاذية وهي: (العلم، والتربية)، وغابت معانٍ كثيرة، يقرؤها الطالب في الكتب عن علاقات الأستاذ بتلامذيه، ويراها منعزلة عن الواقع الذي يعيشه، الذي صار فيه إيجاد مُربٍّ من النوادر، لاسيما إذا كان من ذوي الاختصاصات الأكاديمية التي خلت في معظمها من عنصر الروح، وغاب عن كثير من العاملين في هذا المجال أنهم مربون؛ لذلك لا يُعدُّ الحديث عن مربٍّ أكاديمي في هذا الزمن الذي نعيشه حديث جموح خيال، أو حديث مثاليات؛ لأن دور الأستاذ الأساسي هو إيجاد باحث جاد، ودراساتنا الإنسانية همُّها الإنسان لغةً وفكرًا وثقافةً؛ لذلك لا بد للأستاذ من جانبٍ إنسانيٍّ يفيض به على طلابه.

وإنني واحد من طلاب العلوم الإنسانية تأكَّد لي من خلال دراستي أن العلم لا ينفصل عن الخلق؛ بل إنني لا أنسى كلمة أستاذ في علم الفلسفة الإسلامية عندما قال: «إننا بحاجة لعالم ممتَّع بالخلق أكثر من حاجتنا لعالم كبير مُجرَّد من الخلق»، وقد وجدت ذلك في أستاذنا العالم المربِّي **الدكتور عبد الصبور شاهين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأسكنه في فردوسه الأعلى، وإنني سأكرِّس هذه الأسطر حول

(١) باحث في مجمع اللغة العربية بدمشق.

علاقته بطلابه؛ لِأنني وكثيرًا من زملائي كنا نتوق لأن نرى أستاذًا همُّه طلابه، يعيش معهم يشاركهم فكرهم وهمهم، ويحاول أن يُشعل فيهم رغبة البحث والعلم، وأن تكون هذه الرغبة جزءًا من كيانهم لا يفارقهم في جميع الأحوال.

وجدتُ هذه الصفات كلها في أستاذي، فمنذ لقائي الأوَّل به رأيته متمتعًا بشيئن أساسيين لا بد من وجودهما فيمن كان عمله الاحتكاك بالعقول وتدريس علوم تلامس المشاعر والأحاسيس، هذا الشيئان هما: القدرة على تلطيف جو المحاضرة، وصنع جو من المحاورة، وبهما يبقى العقل يقظًا والفكر دقيقًا، وهكذا كان في إشرافه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكذلك في معاملاته مع طلبة لا يعرفهم، من هنا سأجعل هذه الورقة في ثلاثة محاور تتناول شخصية أستاذنا:

المحور الأول: طريقته في التدريس.

المحور الثاني: أسلوبه في الإشراف.

المحور الثالث: ربطه العلم بحياة الناس.

المحور الأوَّل: طريقته في التدريس:

كان للدكتور **عبد الصبور شاهين** منهج وطريقة مستقلة به في تعليم طلابه؛ فلم يكن همُّه أن يلقِّن طلابه معلومات يجهلون كيفية توظيفها في حياتهم العلمية والاجتماعية، كما لم يكن يجعل من الطالب وعاءً يلقي فيه ما في ذهنه دون أن يكون لهذا الطالب دورٌ في المناقشة والمحاورة؛ بل إلى درجة المخالفة للأستاذ، فأسلوبه كان يقوم على البداء بموضوعات مرتبطة بالمجتمع، يشدُّ من خلالها انتباه طلابه، وكم من مرَّة كانت هذه المواضيع مرتبطة بعلم الأصوات – في السنة التمهيدية للماجستير – والطلاب يتعلمون من حيث لا يشعرون.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يموج بين الواقع وبين العلم الذي يدرسه، كان يُبيِّن لنا مثلًا طريقة بعض الناس في التعريف بشخصياتهم عن طريق أصواتهم، فكان يقلِّد لنا أصوات أصحاب المهن.

وكان وهو يدرس الطلبة علم الأصوات يربط بين صفات الأصوات ومخارج الحروف، وبين من طبَّقها من المقرئين، وكيف كان شيوخ القراءات مدارسَ يتعلَّم منها أشهر المطربين كيفية الأداء ونطق الأصوات.

وعُرِف عنه تحدُّثه عن ذكرياته، والحصيف يربط بين سيرة الأستاذ وما وصل إليه ويقارن بنفسه، وما البشر وذكرياتها إلَّا مدارس تربوية عملية؛ لأن الكتب تبقى تنظيرًا وما ينجزه الإنسان يصبح مثلًا يمكن لغيره أن يحققه، ومع أنها ذكريات شخصية إلَّا أن فيها فوائد علمية، **من ذلك**: حديثه عن تعلُّمه العزف على العود، وأنه كسره بعد أن خشي من مستقبل يؤول إليه، ويكون محصورًا بأوتار العود دون التأثير للعقول؛ لكنه أشار بعد ذلك إلى أن تعلُّم العزف أفاده في ناحية أخرى كان لها الفضل عليه في تخصصه، **تلك الفائدة هي**: إتقانه للمقامات، وما الأصوات إلَّا مقامات وما الأوتار الصوتية وجهاز النطق إلَّا آلة يعزف الناس عليها، فتصدر أصواتهم.

إن الكلام السابق لا ينفصل عن اختصاص علم الأصوات، وإن اعترض البعض على هذه الطريقة أو رآها خارجة عن المنهج الأكاديمي، **وهنا يأتي السؤال**: هل الطريق التي كان يتبعها أستاذنا خارجة عن الأسلوب العلمي، أم أن الأسلوب العلمي الذي رُبِّينا عليه في جامعتنا يحتاج إلى نظر؟

من وجهة نظر شخصية أرى أن الفصل بين الجوانب الحياتية والعلوم – ولا سيما الإنسانية وخاصة علوم اللغة العربية – هو الذي أدَّى إلى نظرة الدُّونية إلى

مـن يتعلـم علـوم اللغـة العربيـة؛ لأن النـاس ظنـوا أن طالـب علـوم العربيـة محصـور بزيـد وعمـرو، ومشـغول بمـن ضرب الآخـر...

لذلـك كانـت طريقـة أسـتاذنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ تشـحذ همـة مـن يحـب العلـم، وتجعلـه يربـط بـين حياتـه وبـين علمـه، وكـم نحـن بأمـسِّ الحاجـة إلى مشـاريع لغويـة تخـدم حيـاة النـاس، ولم يكـن الأسـتاذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينفـرد بالـكلام؛ بـل كنـا نشـاركه التفكـير، فمسـائل كثـيرة كانـت تُطـرح في أثنـاء قـراءة الكتـاب، **مثـل**: المسـائل النحويـة والصرفيـة والبلاغيـة والمعجميـة والدلاليـة؛ أي مسـتويات اللغـة كافَّـة.

إن بعـض الطـلاب لا شـك كانـوا يتململـون، ولكنـي كـما ذكـرتُ سـابقًا أن أسـلوب تعلُّمهـم هـو الـذي أدَّى إلى توليـد هـذا الشـعور عندهـم؛ لأننـا في جامعاتنـا العربيـة اعتدنـا عـلى أن نوحِّـد بـين العلـم والوجبـات السريعـة، فكـما أن الهمبرجـر لا يسـتغرق وقتًـا، فكذلـك المـادة تكفيهـا وريقـات تلخـص مـا فيهـا.

وأكثـر مـا يؤيّـد مـا أقولـه أن طالبًـا يابانيًّـا كان يقعـشر بدنـه عندمـا يقـول الطلاب للأسـتاذ: أسـتاذنا حـدِّد لنـا مـا هـو المطلـوب في الامتحـان، مـع أن زميلنـا اليابـاني كان يسـجِّل كلَّ كلمـة يقولهـا الأسـتاذ عـلى جهـاز مـن صنـع اليابـان، فهـل هـذا اليابـاني بـلاده متخلفـة في مناهـج العلـم فلـم يُـدرك خـروج الأسـتاذ عـن المنهـج العلمـي؟!

وأمـا أهـم نقطـة في طريقـة تدريسـه فهـي: تكويـن شـخصية بحثيـة في علـوم اللغـة؛ فقـد كنـا حـول تخريـج بعـض الكلـمات ومعرفـة أصولهـا فيكـون السـؤال حلقة بحـث يُكلَّـف بإعدادهـا أحـد الطـلاب، وتتـمُّ مناقشـة الطالـب في المـادة التـي جمعهـا، وهكـذا كان الباحثـون يـرون أنهـم يمتلكـون أدوات البحـث مـن خـلال مطالعتهـم، وكذلـك مـن خـلال الإفـادة مـن مناقشـات الأسـتاذ وأسـئلته وتوجيهاتـه.

وأما **نقده لتعليم اللغة العربية** فيتمثل في رفضه الفصلَ بين علوم العربية والحياة، أو بين العربية وعلوم الحياة؛ ولذلك كان ينقد الذين يعلِّمون اللغة العربية لغير المتخصصين، ويقررون عليهم مقررات لا علاقة لها بمجال علم الطالب، وانطلاقًا من رؤيته هذه طبَّق رؤيته في كتابه سمَّاه «العربية لغة العلم والتقنية»، عندما كان يدرّس في إحدى الجامعات السعودية لطلاب الطب، **فقال**: عن طالب الطب لا يهمه دراسة شعر المتنبي في اختصاصه، ولا علاقة لاختصاصه بمسائل النحو والصرف المعقدة؛ لذلك على الأستاذ الخبير أن يقدِّم له ما يبيِّن أن اللغة مهمة لهم، فكان كتاب «العربية لغة العلم والتقنية» مثالًا لذلك؛ لأن الكتاب يبيَّن كيفية معالجة أجدادنا للمصطلحات العلمية الطبية وغيرها، وكيف أنهم جعلوا اللغة خادمة لتوصيل علومهم للناس، وكيف اشتقُّوا منها أوزانًا تَقَوْلبت فيها مصطلحاتهم العلمية، ثم إن الكتاب يبيِّن في نهايته كيفية توظيف اللغة لخدمة ما نريده في أيامنا.

إن ما طرحه الأستاذ يُعدُّ مهمًّا جدًّا لإعادة التواصل بين الفروع العلمية ولغتنا العربية، وحبذا لو تصبح هذه الفكرة مشروع توظيف لطلاب الدراسات العليا في فروع: العلوم البحتة، وعلوم اللغة الأجنبية والعربية؛ بحيث يختار طلاب العلوم الكتاب الذي يرون أهمية ترجمته، ويترجمه طلاب اللغات الأجنبية، ويصوغه طلاب اللغة العربية، وذلك بإشراف أساتذة كبار من الفروع المختلفة، عندها يمكننا طرح السؤال الآتي: هل تُفضِّل الدراسة باللغة العربية أم بالأجنبية؟ أما وأن الكتب العربية بعيدة أو متأخرة سنوات عما يُصنَّف من علوم، فمن البديهي أن يفضِّل الطالب اللغة التي توصله إلى ما يجد من معارف في الحقل الذي يعمل فيه.

إن العرض السابق هو مقتطفات حاولت أن أعرض فيها شخصية أستاذنا في طريقة تعليمه في قاعات الدراسة؛ لأنني لا أرى هذا العرض مجرد تعبير عن حب، وإنما هو حاجة لمعرفة منهج أستاذ ومفكر، وهل كان فكره مطبَّقًا في درسه أم أنه مجرد تنظير لا ارتباط بينه وبين الواقع، أعتقد أن العرض السابق كافٍ لمعرفة ذلك.

المحور الثاني: أسلوبه في الإشراف:

إن همَّ طالب الدراسات العليا أن يحظى بمُشرفٍ يُنير له الطريق، ويساعده في اجتياز المصاعب، ويهوِّن عليه متاعب طريق البحث، كلُّ ذلك وأكثر كان مجتمعًا في أستاذنا؛ ولذلك لم يكن غريبًا أن ترى الطلاب من كل حدبٍ وصوبٍ يتسابقون إلى الحظوة بإشرافه، وسيرته الشخصية تبيِّن عدد الطلاب المصريين والعرب والمسلمين الذين درسوا على يديه.

فلماذا كان هذا التسابق؟ إن أول أمر هو رغبتهم في التتلمذ على يديه بعد أن رأوه في قاعة الدرس، فيتمنّى كل طالبٍ أن يكون الدكتور **عبد الصبور** مشرفًا عليه؛ لأن أول شيء كان يقوم به هو أن يزيل من الطالب رهبة البحث وأن يبدِّلها بالرغبة في البحث، ويحاول أن يكون الموضوع في الماجستير ممثلًا مرحلة تجهيز للمرحلة التي تليها ألا وهي الدكتوراه، وكان يرى أن الطالب في مرحلة الماجستير عليه أن يختار موضوعًا كبيرًا في الكمِّ؛ حتى يخلص منه إلى نتائج مرضية من حيث الكيف؛ لأنه كان يرى أن توافر المادة يساعد على معرفة المشكلة البحثية وكيفية معالجتها، ومن ثَمَّ استخلاص النتائج.

وكان يُوصي طلابه في الماجستير بأن يُهيَّئوا لغويًّا في هذه المرحلة؛ كي تكون مرحلة الدكتوراه مُكرَّسة لإبداع شيء جديد، كما كان يوصيهم أن يكون الموضوع

الـذي يختارونـه مـشروع حيـاة لا ينتهـي بمجـرد الحصـول عـلى الشـهادتين (الماجسـتير والدكتوراه).

وأمـا قراءتُـه لعمـل طالبـه فتُذكِّـر بطـرق الأوائـل؛ إذ يقـرأ الطالـب عليـه بحثـه، ويتابـع الأسـتاذ معـه كلمـة كلمـة وفقـرة فقـرة، فيناقشـه بمسـائل نحويـة وصرفيـة، ويطـرح عليـه مسـألة فكريـة أو تسـاؤلًا يفتـح عـلى الطالـب صفحـات كثـيرة، وأذكـر أن أحـد أسـاتذتي السـوريين بـيَّن لي جَـدْوى الطريـق التـي يتبعهـا أسـتاذنا وكَوْنهـا مهمـة في هـذا الزمـن؛ لأننـا نفاجـأ بحسـب قولـه بطلبـة يصعـدون منـبر المناقشـة ولا يحسـنون القـراءة بعربيـة فصيحـة.

المحور الثالث: ربطه العلم بحياة الناس:

لم يكـن الأسـتاذ مكتفيًـا بـأن يكـون أسـتاذًا لطـلاب الجامعـة؛ بـل إنـه كان في كل موطـن وفي كل موقـف يجـد فيـه ضرورة للتعليـم يُعلِّـم؛ سـواء أكان مـع سـائق سـيارة أجـرة، أم في لقـاء إعلامـي، أم في مؤتمـر علمـي، إنـه كان يحـاول رفـع المسـتوى الثقـافي للنـاس جميعهـم، مـن حرقـة كانـت في قلبـه، ومـن رغبـة في أن تعـود الأمـة حيـة في عملهـا وفكرهـا وسـلوكها، ففـي حياتـه كان يعمـل عـلى محاربة الأميـة بتوظيف شـباب وفتيـات يعلمـون النـاس الـذي لا يملكـون مـن الحيـاة إلَّا فتاتهـا، فـكان يحمـل همهـم، ويـرى أن تعليمهـم واجـب، وأنـه أيضًـا لا يقتـصر عـلى إفادتهـم وحدهـم؛ بـل إن ذلك ينعكـس عـلى المجتمـع كلـه، فإنـه كان يـرى أن تعليـم غـير المسـتطيعين والقادريـن يخفِّـف مـن كثـرة المنحرفـين، ويطهِّـر المجتمـع مـن أدران الجهـل، فكانـت لديـه فكـرة قـال: إنهـا حلـم، وقـد بـدأت تـرى النـور، وهـي تأسـيس معهـد لتعليـم أبنـاء أفقـر النـاس، وأن يكـون المعهـد متكامـلًا علميًّـا وصحيًّـا وثقافيًّـا وتربويًّـا، ولا أنسـى قولـه: إن كل مـا أنجزنـاه في حياتنـا كانـت بدايتـه حلـم وأمـل وصـار حقيقةً وواقعًـا.

عَشِقَ اللغة عشقًا يعرفه كل من قرأ له أو سمعه؛ لأنها أوَّلًا لغة كتاب الله تعالى، وثانيًا لما فيها من أصوات تلامس شغاف القلب، **وكل من سمع لغته قال: إن لغة الدكتور عبد الصبور شاهين موسيقا منطوقة**، فقد حرص على التقويم اللغوي في كل مكان، فتراه يصحِّح الخطأ لكل من يلحن بلطفٍ وأناةٍ، وبابتسامة تجعل الكاره للعربية يحاول أن يعيد رأيه فيها.

إن ما كتبته من أسطر لا يفي أستاذنا حقه؛ لأنه جَمْعٌ لخصالٍ يحبها ويتمناها كلُّ عاشقٍ للإنسانية وعاشقٍ للعلم، ولا أنسى قولة زميلنا الياباني: إننا في اليابان نعرف ثلاثة من علماء اللغة العربية هم: الدكتور تمام حسان، والدكتور كمال بشر، و**الدكتور عبد الصبور شاهين**، أفلا يستحقون أن تُدوَّن عنهم كلمات من عرفهم عن قرب وجالسهم؟! فعسى أن تكون الكلمات التي ذكرتها قد ألَمَّت بجانب من شخصية أستاذنا، وإن قال قائل مبالغة لا تجوز في العلم، فأقول من ذاق عرف، وأتمنَّى ألا يحرمه الله مما ذُقْنَا.

ورحل أبو حنيفة عصره .. الدكتور عبد الصبور شاهين

الأستاذ الدكتور محمد داود (١)

أهل العلم هم ميزان العقول في الأرض، وعماد الحضارة للأمم، وسبيل رفعة الإنسان، قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١].

ولما أراد الله أن يرفع الإنسان منزلة كريمة في بدء الخلق لم يكن ذلك بمال أو بجاه وإنما كان ذلك بالعلم، فعلّم آدم الأسماء؛ كي يعترفوا بمنزلته، يظهر ذلك من قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٢].

وما أمر الله رسوله النبى الكريم محمد ﷺ بسؤال الزيادة من شىء من دنيا الناس إلَّا العلم، قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

إن بناء العقول وهدايتها رسالة الأنبياء؛ لذلك استحق العلماء العاملون الصادقون أن يكونوا ورثة الأنبياء، وهذه الخواطر غلبت مشاعرى لما وصل إليَّ نبأ وفاة عالم كريم ومفكر فذّ وإنسان عظيم، أستاذنا **الدكتور عبد الصبور شاهين**.. رحل في صمتٍ كما كان يعمل في صمتٍ، وكفاه حفاوة الملأ الأعلى به بعد أن همَّش مجتمعنا المعاصر – الذي غرق في ماديته إلى أذنيه – العلماء، لكن ذكرهم مرفوع عند رب العالمين، وقيمتهم عند الله غالية، وقدرهم عند الله عظيم، بما أسدوا إلى الحياة من قيم عظيمة وعلم نافع وتهذيب للنفوس.

---

(١) أستاذ اللغويات بكلية الآداب – جامعة قناة السويس.

والدكتور **عبد الصبور شاهين** شخصية فذة ومفكر من الطراز الفريد، أثرى الحياة العلمية بالإشراف على أكثر من ٤٠٠ رسالة ماجستير ودكتوراه، وتفاعل مع الواقع فاختير عضوًا بمجلس الشورى، وظلَّ خطيبًا لسنوات عديدة بمسجد عمرو بن العاص، وكانت خطبه تأخذ منهجًا فريدًا في تفسير القرآن الكريم فوق المنبر، وكان يتفاعل مع قضايا الأمة وكان مهمومًا بها؛ فعن القضية الفلسطينية كان كتابه الذي يمثل عنوانه صرخة مدوية للأمة تحت عنوان «علِّموا أولادكم القضية» - يقصد القضية الفلسطينية - حتى لا تُنسى بمرور الزمن وتوالي الأجيال، وكان حائط صدٍّ وفارسًا لا يُشقُّ له غبار في الدفاع عن الإسلام في وجه العلمانية، وخاض في سبيل ذلك معارك فكرية ساخنة.

والدكتور **عبد الصبور شاهين** كان يميل إلى مدرسة الرأي والفكر، فهو أبو حنيفة عصره، وقد أثرى الحياة الفكرية بكثير من الآراء التي اشتجر حولها الخلاف أحيانًا، وكان مهمومًا بالأمة وما عليه حالها من اختلافات؛ فكان يدعو إلى أمة موحدة الصف، مرجعيتها القرآن الكريم والثابت الصحيح من السُّنة النبوية المطهرة.. أما عن مصر العامرة، فقد خصَّها من علمه بعمل عنوانه «مصر في الإسلام» بالاشتراك مع زوجته الأستاذ إصلاح الرفاعي.

وكان متعاطفًا في موقفه من المرأة؛ فاشترك مع زوجته في جملة من الإنتاج الفكري، منها: «موسوعات أمهات المؤمنين»، و«صحابيات حول النبي»، و«أميرة الجامعة فاطمة بنت إسماعيل»، وغيرها من المؤلَّفات.

وقد زادت مؤلَّفاته عن ستين مؤلَّفًا، لكن أعظم مؤلَّفاته هو أنه كان يحفظ عن أسوته وقدوته في الدعوة الشيخ حسن البنا منهج تأليف الرجال، **ويقول**: «إن تأليف الكتب أمر هين يستطيعه أي باحث، لكن تأليف الرجال أمر يحتاج إلى حكمة وبصيرة، وتربية وتضحية، إنه أمر ليس بالسهل الهين».

وكان أستاذنا **الدكتور عبد الصبور شاهين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ من سَدَنَة العربية بحق، فكم تصدَّى لافتراءات المستشرقين والمتطاولين على العربية، وكم قدَّم للمجتمع من باحثين مخلصين، وفوق ذلك كان يفتح بيته وقلبه لمحبي العربية وبحوثها، وكانت سعادته بالإنفاق على الباحثين تفوق سعادة تحصيل المال عند من يسعون لجمعه، ومن بين كلماته ومواقفه **أني سألته يومًا**: هل تحس بشيءٍ من التعب نحو تلاميذك الذين لن تجد منهم وفاءً في زمنٍ قلَّ فيه الوفاء، **فقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا، **فقلت له**: لماذا؟ **فقال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لكي يكون جهدي معهم خالصًا لوجه الله تعالى.. ثم أردف **قائلًا**: وأنا أعذرهم فظروف حياتنا صعبة.

وقد أسَّس مدرسة علمية رائدة، من أنبغ أعلامها: الدكتورة بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن.. كما أن صاحب هذه الكلمات يعتزُّ بأنه واحدٌ من تلاميذ مدرسته الأوفياء، وقد أسهم في إقامة مؤسسات دينية لخدمة الدعوة والعمل الإسلامي، فأسَّس مسجد دار القرآن، ولجنة الزكاة به، وأشرف على إنشاء مجمع معاهد دينية.

رَحِمَ الله عالمنا الذي كان يعمل لما صار إليه الآن، و«الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»[1]، كما أخبر سيدنا النبي ﷺ ولعل في رحيله في صمتٍ ما يلفت انتباهنا إلى أن نُولي علماءنا حقهم من التقدير والإجلال؛ فهم الأسوة والقدوة، وهم عماد الحضارة للأمة، وميزان العقول في الأرض.

تغمَّد اللهُ فقيدنا الجليل بالرحمة، وأدخله فسيح جناته، وأبقى ذكره عطرًا في العالمين، ونفعنا بعلمه إن شاء الله تعالى.

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي في «سننه»: كتاب صفة القيامة، برقم (٢٦٤٧)، وضعَّفه الألباني في السلسلة الضعيفة.

الدكتور عبد الصبور شاهين كما عرفته

الدكتور نعيم عبد الغنى [1]

كنت صغيرًا أراه في التلفاز، وأسمعه في المذياع، فتأسرنى لغته، وصوته الرخيم، وفى ليلة من الليالى سمعته يتكلم عن الدكتور محمد عبد الله دراز، وأنه ترجم له كتابه «دستور الأخلاق في القرآن» من الفرنسية إلى العربية..

وظل اسم الدكتور **عبد الصبور** في ذهنى حتى التحقت بكلية دار العلوم، ورأيت الدكتور أستاذًا لمادة الأصوات، يحضر في الثامنة صباحًا، وهو في قمة النشاط، مرتديًا قبعته السوداء أو البنّية، ثم يتحدث معنا في المحاضرة وكأننا في ندوة عامة.. يتحدث في اللغة والأدب والشريعة، ويجيب على أسئلة الطلاب، وما زالت لفتاته مؤثرة في شخصيتى إلى اليوم.

وحصلت على الليسانس من كلية دار العلوم، ثم ذهبت خلف الدكتور **عبد الصبور** في أثناء دراستى العُليا، لأحضر له خطب الجمعة، وأستمتع بخطبه وهو يفسر القرآن، وفى الخطبة الثانية يتحدث عن أمور المسلمين العامة.

ظللت هكذا حتى تقرّبت منه مع زملائى، فنصحنا في مِحراب مسجده الذي بناه بعد أن أوقف عن الخطابة من مسجد عمرو بن العاص- قال:

(١) رابطة أدباء الشام ١ أكتوبر- تشرين ٢٠١٠م.

عليكم بالمنابر لاتتركوها فهى مدرسة لمن أراد أن يتعلم.. وتلقفت نصيحته، وكنت أذاكر خطبة الجمعة طوال الأسبوع بحثًا عن فكرة جديدة.

وشغلتنى الحياة، ولكن كنتُ له متابعًا، وكدت أن أكون قريبًا منه عندما جلست معه في مكتبته العامرة التي بناها فوق المسجد، وتكاد أن تكون مكتبة جامعة لا مكتبة شخصية.. فيها أرفف زاخرة بكتب التفسير والحديث والشريعة والأدب والعقيدة والفلسفة ومختلف العلوم مع تخصيص مكان لكتبه التي ألفها أو ترجمها، ومكان آخر للرسائل التي أشرف عليها أوناقشها، وهى قرابة ألف رسالة علمية، وهو جهد متميز كمًا وكيفًا، ولا شك في ذلك.

وإنى أسطر هذه الخواطر على عجل وفاءً لأستاذيته وعرفانًا بقدره وحقه، بعد أن رحل إلى دار البقاء، نسأل الله أن يتغمده برحمته الواسعة.

الدكتور عبد الصبور شاهين
وجهوده في الدعـوة الإســلاميــة

الأستاذ الدكتور محمد نبيل غنايم [1]

الحمـد لله والصـلاة والسـلام عـلى رسـول الله وعـلى آلـه وأصحابـه ومـن والاه وبعـد...

فمـن نافلـة القـول أن نقـول: إن المرحـوم كان عالمًـا موسـوعيًّا، صـال وجـال، وتحـدَّث وكتـب في معظـم حقـول اللغـة العربيـة والعلـوم الإسـلامية، في الداخـل والخـارج، وكان علـمًا خفّاقًـا في المحـاضرات والنـدوات والمؤتمـرات والمؤلَّفـات والمترجمـات، وكان نجـمًا إذاعيًّـا وتلفزيونيًّـا في معظـم القنـوات، وكان داعيـة مطبوعًـا عـلى منـبر رسـول الله ﷺ يجـذب الجماهـير ويلتـف حولـه المعجبـون، كـما كان سياسـيًّا في عضويتـه بمجلـس الشـورى، وقائـدًا مـبرزًا في عضويتـه للمجلـس الأعـلى للشـئون الإسـلامية، وأمـام هـذه الموسـوعة لا أسـتطيع الحديـث عنـه في شـتى المجـالات؛ بـل لا أسـتطيع أن أوفيـه حقـه في مجـال واحـد؛ لـذا سـأكتفي بإطلالـة موجـزة عـن نشـاطه الدعـوي، وخدمـة العلـوم الإسـلامية.

(أ) في المساجد:

اعتـلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ العديـد مـن المنابـر داخـل مـصر وخارجهـا، وكان مـن أعظمهـا

(١) أسـتاذ الشريعـة الإسـلامية بكليـة دار العلـوم – جامعـة القاهـرة. وقـد ألقيـت هـذه الكلمـة في حفـل التأبـين.

منبر مسجد عمرو بن العاص بمصر القديمة؛ ذلك المسجد الذي يؤمُّه الملايين، وكان لا يزال منارة للإسلام والمسلمين، ومن فوق هذا المنبر دعا إلى الله على بصيرة، وصال وجال في سائر الموضوعات الدينية، من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق، ثم ختم ذلك بتفسير كتاب الله عَزَّوَجَلَّ مع الربط الواضح السهل اليسير بواقع الأمة وقضايا العصر، ولما ضُيِّق عليه سياسيًّا وأمنيًّا، وعُزِل من منبر مسجد عمرو بن العاص وحبه في الدعوة والإخلاص فيها قام ببناء مسجد في حدائق الأهرام بالجيزة؛ ليتابع فيه الدعوة إلى الله، ويتم فيه تفسير كتاب الله تعالى حتى يلقى الله عَزَّوَجَلَّ على ذلك، ولما علم محبُّوه بذلك انتقلوا إليه وتابعوه حتى توفَّاه الله تعالى، وكان تبادل التعازي في وفاته أمام مسجد عمرو بن العاص.

(ب) في الإذاعة:

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب صوت رخيم وأسلوب رصين وكانت كلماته بليغة راقية، فاستضافته معظم الإذاعات العربية من القاهرة إلى الكويت إلى السعودية في برامجها المتعددة؛ ليتحدث عن الإسلام عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا ومعاملات، وكان يقدِّم كثيرًا من أحاديث الصباح ومقدمات التلاوة ومكارم الأخلاق وقيم الإسلام، وكانت له مساحة كبيرة في إذاعة القرآن الكريم، وكانت الإذاعات التي لا تستطيع استضافته تشتري أو تطلب من الإذاعات الأخرى برامجه وتذيعها وتكرر إذاعتها.

(ج) في التليفزيون:

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذا طلَّة مشرقة، ووجه جذّاب، وبسطة في العلم والجسم؛ فاستضافه المذيعون والمقدِّمون في برامج متعددة، كان معظمها حواريًّا وبعضها إلقائيًّا، وجميعها في الدعوة إلى الله تعالى، وتحليل القضايا الدينية والاجتماعية، **ومن**

أشهرها: حديث الروح، ونور على نور، وندوة للرأي، والمائدة المستديرة، كان ذلك في التليفزيون المصري الرسمي مع كبار المذيعين والإعلاميين، **من أمثال**: أ. أحمد فراج، أ. حلمي البلك، أ. طارق حبيب، هذا فضلًا عن البرامج الأخرى في اللغة العربية وآدابها وقضاياها وأعلامها، وعلى مستوى القطاع الخارجي كانت له مشاركات كثيرة في قنوات غير مصرية، كالإمارات أو الكويت أو غيرها، وقد شاركته في بعض هذه البرامج، ثم تطوَّر الأمر، فأسندت إليه بعض القنوات إعداد وتقديم برامج دينية وفكرية يديرها، ويستضيف إليها، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يأخذ ضيوفه إلى أستوديوهات خاصة في العمرانية بالجيزة، أو في حدائق القبة بالقاهرة، أو في الكوم الأخضر بالهرم، ولمّا لم يجد سبيلًا إلى هذه الأستوديوهات الخاصة أعدَّ جزءًا من بيته في حدائق الأهرام؛ ليكون مكانًا للتسجيل، وقد استضافني مع المرحوم د. محمد بلتاجي أكثر من مرة في هذا الأستوديو المنزلي، فقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجلًا عمليًّا معتدلًا يهمه إنجاز الأمر بعيدًا عن الإسراف والغلاء والزِّحام، وكانت بعض القنوات الغربية تستضيفه في بلدها بضعة أيام ليسجِّل برنامجًا من عدة حلقات، وقد تكرَّر هذا عدة مرات في البلد الواحد، وعدة بلاد.

(د) في الكتابة والتأليف:

أسهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إسهامًا كبيرًا في خدمة الدعوة الإسلامية عن طريق الكتابة والتأليف، وتعدَّدت وسائل هذه الكتابة، فمن صحافة يومية إلى مجلات أسبوعية أو شهرية أو فصلية، إلى بحوث ومؤتمرات، إلى كتب ومؤلَّفات، ومن ترجمة كاملة لبعض الأعمال الإسلامية القيمة بلغات غربية إلى اللغة العربية، أو مشاركة في ترجمة أو إشراف عليها ومراجعتها، ومن كتب عربية مستقلة إلى كتب مشتركة، ولا تكاد الصحف المصرية والعربية والمجلات المحلية أو الخارجية تخلو من مقال

لـه أو حـوار معـه أو تعليـق عـلى مـدى خمسـين عامًـا عـلى الأقـل في قضايـا دينيـة أو اجتماعيـة أو سياسـية أو ثقافيـة.

(هـ) أما المؤلَّفات العربية فكثيرة ومتنوعة منها:

رسـالتاه للماجستير والدكتـوراه في قسـم علـم اللغـة عـن القـراءات القرآنيـة هما: أثـر القـراءات في الأصـوات والنحـو العـربي عنـد أبي عمـرو بـن العـلاء، والقـراءات القرآنيـة في ضـوء علـم اللغـة الحديـث.

١ – قـال عـن الأولى وهـي رسـالة الماجسـتير: أثـارت قـراءة أبي عمـرو بـن العـلاء مشـكلة خطـيرة كانـت ومـا زالـت مثـار جـدل كبـير بـين المشـتغلين بالدراسـات اللغويـة، فَلَكَـمْ هـي مشـكلة الإعـراب أو بعبـارة أدق مشـكلة التحريـك والإسـكان... وقـد عالـج بحثنـا المشـكلة عـلى أسـاس جديـد يسـتمد مادتـه مـن آراء سـيبويه وابـن جنـي.. ثـم قـال عـن المنهـج في رسـالته: أمـا المنهـج الـذي رسـمته لهـذه الدراسـة، فيحتـوي إجمـالًا هـذه المقدمـة وأربعـة أبـواب وخاتمـة؛ **البـاب الأول**: درسـت فيـه شـخصية أبي عمـرو في ذاتهـا وعلاقتهـا، **والبـاب الثـاني**: خصصتـه لعـرض أحـكام أبي عمـرو في اختيـاره لقراءتـه، **البـاب الثالـث**: درسـت فيـه أصـوات القـراءة ومـا يتصـل بهـا مـن ظواهـر لغويـة، **والبـاب الرابـع**: تعرضـت فيـه للمشـكلات التـي أثارتهـا القـراءة مـن الوجهتـين اللهجيـة والنحويـة، ثـم لخَّصـت في الخاتمـة أهـم مـا توصلـت إليـه مـن نتائـج بحثـي هـذا ليسـت سـوى خطـوة في الطريـق الصحيحـة...».

واختيـار المرحـوم لرسـالته عـن القـراءات القرآنيـة لبنـة كـبرى في خدمـة القـرآن والدعـوة الإسـلامية.

٢- أما **الثانية** فهي **رسالته للدكتوراه**، وهي امتداد للخط الذي بدأه في رسالة الماجستير في خدمة القرآن الكريم والقراءات القرآنية والدعوة الإسلامية، فجاءت كما نرى بهذا العنوان القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث.

يقول في مقدمتها رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يحار المرء حين يواجه هذا الحشد الهائل من الروايات وهذه الأمشاج الغريبة من الظواهر اللغوية، ماذا يأخذ وماذا يدع، غير أني تخيرت من بينها ظاهرتين سيطرتا على كل اهتمامي حين كنت أتحسَّس طريقي لإنجاز هذه الدراسة فكان هذا الكتاب – الرسالة – محاولة لتطبيق مناهج علم اللغة الحديث على القراءات القرآنية في حدود هاتين الظاهرتين، ولذلك انقسمت الدراسة إلى بابين: **الباب الأول** خصصته لدراسة أعقد مشكلات الأصوات باللغة الفصحى مشكلة الهمزة، وقسمت الباب الأوَّل للدراسة النظرية والثاني للدراسة التطبيقية، وكان منهج هذا الباب وصفيًّا ثم تاريخيًّا ثم معياريًّا...

والباب الثاني قد كان دراسة لظاهرة من أبرز ظواهر الشذوذ، وهي كثرة الوجوه الشاذة المتواردة على الكلمة الواحدة بصرف النظر عن الوجوه الصحيحة، والباب ينقسم **قسمين**؛ أولهما لدراسة التعدد في نطاق الألفاظ الأعجمية وقد غلب على هذا الباب المنهج الاستقرائي، وبعد، فلست أريد أن أختم هذا الحديث قبل أن أقرِّر أن استخراج المادة وتحقيقها على جسامته، وتنفيذ المنهج على مشقته، وكتابة الدراسة على طولها لا تعدل هذه كلها عملًا لا يكاد يظهر للقارئ، وهو أن هذه الدراسة قامت حول كلمات، وأمثلة مفردة، وشوارد غريبة، وأني أمام هذا كله كنتُ كمن راحه بناء بيت من حبات رمل، فهو يلزق الحبة إلى الحبة، ويؤلِّف الذرة إلى الذرة على ما في عمله من مظنة الضلال ومغبة سواء التقدير...» وهكذا كان العزم وكان الجهد وكانت المشقة في خدمة القراءات القرآنية، فجزاه الله خير الجزاء.

(٣) تاريخ القرآن، نشر دار القلم سنة ١٩٩٦م القاهرة.

جاء في مقدمته قوله: «شغلني أمر تاريخ القرآن ومشكلاته منذ بعيد، منذ عقلت ما تنطوي عليه حركة هذه الأمة التاريخية من حيوية، وما لف هذه الحركة من خباب القرون، حتى أصبحت مشكلاتها التاريخية راسبة تحت طبقات يضغط بعضها على بعض، ولا يكاد يظهر منها السطح سوى ملامح طفيفة، هي ما يعدُّه كثيرٌ من الناس جوهرَ هذه المشكلات والهيئات، والذين يطالعون عبارة تاريخ القرآن كثيرًا ما يتصورون أن الأمر من الوضوح؛ بحيث يكفيهم بشأنه صفحات يسيرة تلم جوانب هذا التاريخ المضيء الضخم، الذي هو في حقيقته تاريخ انبثاق هذه الأمة المجيدة بحضارتها الخالدة، وكان تاريخًا على هذه الدرجة من الخطورة يمكن أن يكون بسيطًا خاليًا من التعقيد، مجرد أحداث جرت في زمان ومكان معينين، يمثل الزمان والمكان كل ما فيها من أبعاد...».

ثم قال: «وهذا الكتاب يشتمل سبعة فصول عالجت فيها تاريخ القرآن ابتداءً من قضية الأحرف السبعة حتى آخر ما أَلَّف في القراءات الشاذة بمفهومها العام، ومنهجنا فيه تاريخي، مع اعتناء خاص بنقد مذاهب المستشرقين ومن أخذ عنهم، والتصدي لما أهملته المحاولات السابقة من مشكلات خاصة بذلك التاريخ.

وبعد، فليس هذا الكتاب تاريخًا تتبعيًّا للقرآن، وإن تضمن أغلب أحداث هذا التاريخ، وإنما هو مواجهة لما ثار في وجه هذا التاريخ من ضلالات وشبهات، طالما انخدع بها شبابنا وهو يتناول ثقافته على مائدة الغرب، ولقد يلمس القارئ في متابعته غلبة الأسلوب المعملي والتركيب المنطقي للحقائق، دون لجوء إلى وسائل بيانية قد تهزُّه وتطربه، ولكنها عاجزة تمامًا عن إقناعه ودعم

يقينه، وقد تعمَّدنا هذا السلوك لأمرين: **أولهما**: أن هذا الكتاب مدخل إلى دراسة علمية متعمقة في أخطر قضايا تاريخ القرآن ولغة القرآن... **وثانيهما**: أن ما يهمهم في دراسة أمثال هذه المشكلات ليس هو الجانب الجمالي في النص على أية حالة، وإنما هو الفكر النقدي... ولست أريد أن أضع القلم قبل أن أسجل هنا عرفاني العميق لأستاذي الدكتور إبراهيم أنيس الذي عاش معي هذه المحاولة ودفعني إليها وسدَّد خطاي في طريقها، والحمد لله الذي هدنا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

(٤) موسوعة أمهات المؤمنين دراسة في سيرهن ومروياتهن بمشاركة السيدة زوجته الأستاذ / إصلاح عبد السلام الرفاعي، ونشرته دار الزهراء للإعلام العربي ١٩٩١م، ثم دار نهضة مصر.

والكتاب – الموسوعة – مهمٌّ جدًّا؛ لأن أمهات المؤمنين أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ، وما يتنزل عليه من الوحي، ومن هنا يكون أكثر قربًا إلى التشريع الإسلامي والرسالة الإسلامية والدعوة إليها، ومن هنا جاءت هذه الآية الكريمة في أولى صفحاته: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت]، وقد كان منهن الفقيهات والمفسرات والمحدِّثات، وكان وراء تقديم هذه الموسوعة للمسلمين تقديم الأسوة الحسنة من رسول الله ﷺ وأهل بيته، **يقول الدكتور عبد الصبور شاهين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **وزوجته الفاضلة في مقدمة الموسوعة:**

«طرحت فكرة هذه الموسوعة عن البيت النبوي نفسها علينا، ونحن نبحث في موضوع «الأسوة» معناها ودليلها ومجالاتها في محاولة لفهم قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ

كَثِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب]، وعن أهمية دور أمهات المؤمنين في حياة النبي ﷺ في التشريع الإسلامي والدعوة الإسلامية وتبليغها، **قال المؤلِّفان**: واختار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يكون عدد أزواج النبي ﷺ كبيرًا، وأن تختلف انتماءاتهن القبلية، وأن تجتمع بينهن ابنتا أحب الناس إليه، وابنة أعدى أعدائه، وأن تكون منهم القرشية والهاشمية واليهودية والنصرانية، والعربية والقبطية، والحضرية والأعرابية، وحديثة السن والوسطية والعجوز لا ليكُنَّ أزواجًا للنبي ﷺ فحسب؛ بل لأنهن مكلَّفات بمهمة تاريخية لم تكلف بها امرأة قط بموجب عقد الزوجية؛ أي أن النبي ﷺ كان كلما تزوَّج امرأة أضاف شاهدًا على حياته، ولمنحه جملة من العيون على أسراره، وهي وظيفة للزواج تفرَّد بها البيت النبوي، ولم يعرفها بيت إنسان جليل أو قليل في التاريخ كله»...

«فإذا أضفن إلى ذلك ما سعى إلى تحقيقه هذا الكتاب من جمع الأحاديث المروية عنهن أو المسندة إليهن وتصنيفها والتعليق عليها أدركنا ما أضافه هذا العمل إلى مجالات الدراسات الإسلامية من جهد نقدي وديني وتاريخي، ولا ريب لدينا بأن هذا الكتاب سوف يكون زادًا مهمًّا لكل داعية؛ إذ يضع بين يديه مادة غزيرة من الروايات ومن الآراء، كما أنه يجمع كل مأثورات أمهات المؤمنين وتراجمهن على كثرة مصادرها وتفرقها ما بين كتب الحديث والتاريخ والتفسير وغيرها.

(و) وقام رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بالاشتراك في تحقيق كتب التراث ضمن لجنة إحياء التراث الإسلامي**، وهي إحدى لجان المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، **فمن ذلك**:

«لطائف الإشارات لفنون القراءات للإمام شهاب الدين القسطلاني، تحقيق وتعليق: **الشيخ عامر السيد عثمان والدكتور عبد الصبور شاهين**، القاهرة

١٩٧٢م، الكتاب السادس والعشرون، وجاء في تصدير هذا الكتاب بقلم **الأستاذ محمد أبو الفضل** إبراهيم رئيس لجنة إحياء التراث الإسلامي بالمجلس **قوله**: «من الكتب الفريدة النادرة في ذلك – القراءات وأحكامها – كتاب «لطائف الإشارات لفنون القراءات للإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر المعروف بالقسطلاني» وهو كتاب كبير شامل مستوعب لأصول هذا العلم، جمع فيه عصارة كتب المتقدمين، وخلاصة آراء المتأخرين وأتى في الشرح والبسط والاستيعاب بما لم تستطعه الأوائل، وكان نشره وتحقيقه أملًا يراود كل مهتمٍّ بعلوم القرآن إلى أن انتُدب لذلك العالمان الفاضلان: **الأستاذ الشيخ عامر عثمان والأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين**، وهما من العلماء المتخصصين في هذه الفنون، فحققاه على المخطوطات التي اعتمدتها لجنة إحياء التراث، وجعلاها أصولًا يدور عليها التحقيق، وأفرغها جهدهما في الضبط والتعليق، فجاء عملهما مما تقرُّ به أعين العلماء، وخاصة المهتمين بالعلوم القرآنية في جميع الأقطار الإسلامية، وهذا هو الجزء الأول، ويتبعه بقية الأجزاء إن شاء الله، والله الموفق للخير والسداد.

(ز) أما الترجمات الكاملة التي قام بها منفردًا، فمنها:

«دستور الأخلاق في القرآن»: دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، ملحق بها تصنيف للآيات المختارة التي تكون بالدستور الكامل للأخلاق العملية للدكتور محمد عبد الله دراز تعريب وتحقيق وتعليق **الدكتور عبد الصبور شاهين**، ومراجعة الدكتور السيد محمد بدوي، وهي دراسة عظيمة وترجمة دقيقة لخدمة الإسلام والدعوة الإسلامية؛ حيث جاء في مقدمة المراجع قوله: «لم يكتف الباحث بتوضيح النظرة الإسلامية؛ بل كان يجليها مقارنتها بآراء المفكرين والفلاسفة، وكان لا يترك مناسبة إلَّا استعرض فيها رأي من علماء الغرب، أو

نظرية من النظريات السائدة يبين ما في هذه النظرية أو في ذلك الرأي من تصوُّر أو خطأ، ويعقب ذلك ببيان كمال النظرية الأخلاقية في القرآن الكريم.

وظل جمهور المثقفين من العرب والمسلمين يسمعون عن هذا العمل القيم دون أن يستطيعوا قراءته والاستفادة منها؛ حتى قيَّض الله أستاذًا شابًّا من خيرة شباب العرب والمسلمين هو **الدكتور عبد الصبور شاهين** الذي ندب نفسه طيلة أعوام ثلاثة لترجمة النص الفرنسي إلى العربية، وقد جمع صفات وميزات قلما تتوافر لمن يتصدى لمثل هذا العمل الضخم، فهو إلى جانب تكوينه وثقافته الدينية العميقة أستاذ اللغة العربية، كما أنه يتقن اللغة الفرنسية التي درسها دراسة جادة، وترجم منها إلى العربية عدة كتب لعدد من العلماء والفلاسفة، ولم يأل المترجم جهدًا في أن يضع في خدمة النص كل ما يستطيع من أساليب التوثيق والإيضاح التي تخدم قارئ العربية، وتعمق ثقافته الدينية...»، ثم **يقول عن الدكتور عبد الصبور**: «وأشهد انه قد بذل في الترجمة جهدًا كبيرًا وذلك لصعوبة النص في بعض المواضع، ودقة الأفكار الفلسفية التي تعرَّض لها».

ولا بد أنه قد وقف – مثلما وقف وقفة عند مراجعة الترجمة – ساعات طويلة أمام عبارة من العبارات حتى يطمئن إلى دقة الترجمة وإلى التعبير من المعنى الذي قصد إليه المؤلِّف، أما **الدكتور عبد الصبور شاهين** صاحب الترجمة أو التعريب، فيقول عن هذا العمل وجهده فيه: «من ذا الذي كان يتصوَّر مثلًا أن يتم العمل الذي نقدّمه اليوم إلى العالَم الإسلامي على نحو ما نرى، وأن يكون المسهمون فيه بهذه الدرجة من الارتباط بالأستاذ الإمام محمد عبد الله دراز الأوَّل باريس والثاني في القاهرة – وكيف ظلت هذه الرسالة دون تعريب حتى الآن على جلالها، والدنيا كلها تعرف بوجودها، والمعربون بحمد الله كثرة كثيرة، وفيهم من قرأها ودرسها؟...

والحق أن المؤلِّف – فيما أرى – لم يكن يكتب هذا العمل على أنه مجرد وسيلة إلى هدف هو نيل إجازة دكتوراه الدولة في الفلسفة من السربون، فقد كان بوسعه أن يحقق هدفه بأقل مما بذل من جهدٍ، ولكنه كان يحمل في ضميره رسالة هذا الدين الداعية إلى السلام في فترة كانت أوربا خلالها؛ بل العالَم كله من حوله كتلة ملتهبة من الصراع والدمار، وأسوأ ما قاد أوربا والعالَم معها إلى ذلك المصير المحزن هو بلا شكَّ الخراب الأخلاقي الذي ران على وجوه الحياة السياسية والاجتماعية والفردية...

وسط هذه الخرائب وتحت هدير المدافع والقنابل وضعت هذه الرسالة أشبه بصرخة في وادي الدمار والدموع والفساد والضياع، عسى أن ترتد الإنسانية الأوربية إلى رشدها، وتفيد عبرة من تجربتها الأليمة، وتختار طريقة أخرى من أجل السلام والخلاص، ولا ريبَ أن الإسلامَ هو الحلُّ الأمثلُ لكل ما تعاني منه الإنسانيةُ أوربية أو غير أوربية من الدواء، ولكن من ذا الذي يفتح الأعين على نور الحقيقة؟ من العسير أن تقوم ثورة أخلاقية دون منهاج تترسمه والكتاب الذي نقدّمه اليوم يتضمن هذا المنهاج فهو «دستور الأخلاق في القرآن»، وهو رسالة ضمير صادق الإيمان، عميق الإدراك لمشكلات عالَمه، وبخاصة العروبة والإسلام، سديد النظر إلى ما جاء في القرآن من إشارات عميقة دقيق الحكم في كل ما قدَّم من مناقشات تفسيرية أو مقارنات فلسفية وما أحسب مؤلِّفه – رضوان الله عليه – إلَّا راضيًا تمام الرضا في برزخه وهو يشرف من الملأ الأعلى؛ ليرى كلمته الصادقة تتحرك من جديد بلغة القرآن؛ لتسهم في صنع الحياة وبناء الإنسان المسلم الذي لا يجد قدره إلَّا في مجالات الصراع وميادين القتال ضد أعداء الله والأخلاق القرآنية». ويضيف: «وإني لأرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه من دعوة إلى الخير، وتحديد لحجم المشكلة الأخلاقية وحلها على

أساس التعاليم القرآنية وقد نزل في رسولها شهادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم].

وكتاب مترجم آخر هو: **الظاهرة القرآنية، لمالك بن نبي، ترجمة د. عبد الصبور شاهين، إصدار دار الفكر، القاهرة، ١٩٦١م.**

في الصفحات الأولى من هذا الكتاب يقدّم **الدكتور عبد الصبور شاهين** شكرًا وتنبيهًا يقول فيهما: «لقد كان من فضل الله أن تولى أستاذنا الكبير محمود محمد شاكر تقديم كتاب «الظاهرة القرآنية» إلى القراء، هذا التقديم الثمين الذي يعدُّ بحق أروع ما كُتب في مسألة اتصال بيان العرب في الجاهلية بقضية «إعجاز القرآن»، وإني لأرجو الله مخلصًا أن يتولى عنا جزاء أستاذنا بقدر ما بذل من جهده، وما ضحى من وقته على عظيم تبعاته وخطر مسؤولياته.

وإني لأتقدَّم بالشكر هنا إلى الأستاذ الدكتور محمود قاسم رئيس قسم الدراسات الفلسفية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، على توجيهاته التي أفدت منها كثيرًا، وإلى الأستاذ المحدث محمد فؤاد عبد الباقي على تفضُّله بتحقيق ما عسر علي تحقيقه من أحاديث الكتاب، وهي التي رمزنا إليها بحرف (ف).

والحمد لله الذي هدانا لهذا. وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (المترجم).

وهكذا ينوه المرحوم **الدكتور عبد الصبور شاهين** بالجهود المباركة التي تضافرت في هذا الكتاب القيِّم؛ سواء من مؤلِّفه العبقري مالك بن نبي، أو من مترجمه المتمكِّن الدكتور **عبد الصبور**، أو من مقدِّمة المفكر الكبير محمود شاكر، أو من الأساتذة الأجلاء الذين أفادوا المترجم وأعانوه: د. محمود قاسم، وأ. محمد فؤاد عبد الباقي، وجميعهم عمالقة، رحمهم الله أجمعين.

وكتاب موضوعُه القرآن الكريم، ومؤلِّفُه ومترجمُه ومقدِّمُه ومشرفوه هؤلاء العمالقة – جديرٌ بالعناية والاهتمام؛ لأنه من أسس الدعوة الإسلامية وحصونها.

وهذا ما جعل **الأستاذ محمود شاكر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول في مقدمته الطويلة المفيدة المفصلة التي تُعتبر بحثًا كاملًا في «إعجاز القرآن» **يقول** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **عن الكتاب**: «هذا كتاب «الظاهرة القرآنية» وكفى، فليس عدلًا أن أقدِّم كتابًا هو يقدم نفسه إلى قارئه، وبحسب أخي الأستاذ مالك بن نبي وبحسب كتابه أن يشار إليه، وإنه لعسير أن أقدِّم كتابًا هو نهج مستقل، أحسبه لم يسبقه كتاب مثله من قبل. وهو منهج متكامل يفسره تطبيق أصوله، كما يفسره حرص قارئه على تأمل مناحيه. ولا أقول هذا ثناء، فأنا أعلم أن رجلا أثنى على رجل عند النبي ﷺ فقال له: «ويلك! قطعت عنق صاحبك»، قالها ثلاثًا. ومالك أعزُّ عليَّ من أن أقطع عنقه بثنائي أو أهلكه بإطرائي، ولكن أحسبني من أعرف الناس بخطر هذا الكتاب، فإن صاحبه قد كتبه لغاية بيّنها، ولأسباب فصّلها. وقد صهرتني المحن دهرًا طويلًا، فاصطليت بالأسباب التي دعته إلى اتخاذ منهجه في تأليف هذا الكتاب ثم أفضيت إلى الغاية التي أرادها، بعد أن سلكت إليها طرقًا موحشة مخوفة.

وقد قرأت الكتاب وصاحَبتُه، فكنت كما قرأت منه فصلًا وجدت نفسي كالسائر في دروب قد طال عهدي بها، وخُيِّل إليَّ أن مالكًا يؤلِّف هذا الكتاب إلا بعد أن سقط في مثل الفتن التي سقطتُ فيها من قبل، ثم أقال الله عثرته بالهداية فكان طريقه إلى المذهب الصحيح، هو ما ضمنه كتابه من بعض دلائل إثبات إعجاز القرآن، وأنه كتاب منزّل، أنزله الذي يعلم الخبء في السموات والأرض، وأن مبلغه إلى الناس ﷺ، رسول صادق قد بلغ عن ربه ما أمره بتبليغه، وأن بين هذا الرسول الصادق وبين الكلام الذي بلّغه حجازًا فاصلًا، وأن هذا الحجاز

الفاصل بين القرآن وبين مبلغه حقيقة ظاهرة، لا يخطئها من درس سيرة رسول الله ﷺ فاحصًا متأملًا، ثم درس كتاب الله بعقل يقظ غير غافل.

وهذا المنهج الذي سلكه مالك، منهج يستمد أصوله من تأمل طويل في طبيعة النفس الإنسانية، وفي غريزة التدين في فطرة البشر، وفي تاريخ المذاهب والعقائد التي توسم بالتناقض أحيانًا، ولكنها تكشف عن مستور التدين في كل إنسان. ثم هو يستمد أصوله من الفحص الدائب في تاريخ النبوة وخصائصها، ثم في سيرة رسول الله، بأبي هو وأمي، منذ نشأته إلى أن لحق بالرفيق الأعلى. ثم في هذا البلاغ الذي جاء ليكون بنفسه، دليلًا على صدق نفسه، أنه كلام الله، الفارق لكلام البشر من جميع نواحيه.

وخلال هذا المنهج تستعلن لك المحنة التي عاناها مالك، كما عانيتها أنا، وكما عاناها جيل من المسلمين في هذا القرن؛ بل إنك لتجد المحنة ماثلة في مدخل الدراسة، وهو الفصل الذي استفتح به كتابه، فقد صور لك مشكلة الشباب المسلم المتعلم في هذا العصر، وما كان قاساه وما يزال يقاسيه، من العنت في إدراك إعجاز القرآن، إدراكًا يرضاه ويطمئن إليه».

هكذا تحدَّث أ. محمود شاكر عن مالك بن نبي وكتابه «الظاهرة القرآنية» ومنهجه فيه بما أبرز مكانته وأهميته، فضلًا عن ترجمته إلى اللغة العربية والمسلمين على يد المرحوم **الدكتور عبد الصبور شاهين**.

- «**فلسطين أرض الرسالات الإلهية**»، **لرجاء جارودي، ترجمة وتعليق وتقديم: د. عبد الصبور شاهين**، دار التراث بالقاهرة، سنة ١٩٨٦م.

- «**الإسلام يتحدَّى**»، **لوحيد الدين خان، تعريف ظفر الإسلام خان، ومراجعة وتحقيق: الدكتور عبد الصبور شاهين**، نشر دار البحوث العلمية، سنة ١٩٧٠م.

وعلى صفحته الأولى: هذه ترجمة كتاب (علم جديد كاجيلينج) كتبه بالأردية الأستاذ وحيد الدين خان، ونشره عام ١٩٦٩م «المجمع العلمي الإسلامي» التابع لندوة العلماء... بالهند، وتمت الترجمة بإذن المؤلِّف.

أما المرحوم **الدكتور عبد الصبور شاهين** فقال عن الكتاب والكاتب والمترجم كلامًا طيبًا في تقديم الطبعة الأولى جاء فيه ما يبرز أهمية هذا العمل العلمي وحاجة الأمة إليه، **فكان مما قال**: «ما أكثر ما يكتب عن الإسلام والمسلمين في مطبوعات هذا العصر في العربية وغير العربية وما أقل غناء أكثره، وقليل جدًّا من الكتابات الإسلامية هو الذي يعد إسهامًا في معالجة مشكلات عالَمنا الإسلامي إسهامًا جادًّا مخلصًّا من أجل عودته وتقدمه... ومن هؤلاء القلَّة مؤلِّفنا هذا الذي يدخل اسمه لأول مرة حقل اللغة العربية بنشر ذلك الكتاب: «الإسلام يتحدى»، وإن كان لاسمه رنينٌ مدوٍّ في شبه القارة الهندية باعتباره ثالث اثنين يتولون قضية الإسلام المعاصر في وجه الزحف الفكري: أبو الأعلى المودودي، وأبو الحسن الندوي، ووحيد الدين خان. والحق أن علماء باكستان الهند المسلمين قد أُتيح لهم أن يتصلوا اتصالًا مباشرًا بمصادر المعرفة الحديثة حتى أصبحوا من أعلامها، وهم في هذا يضارعون أكثر علمائنا العرب اتصالًا بثقافة الغرب مع فارق جوهري في رأينا، هو أن الأوّلين الذين نشير إليهم لم يغرقوا أنفسهم في المعرفة الأكاديمية؛ لتستولي من بعد على عقولهم وأقلامهم وليصبحوا مجرد ناشرين أو مفسرين أو حتى معلِّقين على ما يقدِّمون من فكر الغرب وعلومه.

لقد وقف هؤلاء عمالقة في وجه التيار، وانغمسوا في مشكلات الجماهير، وحاولوا أن يقدِّموا لهم تصوراتهم من أجل المستقبل ومن أجل تحريك الثورة الفكرية في كيان الإنسان المسلم، فهم في الحقيقة كُتَّاب ثوريون ذوو أصالة ووعي وإيمان... وحسبنا أن نقرأ هذا الكتاب الجديد؛ لندرك أنه يمثل عقلًا وثقافةً ومنهجًا يختلف بها مؤلفه عن جميع من عرفنا من الكتاب المعاصرين... فالرجل صاحب دعوة يريد إبلاغها إلى ضمير الأمة المسلمة بلاغًا يحركها نحو أهدافها ويوحدها أمام الأخطار، وهي دعوة ذات شقين، **أحدهما** يستنفد العمر كله؛ ولكنه يعمل لتحقيق كليهما بوسائله المتاحة... والواقع أن كتابه هذا يعتبر تحقيقًا لحلم طالما راوَدَ كُتَّاب العقيدة والمدافعين عنها، فإذا أفرد بعض العلماء مسألة وجود الخالق بالعلاج العلمي فقليل منهم - فيما أعلم - من تصدى لعلاج هذه القضايا جميعًا، وبخاصة هذا الكتاب: «الإسلام يتحدى». وأحسب أنه من هذه الناحية سوف يصبح - متى بلغ عمق المجتمع - دستور الإقناع الديني، أو كما يعبر العنوان الفرعي الذي تخيرناه له: «مدخلًا علميا إلى الإيمان».

وقد كان المؤلِّف منطقيًّا مع عصره إلى أبعد الحدود، فإذا كان أقطاب الإلحاد في الفلسفة الحديثة قد وضعوا لضحاياهم مدخلًا علميًّا إلى الكفر، فلا مناص من أن يحاول هو بحسه الصادق، ووعيه بحاجة المسلمين - وضع مدخل علمي إلى الإيمان يعتبر أساسًا لعلم الكلام، أو علم توحيد جديد، وهذا هو الاعتبار الذي كان من وراء الحماس المخلص، بذله مترجم الكتاب الأستاذ ظفر الإسلام خان، نجل المؤلِّف، واقتضاني أن أعكف شهورًا تبلغ سنوات على مراجعته نصوصه الدينية وتحقيقها، ولذلك سوف نجده يعرض قضية معارضي الدين بكل حيدة وأمانة، حتى لا يتهم من أول لحظة بمخالفة المنهج العلمي، ثم يبدأ في مناقشتها معتمدًا في الأساس على الإنتاج الفكري الغربي من باب «وشهد

شاهد من أهلها»، مرجئًا مسألة استخدام الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية في آراء الأعداء قبل الأصدقاء.

ولا يتبادر إلى ذهن القارئ أن المؤلِّف رجل دين متحمس، يُبشِّر بدعوة الإسلام بأسلوب جديد، إنه مفكر مصلح يعمل بالصحافة، رئيسًا لتحرير مجلة (الجمعية الأسبوعية) وما عرضته هنا هو نتيجة تأمل واهتمام مؤرق بمشكلات الشباب المسلم، حتى أصدر كتابه هذا عام ١٩٦٦م، ومازال وفيًّا لقضيته، مجاهدًا في سبيلها... فعرض فكرة معارضي الدين وبين أسسها البيولوجية والنفسية والتاريخية، ومعنى ذلك أنه يعرض جوهر فلسفات ثلاثة: الداروينية، والفرويدية، والماركسية، وهي المبادئ التي قادت في مجموعها قطعانًا من البشر في وادي الإلحاد، وإنكار وجود الله، وتأليه المادة، فإذا بدأ بمناقشة هذه المبادئ سلك نفس السبيل التي سلكتها. فاستقى أدلته من الطبيعة، ومن البحوث النفسية، والتاريخية...».

ويربط المرحوم **الدكتور عبد الصبور شاهين** بين منهج هذا الكتاب لوحيد الدين خان ومنهج كتاب «الظاهرة القرآنية» لمالك بن نبي، ويتعجَّب من اتفاقهما رغم التباعد بينهما، ويعزو ذلك الاتفاق إلى الروح الدينية الإسلامية التي تسري في كل منهما، وما تحمله هذه الروح من مشكلات الأمة وقضاياها المعاصرة، **فيقول** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذا هو منهج الكتاب في إيجاز شديد، وهو منهج يشدُّني إلى ملاحظة مهمة أحب أن أضعها بين يدي القارئ، ذلك أن خطوات هذا المنهج، بنفس الترتيب تكاد تكون طبق الأصل من كتاب أخرجته من قبل مترجمًا عن الفرنسية، هو كتاب «الظاهرة القرآنية»، للمفكر الجزائري مالك بن نبي، وهي ملاحظة غريبة في المنهج، لا تنصرف إلى مادة الكتابين؛ لأن المؤلِّفَين مختلفان في عقليتهما، وثقافتهما، وطريقة معالجتهما لهذه القضايا الدقيقة، حتى إني

أكاد أقطع بأن المحاولتين من حيث المصادر والمادة والأسلوب متباعدتان تمامًا بُعْدَ ما بين الجزائر والهند، ولم يحدث أن التقى الرجلان في صعيد واحد، فيما أعلم، وتفسير هذا التوافق ينحصر في توارُد الأفكار على مشكلة واحدة، بيد أن ذلك لا يمنعني من أقرَّ أن كلا الكِتابَين صادرٌ عن نفس الإحساس بضرورة وضع منهج جديد للإقناع الديني، وكلاهما توفرت فيه المنهجية الحديثة، وموضوعهما مشترك كذلك، والروح الكامنة في مضمونهما روح ثائرة مؤمنة، وحسب الشباب المسلم من هذه الملاحظة دليلًا على أن روح الإسلام طاقة لا يمكن أن تخمد، وستظل تصنع المعجزات، برغم التفوق المادي الذي حققته مجتمعات الملاحدة المعاصرين.

نعم إن هذا التوافق العجيب بين مفكرَيْن من أكابر مفكرينا يكاد أن يكون من بدائع الروح الخالدة روح الإسلام، وأقول: الخالدة، لأن الروح طاقة، والطاقة لا تفنى، وذلك وعد الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]. والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله على محمد خاتم النبيين.

*** وقد أشرف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **على إصدار جملة من كتب التراث أصدرتها بإشرافه، وجهود تلاميذه ، صحيفة الأهرام** – مركز الأهرام للترجمة والنشر تحت عنوان «تقريب التراث»، وكان له رَحِمَهُ ٱللَّهُ فضل في اختيار الكتاب والباحث والمراجعة والتقديم، **ومن أهم ما صدر من هذه السلسلة:**

وأول هذه الكتب: «إحياء علوم الدين»، للإمام الغزالي، إعداد ودراسة الأستاذة/ **إصلاح عبد السلام الرفاعي**، إشراف ومراجعة: **الدكتور عبد الصبور شاهين**، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٨٨م.

والكتاب كما هو معلوم أحد كُتُبِ حجة الإسلام، الفيلسوف الفقيه أبي حامد الغزالي، وأحد كُتُبِ الدعوة الإسلامية والثقافة الدينية، يتناول العبادات والعادات والمهلكات والمنجيات؛ ولذا يعدُّ زادًا للمسلم وللداعية في الدنيا والآخرة، وقد قامت بإعداده ودراسته وتقريبه للقُرَّاء السيدة / إصلاح عبد السلام الرفاعي، وهي زوج المرحوم **الدكتور عبد الصبور شاهين**.

وهو الكتاب الذي اخترناه لبدء هذه السلسلة، ولا يجهل أحدٌ ما لكتاب الإحياء من قيمة علمية وثقافية عامة، كما أنه معروف للكافة، مطروح في كل مكان، ولكن العيب هو أن الكتاب بحاجة إلى تحقيق يدقق نصوصه، ويفسرها تفسيرًا يُدْنيها من القُرَّاء كما يصوب ما فيه من أخطاء وتحريفات، ونحن نعتقد أن كتابنا هذا قد تولَّى هذه المهمة فيما اختار من نصوص الإحياء، فقد تبيَّن عند تأملي هذه النصوص أن بعض تراكيبها غامض لا يتضح المراد منه، وأنه بحاجة إلى تدقيق يزيل هذا الغموض، كما أن كثيرًا من الآثار يحتاج إلى تعليق وتحقيق أو إيضاح، وقد تولَّت الأستاذة الفاضلة **إصلاح الرفاعي** القيام بهذه المهمة؛ سواء أكان اعتمادها على ما قدَّمه الحافظ العراقي، أم كان على مراجع أخرى لزمها الرجوع إليها، فأهدت إلى القُرَّاء بعملها هذا جهدًا أمينًا خالصًا يتسم بالمثابرة وبالإمتاع وبالاقتصار والاستيعاب مع الإشارة إلى بعض التصويبات والصمت عن أكثرها زهادة في الادِّعاء واختصار في التعليق، وهو نموذج لما سوف يتحقق من المنهجية في تقريب الكتب الأخرى.

وقد التزمت المؤلِّفة في دراستها جانب الحق، ووضعت أمورًا كثيرة في دائرة الضوء، ودفعت عن الغزالي بعض ما وُجِّه إليه من نقدٍ؛ وذلك دون تعصُّبٍ أو تجاوُز، وإنا لنرجو أن يكتب الله لهذه السلسلة المباركة بلوغ أهدافها وأن تحقق لقرائنا الأغراء ما يرجون من اقتنائها من ثقافة تنير العقول وتهدي القلوب،

وتقوِّم السلوك، فتكون كما قال الله تعالى: ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٢٤ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٥ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥]، حقًّا إن أجمل ما في الحياة كلمة طيبة على الطريق.. والله من وراء القصد.

وعن أهمية هذا الكتاب وقيمته التي جعلت المرحوم **الدكتور عبد الصبور شاهين** يختاره للتقريب والدراسة فيبيِّنها الغزالي بنفسه، فيقول: «ولقد صنَّف الناس في بعض هذه المعاني – علوم الدين – كتبًا ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور:

الأول: حلّ ما عقدوه وكشف ما أجملوه.

الثاني: ترتيب ما بدَّدوه ونظم ما فرَّقوه.

الثالث: إيجاز ما طوَّلوه وضبط ما قرَّروه.

الرابع: حذف ما كرَّروه وإثبات ما حرَّروه.

الخامس: تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلًا».

ومن المجوعة **كتاب الرسالة**، للإمام **الشافعي**، إعداد ودراسة: الدكتور/ **محمد نبيل غنايم**، إشراف ومراجعة: الدكتور/ **عبد الصبور شاهين**، نشر مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٨م.

وعن هذه الدراسة وأهميتها **يقول الدكتور عبد الصبور شاهين** في تصديره لها: «كان كتاب الرسالة من أوائل الكتب التي اقترحت ضمن مشروع «تقريب التراث» إذ كان علاقة بارزة على طريق تطوير العقل العربي الإسلامي، فمؤلِّفه

وهو الإمام الشافعي (١٥٠- ٢٠٤هـ) شخصيته وسعت عصرها كله، وعبّرت عن أسمى تعبير، وقد شهد عصر الشافعي انطلاقة هائلة نحو الازدهار الثقافي والحضاري، بعد أن كان قد مضى قرن ونصف القرن على بزوغ فجر الإسلام وانتصار فتوحاته، كانت العقليات تنفجر في كل مجال، ولاسيما في الجوانب العقلية، وكان من صدورهم – العلماء العباقرة – الإمام الشافعي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقد ظفرت الأمة على يديه بالكثير من الآثار العلمية ولاسيما هذه «الرسالة» التي كان يطلق عليها أيضًا «الكتاب»... ولهذا الكتاب «الرسالة» أهمية من جملة نواحٍ:

الأوَّل: أنه أوَّل كتاب أُلِّف في أصول الفقه، فالشافعي في الحقيقة واضع هذا العلم، وعلم الأصول – كما يجب أن يعلم القارئ الكريم – هو فلسفة الفكر الإسلامي وعموده الفقري، وهو علم لم تعرف شرائع الدنيا له نظيرًا...

الثانية: أن مؤلِّفه هو الإمام الشافعي، وقد كان – على الرغم من اشتهاره بالفقه في إطار مذهبه المعروف عالِمًا متعدِّد المواهب.. فإذا قدَّمنا هذا الكتاب للإمام الشافعي فإن ذلك يستهدف أساسًا تقديم هذه الشخصية النادرة في أحد أعمالها ذات الأثر العميق في الفكر الإسلامي على اختلاف مذاهبه واتجاهاته.

والثالثة: أن هذا الكتاب من أندر الكتب التي تعبر عن المستوى اللغوي في عصرها، وقد كنا وما زلنا نرى لغة ذلك العصر في قوالب النصوص المحفوظة جيدة السَّبك، جزلة الألفاظ، متناسبة التراكيب.

ويضيف مؤلِّف التقريب والدراسة إلى أهمية الكتابة: «إن الناس قبل الشافعي كان يجتهدون ويستنبطون، ولكن لم يكن لهم قانون كلي ولا نظام ثابت يعتمدون عليه، ويحتكمون إليه، حتى جاء الشافعي فوضع ذلك الكتاب القيم «الرسالة»، وأصَّل فيه الأصول وقعَّد القواعد، فاجتمع الناس عليه، وأذعن له

الموافق والمخالف، ومن هنا **قال الرازي**: استنبط الشافعي علم أصول الفقه ووضع للخلق قانونًا كليًّا يُرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع، فثبت أن نسبة الشافعي إلى علم الشرع كنسبة أرسطاطاليس إلى علم العقل، وهذه هي القيمة للكتاب الذي نقدّمه، ولكنها ليست القيمة الوحيدة، ففي الكتاب إلى جانب أصول الفقه ومناهج الاستنباط الأحكام الفقهية والقواعد اللغوية، والأساليب الأدبية والبلاغية والشعر والحكمة والخير والتاريخ والسيرة إلى جانب عدد من رجال الرواية ومروياتهم من سُنن رسول الله ﷺ، هذا فضلًا عما فيه من أساليب الحوار والمناظرة والبرهان والدليل والفقه المقارن وقواعد الحديث والجرح والتعديل... إلى غير ذلك.

وكتابان آخران من هذه السلسلة هما: «**درء تعارض العقل والنقل**»، لابن تيمية، إعداد ودراسة: الدكتور محمد الجليند، **وشرح الحكم**، لابن عباد الزندي في التصوف.

ويسيران على الطريقة التي ظهرت في الكتب الأربعة التي ذكرناها، ولم أجدهما حتى أعلق عليهما كما فعلنا.

وقد قام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتقديم والتصدير لبعض الأعمال الفكرية؛ وذلك حرصًا من المؤلِّف على تشريف عمله وتكريمه بأن يحظى بحمل اسم المرحوم **الدكتور عبد الصبور شاهين** مصدِّرًا الكتاب أو مقدِّمًا له، **فمن ذلك**:

١ - **الشيخ الرئيس: صفحات من حياة الدكتور إبراهيم مدكور**، تأليف: **سعيد أحمد بيومي**، تصدير **الدكتور عبد الصبور شاهين**، تقديم الدكتور **إسماعيل سراج الدين**، القاهرة، ٢٠٠٣م.

قال المرحوم في تصديره: «ليس أمرًا هينًا أن أكتبَ تقديمًا لكتاب عن الشيخ الرئيس إبراهيم مدكور، فما من خيار أسلكه إلَّا تبيَّن لي أن الرجل أسمى منه وأعلى مقامًا، إنه شخصية محيرة ذات أبعاد كثيرة، تعبِّر عن مضمون قرن من الزمان لقد كان شيخًا رئيسًا بحق، لم يطاوله أحد من معاصريه؛ بل ألقوا إليه المقادة مقرين بأن فلك العمل المجمعي سوف يمضي في أمان مادامت أزمته في يد هذا العالم الخبير، ولقد قطع العمل المجمعي في عهد الشيخ الرئيس أشواطًا على طريق التوفيق والتقدم لبناء شخصية اللغة العربية وإقدارها على مواكبة تطلعات العصر الحديث، فحقق لمجمع اللغة العربية نقلةً ضخمة في مجال صوغ المصطلحات ودراسة الأساليب، ولولا ما نجح به على الساحة العربية من عوامل متضاربة لكان للعربية الآن شأن أي شأن، ومعلوم أن اهتمام المرحوم **الدكتور عبد الصبور شاهين** باللغة العربية وأهلها نابع أولاً من تخصصه الدقيق في علم اللغة ، وثانيًا لأنها لغة القرآن والإسلام فكل اهتمام بها وبقولها يصب في خدمة القرآن والسُّنة والدعوة الإسلامية، ويقول في نهاية تصديره عن الكتاب والكاتب والشيخ الرئيس: «لقد كانت حياة الرجل عطاءً في عطاء، وما من جهة توخاها إلَّا وكان له فيها الأثر الباقي وما أكثر المجالات التي أسهم فيها، وما أغزر العطاء الذي صدر عنه مما تكفل بتقديمه مؤلِّف هذا الكتاب الذي يستحق منا الثناء كل الثناء».

٢- **عبقري الإسلام: سيد قطب**، د. سيد بشير أحمد كشميري، تقديم **الدكتور عبد الصبور شاهين**، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٩٤م.

وفي مقدمة هذا الكتاب يقول المرحوم الدكتور عبد الصبور شاهين: «موضوع هذا الكتاب هو سيد قطب الشهير بالداعية المفكر الإمام، وهو جدير أن يوصف بهذه الألقاب، وأن يجمع كل هذه الوظائف التي يكفي واحدة منها؛ لتجعل صاحبها في مصاف الخالدين، فكيف بمن جمعها كما لم يجمعها أحد قبله:

﴿ إِلَّا الذين إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡۗ ﴾ [سورة ص: ٢٤]، وإذا كان القرآن يراهم قليلًا بين الناس فإن سيد قطب في حسباننا – ولا نزكي على الله أحدًا – بين هؤلاء القليل علم من أعلام الدعوة والفكر الإسلامي... ونستطيع أن نقول: إنه خط الدعوة الإسلامية طريقها وجدد طاقاتها إلى قرنين قادمين من الزمان.. على الأقل.. وهذا الكتاب ومضة في سماء الحق تتحدث عن أحد دعاته ورجاله في زماننا وإننا فخورون بأن نقول للدنيا: لقد عشنا في عصر حسن البنا، وسيد قطب، ورجال آخرين: ﴿ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلَا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب]، وأجمل ما في هذا الكتاب أن مؤلِّفه من الهند... دليلًا على أن دعوة الحق لا تعرف الحدود ولا تعترف بالمسافات العرقية.. أو اللونية.. أو اللغوية؛ لأنها دعوة الله للإنسان في كل زمان ومكان.

شكرًا لهذا الصوت الذي يأتي عبر الحدود من كشمير المجاهدة؛ ليحدثنا عن الغائب الحاضر سيد قطب.. غاب جسدًا وحضر فكرًا وروحًا كأولئك الأسلاف: ﴿ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ٦٩ ﴾ [النساء: ٦٩].

وهكذا قام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بخدمة الإسلام والدعوة الإسلامية بجهود متنوّعة في موضوعات متعددة ومجالات عديدة منفردًا ومتعاونًا، فجزاه الله خير الجزاء، ورحمه رحمة واسعة، وجمعنا وإياه في مستقر رحمته في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقًا.

أين الثُّريات من يد المتناول؟

الأستاذ الدكتور هاشم عبد الراضى عيسى [1]

فُجعتُ بوفاة أستاذي وأستاذ الأجيال، وكم كنت أتوق أن أعيش لحظات أقف فيها مصليًا في رحاب مسجد عمرو بن العاص، الذي طالما هرعت إليه لأكون في باكورة من ينتظرون عذب كلماته من فوق منبر رسول الله ﷺ، وأعجزتنى وعكة صحية، حالت بينى وبين هذا الأمل مؤلم، إذ إنه في هذه المرة لن يكون معتليًا المنبر، وإنما سيكون جسدًا مسجى أمام محبيه الذين نعموا بالصلاة خلفه حيًا وميتًا..

وجلست حبيس وعكتى أقرأ بقلبى ما أوردته وسائل الإعلام وشبكة المعلومات، عن ذلك العالم المبرّز، والصرح الشامخ، ووجدتنى أردد قول القائل: «أين الثريا من يد المتناول؟».

وأشهد الله ثم من يقرؤون كلماتى وخاصة من أبناء دفعتى، أنه تعامل معنا بوصفه أبًا يلتف أبناؤه حوله؛ إذ كثيرًا ما كانت المحاضرة في مكتبه.. وبرقّة الابنة المحبة لأبيها مازحته زميلةٌ لنا (شعبة ف)؛ لتؤكد له أنه يعمل بروح الشباب، **فقال لنا**: «اليوم يا أولادى أتممت خمسين عامًا»، فاحتفينا به حفاوة الأبناء بأبيهم، ثم أدلف؛ ليغرس فينا روح الحماس والطموح والمثابرة مؤكدًا أنه يجيد أكثر من لغة وعلى رأسها الفرنسية، وتوهمنا أنه أجادها لأنه ابتعث كأبناء

(١) الأستاذ بقسم التاريخ بكلية دار العلوم. جامعة القاهرة. نشرت في اللواء الإسلامى- ٧ أكتوبر ٢٠١٠م.

جيلـه لأوروبـا، ففاجأنـا بأنـه (عصامـى) التعلـم!! حتـى أثـرى المكتبـة بمترجماتـه- ناهيكـم عـن مؤلَّفاتـه- وأدركنـا أن إجـادة اللغـات الأجنبيـة أمـر ضرورى في مسـتقبل حياتنـا العلميـة.

الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين صوتيًّا

الدكتورة وفاء زيادة [1]

أستاذنا **الدكتور عبد الصبور شاهين** عالمٌ لغويٌّ كبيرٌ، وتلميذٌ لرائدٍ لغوي عظيم هو الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس، لا تستطيع أن تفاضل بين وصفه مفكرًا إسلاميًّا لغويًّا، وبين لغوي مفكر إسلامي، فمؤلَّفاته في المجالين كثيرة ومؤثرة؛ لأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كل ما يأتي به مجتهد، وكل ما يأتي به هدفه واهتمامه الإسلام.

والقارئ لإنتاجه اللغوي على كل المستويات سيلاحظ أنه أتى في إطار محاور متعانقة:

الأول: المحور الإسلامي.

الثاني: المحور العربي.

الثالث: المحور المصري.

ترى هذه المحاور في معظم جهوده اللغوية، فإذا تكلمنا عن دراساته الصوتية نراها بشكل واضح لا يخطئه العقل، وكأنما قد رسم لحياته العلمية خطة في كل عملٍ علميٍّ؛ ليضع لبنة للوصول إلى مبتغاة.

ففي **خطوته الأولى في الماجستير ١٩٦٢م**، التي جاءت بعنوان «الأصوات في قراءة أبي عمرو بن العلاء» فقد تعانق في هذه الدراسة المستوى اللغوي مع المحور الأوَّل الإسلامي ممثلًا في القرآن الكريم أو القراءة التي تمثل إحدى القراءات السبع.

(١) أستاذة بقسم علم اللغة – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

وقد درس أستاذنا في بحثه أصوات العربية الفصحى، وبحث فيما قدمه القدماء لأصوات العربية بدءًا من سيبويه، وكذا في دراسة المحدثين للأصوات، والظواهر الصوتية كالإدغام، وقد استمع إلى أداء شيوخ القراءة.

وقد اعتبر أن القراءات هي الوثيقة التاريخية التي اطمأن إليها في فقه اللغة من جميع نواحيها، الوثيقة التي تنتقل إلينا بالصوت والصورة معًا، يتوارثها القُرَّاء جيلًا عن جيل؛ إذ إن القراءات على اختلاف رواياتها سجلٌ دقيق لما كان يجري في كلام العرب من تصرفات صوتية ولغوية.

أما **الخطوة التالية** فكانت **الدكتوراه** ١٩٦٥م، وقد استمر في دراسة القراءات القرآنية، فبحث في القراءات الشاذة من الجانب الصوتي أيضًا، وهو في هذا لا يرى فرقًا بين قراءة من السبعة، وبين غيرها مما سُمِّي بـ «الشواذ»، فهذه الشواذ لم توصف بالشذوذ لضعف روايتها، ولا لأنها تحتوي ظواهر لهجية غريبة على اللسان الفصيح، فمثل هذه القراءات مهجور لا يحرص عليه أحد، وإنما سُمِّي شاذًّا؛ لأنه خارج عن سبعة ابن مجاهد، إلَّا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالرواية من أمامه ووراءه، ولعله أو كثيرًا منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه.

لقد اهتمَّ **الدكتور عبد الصبور شاهين** بهذا النبع الفريد للعربية الفصحى، الذي يمثلها صوتًا وصورة، وفصحى ولهجات محيطة بها، تمثَّلت في هذه القراءات، التي ارتفعت عن الظواهر اللهجية الهابطة كالكشكشة والعنعنة والفحفحة، لقد رأى أن من خلف هذه القراءة تكمن الصورة الحقيقية التي كان عليها النطق الفصيح للغتنا العربية.

ومع صعوبة علم القراءات، مشهورها وشاذها، وعزوف أكثر الدارسين عنه لصعوبته وندرة مصادره المخطوطة والمطبوعة إلَّا أنه أصرَّ على البحث فيه؛

لأن هذا العلم تعد رواياته أوثق الشواهد على ما كانت عليه العربية الفصحى بظواهرها الصوتية والصرفية والنحوية واللغوية بعامة وعلى مستوى اللهجات أيضًا؛ بل إن القراءات الشاذة على حسب قول أستاذنا هي أغنى مأثورات التراث بالمادة اللغوية التي تصلح أساسًا للدراسة الحديثة.

وقد بحث أستاذنا في هذه الأعمال مشكلات صوتية صرفية من مشكلات البحث اللغوي العربي وهي مشكلة الهمزة، متبعًا المنهج الوصفي تارة، والمنهج التاريخي أخرى، ثم المعياري أخيرًا وهو في هذا يعتمد على تمثيل صوتي للهمزة من خلال القراءات التي تمثل اللهجات القديمة فاستطاع بعبقريته اللغوية أن يبحث المشكلة بكل المناهج البحثية، التي ربما لا يكون غيره مؤهلًا لإخضاع هذه الظاهرة الصوتية لبعض هذه المناهج، وليس كلها، فكل الباحثين يعلمون أن مشكلة الهمز من أصعب المشكلات في البيئة العربية قديمًا وحديثًا.

وحينما ننظر في دراسته التي وضع عنوانها «المنهج الصوتي للبنية العربية ١٩٧٧م» نجد فيها محاولة لرؤية جديدة للصرف العربي، يُقدّم لها بما يؤكد فكرة الاجتهاد التي لا تنفك عنه، **يقول**:

حقًّا لقد ورَّثنا أسلافنا تراثًا عظيمًا، نهض بتفسير ظواهر اللغة طيلة القرون الماضية، فما أحقهم بالثناء، وما أجدرهم بالعرفان. ولكن.. ماذ ستقول الأجيال القادمة عنا، حين تجدنا مقلِّدين للسلف، حتى في الخطأ؟ بل حين تجدنا قد اعتنقنا هذا الخطأ مذهبًا نذود عنه.

قليلًا من التدبُّر في هذه القضية المصيرية؛ حفاظًا على أجيالنا القادمة، وحرصًا على تجديد لغة القرآن الخالدة.

فلقد أراد أن يصل إلى الصواب في مسائل اللغة، وأن يقوم بدوره في خدمة لغة القرآن، لا يكتفي بما قدَّمه أسلافنا وبما رسخ في أذهاننا من قواعد قديمة، مهما كلَّفه هذا من جهدٍ ومشقةٍ.

حاول أستاذنا في هذا الكتاب أن يضع منهجًا للصرف العربي على أساس الدراسات اللغوية الحديثة، ربط فيها بين الظواهر الصوتية والظواهر الصرفية والنحوية، فالقدماء لم يشيروا إلى هذا الارتباط، مع وجود كثير من الظواهر الصرفية والنحوية لا يمكن تفسيرها إلَّا بالاعتماد على الأساس الصوتي، لقد حاول أن يطبِّق الأفكار الصوتية الحديثة على المشكلات الصرفية التي شغلت العرب منذ القديم حتى الآن، كمشكلات الإعلال والإبدال، وكشف عن دور الإيقاع الصوتي في بنية الكلمة العربية والحفاظ على صيغتها.

ولقد قدَّم فيه مفاهيم كثيرة تتصادم مع أفكار مقررة، ولكنه في كل هذا أعطى للقديم حقه وقدره بعرض فكره، ثم نقده، وقدَّم البديل الذي يوائم الفكر اللغوي الحديث.

ويتضح اهتمامه المبكر بجمع صورة واضحة عن اللهجات العربية حينما دخل مجمع اللغة العربية خبيرًا في لجنة اللهجات، فنجد هذا في مشاركته الفعَّالة في اللجنة، فمع محاولته في القراءات باعتبار أنها ترجع إلى اختلاف اللهجات، نجد دراساته المتعددة لهذا الجانب.

ولقد كان لأستاذنا الجهد الكبير؛ وذلك حين قامت لجنة اللهجات بمجمع اللغة العربية بجمع اللهجات العربية القديمة من «لسان العرب»، وصنَّف المادة المجموعة بطريقة تيسِّر على الباحثين الانتفاع بها؛ فوضعت ما نسبه اللسان منها

إلى كل قبيلة على انفراد، وبهذا أصبح من الميسور الرجوع إلى ما يتصل بلهجة كل قبيلة على حدة، ثم أعادت تصنيف ما يتصل بالقبيلة الواحدة وفقًا لمستويات اللغة بالترتيب **الآتي**:

ما يتصل منها بعلم الأصوات، ثم ما يتصل بعلم الصرف، ثم ما يتصل بعلم النحو، وفي النهاية ما يتصل بعلم المعاجم (متن اللغة)...

وقد اختارت اللجنة مجموعة من كُتُب اللغة والقراءات والنحو والصرف؛ لتستخرج منها اللهجات العربية القديمة بالطريقة السابقة، وقد وجدت اللجنة أن هذا العمل سوف يعطي للباحثين مادة لغوية وفيرة عن هذه اللهجات تكفي لتقديم صورة قريبة إلى الواقع اللغوي لهذه الظواهر التي وصفها القدماء.

وقد وجدت اللجنة في هذه المرحلة من الجمع والتصنيف أن الحاجة ماسة إلى بيان المقصود من عديد من المصطلحات التي تتردد كثيرًا حين الحديث عن لهجة من اللهجات، فرأت أن تجمع هذه المصطلحات وتعرِّف بها، **ومنها**:

- ما يتصل بالجانب الصوتي، نحو: التلتلة، العجعجة، الكسكسة... إلخ.
- ما يتصل بالجغرافيا اللغوية، نحو: أهل الحاضرة، أهل البادية، أهل السواد... إلخ.
- ما يتصل بعيوب النطق، نحو: اللثغة، الفأفأة، اللكنة... إلخ.
- ما يتصل بالأحكام التي أطلقها القدماء على الظواهر اللغوية للهجات، نحو: لغة رديئة، لغة جيدة، لغة عالية، لغة فصيحة... إلخ.

وقد قام أستاذنا بجهد كبير في هذا مع صعوبة المطلوب بوصفه خبيرًا في اللجنة، وقامت لجنة اللهجات ١٩٧٥م، بعرضها على مؤتمر المجمع، ودارت حولها مناقشات مثبتة بمحاضر الجلسات.

وقد بدأت اللجنة بالجانب الصوتي، وراعت عند تقديمه نقاطًا محددة، منها ما يأتي:

(1) التعريف بالمصطلح من الناحية اللغوية، ما دعت الفائدة إلى ذلك.

(2) التعريف بالمصطلح من الناحية الاصطلاحية كما عرفه اللغويون القدامى.

(3) إسناد الظاهرة إلى القبائل التي توجد فيها.

(4) مناقشة الآراء المختلفة التي قدَّمها اللغويون عن تفسير الظواهر المدروسة.

(5) الاهتمام بما يشابه الظاهرة من اللغات السامية القديمة.

(6) التعرف على ما يتصل بهذه الظاهرة من اللهجات العربية المعاصرة.

(7) تقديم التفسير اللغوي الحديث.

إن مشاركة أستاذنا في هذا العمل والمجهود الكبير الذي قام به ينمُّ عن إخلاص ومحبة للغته، ورغبة في نفع الأجيال المتوالية وقيامه بدوره تجاهها، وإضاءة الطريق أمامهم لمعرفة المجهول من خصائص لهجاتنا، فكأننا مدنيون بهذه المعلومات الدقيقة عن هذه اللهجات لأستاذنا والمخلصين أمثاله، فجزاهم الله عن الباحثين خير الجزاء، فلقد أرادوا أن يكملوا صورة استحال وصولها إلينا، ولكن مجهودهم فيما تعمّد القدماء من علمائنا حجب صورته عنا...

ولم يكن اهتمام أستاذنا **الدكتور عبد الصبور شاهين** ببعيد عن حبيبته مصر، فقد رعاها ونظر في لهجتها بطرائق عدة، فقد بحث «القاف في العامية المصرية» ١٩٧٩م، وهو خبير بلهجة اللهجات.

فالعامية المصرية في رأيه تتميز بإبدال صوت الهمزة بصوت القاف، بصفة عامة، وهذه الظاهرة شائعة في العامية القاهرية، وما تأثَّر بها من لهجات الريف القريب منها، في القليوبية والدلتا، وجزء كبير من الفيوم، وتوجد هذه الظاهرة خارج مصر في معظم المناطق السورية، وفي بعض جهات المغرب العربي مثل بلدة تلمسان في أغادير.

هذا على حين يشيع نطق القاف مجهورة (أي: جيمًا قاهرية) في أغلب اللهجات العربية، بلاد صعيد مصر وكثير من أقاليم الوجه البحري: الشرقية، والبحيرة، وغيرهما.

وقد لاحظ أن صوت الهمزة قد حل محل القاف كما قلنا بصفة عامة، باستثناء بعض الألفاظ ذات المفهوم الديني أو ذات المستوى الثقافي، مثل كلمات: القرآن، والثقافة والأقلية، ومن صفات الله: القيوم، والقدوس... إلخ، فقد احتفظت العامية بنطق القاف بصورة ما في الكلمات وأشباهها غالبًا... وقد لوحظ في العامية المصرية سقوط صوت الهمزة غالبًا في وسط الكلمة أو في آخرها، مثل راس (رأس)، وابتدا (ابتدأ)، وجه (جاء). وقد تسقط في أول الكلمة مثل: كل، وخد، لكن هذا ليس مطردًا، وهو يحتاج إلى دراسة مفردة.

ومعنى ذلك أن هذا الصوت الانفجاري الحنجري قد أخذ موقعية جديدة في العامية المصرية واختلف في توزيعه عن الفصحى، بحيث زاد تردده في الكلام العامي أكثر من تردده في الفصيح؛ إذ هو يشمل في العامية موقعين، لا موقعًا واحدًا.

ولقد قام أستاذنا بالتأريخ لهذه الظاهرة النطقية فوجد لها جذورًا في بعض مفردات الفصحى المروية بوجهين أحدهما القاف، والآخر الهمزة في مثل: زهاق في زهاء ماءة، والقفز والأفز بمعنى الوثب، ويقال: قشبه وأشبه بمعنى: عابه «الإبدال» لأبي الطيب (٢/ ٥٦١، ٥٦٢)، وأرَّ وقرَّ: أحدث صوتًا. ويقال: ونَّأ وزنَّق: بمعنى: ضيَّق، ويقال: أرم على الشيء يأرم بالكسر: أي عض عليه، ومثل: قَرَم قرمًا بمعنى: أكل الطفل أكلًا ضعيفًا.

ويقال: رزأ ورزق، وأبض وقبض، وقسر وأسر، وقصر وأصر، بمعنى حبس، ويقال كذله وأبه ووقبه بمعنى: النقرة في الصخرة، وأوَّب الأديم: قوَّره (عن ثعلب)، وقوَّب الأرض تقويبًا حفر بها شبه التقوير «اللسان».. وقد تكون في معاجم اللغة أمثلة أخرى لم يتثن لنا العثور عليه ، غير أن أحدًا من الرواة لم ينسب هذه الظاهرة إلى قبيلة بعينها، وإنما يوجد ذلك مرويًّا على أنه من الفصيح المستعمل بوجهيه كليهما.

وينتقل نقلة أخرى كما يقول: بقدر ما ساعدتنا المراجع، فوجد أن هذه الظاهرة كانت قد وجدت في لسان أهل مصر منذ القرن السابع الهجري، وربما عرفها أهل مصر قبل ذلك بقرن أو قرنين، فقد ورد في تاريخ ابن إياس في حواداث سنة ٧١٣ هـ ما نصه:

«وحضر نائب غزة، وجماعة من الأخيار الشامية والغزاوية وتكلموا في ذلك، وكتبوا المئالات والمناشير». ويغلب على الظن أن المقصود بكلمة «المئالات»: هو «المقالات» كما جاء في ديوان ابن سودون من شعراء العامية في القرن التاسع الهجري (ص٣٦):«متى آل در بهذا القصر» أي: متى قال در بهذا القصر...

ولا يتوقف نصيب مصر من حبه واهتمامه فيكتب بحثًا بعنوان «مسالك العامية المصرية في صوغ الأفعال»، وهو خبير بلجنة اللهجات بمجمع اللغة العربية. **يقول فيه:**

«تُعتبر العامية المصرية إحدى اللهجات الأساسية التي تفرعت عن العربية الفصحى، وهي لا تختلف عن اللهجات الأخرى – المشرقية أو المغربية – إلَّا باختلاف المؤثرات المحلية في بيئتها، ففي اللهجة المصرية بقايا من اللغة القبطية وغيرها من اللغات التي عايشتها، وفي الشامية بقايا من الرومية والتركية والفرنسية، وفي المغربية بقايا من البربرية والفرنسية، ومن هذا القبيل بقايا الإيطالية في اللهجة الليبية، وتأثير الإنجليزية في لهجة العراق والكويت والخليج بعامة... وهكذا.

ولعل مما يفيد هنا أن نقرّر أن المسافة التي تفصل بين الفصحى ولهجاتها تتمثل أحيانًا فيما يصيب الكلمات من التصرفات اللهجية؛ على حسب ما تعود أهل اللهجة، ويمكن أن نصف هذه التصرفات بأنها تغييرات تصيب الكلمة فتخرجها عن النطق الفصيح، ويستطيع دارس الفصحى أن يحدد هذا التغيير بملامحه كمًّا وكيفًا، وأن يلاحظه، وهو ينطق تبعًا للهجة، وإن كان أغلب الناس لا يدركون هذا الفرق؛ لأن المشكلة اللغوية ليست مطروحة أصلًا في أذهانهم، ولا في أذواقهم، وأكثر ما حدث من تغيير يتركز غالبًا في شكل كلمات دخيلة، أو في شكل كلمات رباعية، كانت أصلًا ثلاثية، ثم ضَعفت قدرتها البيانية – فيما نتصور – عن أداء المعنى المراد فحدث هذا التشوه – إن صح التعبير – ليتوصَّل به الناطق إلى مزيد من البيان.

ويبحث رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العامية المصرية محلِّلًا ما يحدث في البنية الصرفية للفعل اعتمادًا على علم الأصوات، **فيقول:** وقد لوحظ أن أكثر التصرفات يتمثل في

نوع من المخالفة يباعد بين الكلمة وأصلها الفصيح، وقد أعثرتنا الملاحظة على كلمات كثيرة من هذا النوع، فمثلًا كلمة (بْتْكَعْوَرْ) هي في الأصل (يَتكوَّر)، وقد أراد المتكلم أن يعبر عن حدوث هذا (التكوُّر) – ربما – في شكل هزلي، فقلبت أولى الواوين عينًا، فصارت الكلمة (يتكعور).

وكلمة (خَرْشَمْ) بمعنى ضربه في وجه، مأخوذة من الأصل؛ وهو (الخيشوم)، ويمكن أن يكون الأصل فيها (خَشَّم)، ثم قلبت أولى الشينين راء فصارت (خَرْشم)؛ وهذا الفعل في الفصيح لازم، وبمعنى آخر هو: خَرْشَم الرجلُ: كَرَّر وجهَه، وهو في العامية متعد، وقريب من هذا المعنى. وكلمة (فَشْكل) بمعنى أفسد الترتيب – أصلها فيما نتصور: (فَشَّل)، ثم جاءت المخالفة بقلب الشين الثانية كافًا، فصارت (فَشْكَل)، ومثلها: (فَشْوَل) الدالة على عدم التماسك، وبديل الشين هو الواو.

وكلمة (مِخَنْدَأ)، مولدة من (الحَدَقَة)، وكأن الأصل هو (مُحَدِّق)، ثم قلبت الدال الأولى نونًا، وهو وصف بالجمال والإحكام في صغر، وجاء من قبيل هذا المخالفة في الفصحى: (الرَّز والرنز، والأَتْرُجّ والأَتْرنج).

وكلمة (سَخْمَط) الأصل فيها (سَخَّط)، والميم مخالفة للخاء الثانية.

وكلمة (مِشَفْطَر) هي من (مِشْفَر) والطاء زائدة.

ومن اهتمام **الدكتور عبد الصبور شاهين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ باللهجة المصرية أيضًا بحثه في لجنة اللهجات بعنوان: «استعمالات تركية في العامية المصرية» ١٩٩٤م، وهو يعتبر العامية في ألسنة الشعوب سجلًا يحتفظ بآثار الهجرات، وبقايا المراحل المختلطة بين اللغات المختلفة.

وقد عاشت العربية مرحلة من تاريخها الذهبي كانت فيه غازية مؤثرة في كثير من اللغات، التي فتح الإسلام بلادها، ثم ضعف شأنها بعد ذلك، فصار لغة مغزوة على مستوى اللهجات، وحفظ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الفصحى بلغة القرآن، فلم يتطرق إليها تطرق للعاميات من تأثير على مستوى الألفاظ المقترضة، وعلى مستوى القواعد الصرفية والنحوية.

ولقد عاش الأتراك في مصر زمنًا ليس بالقصير؛ فلما زال الوجود التركي عن مصر، كانت كمية الكلمات التركية كبيرة نسبيًّا على ألسنة الناس، ولاسيما في مجالات المفردات الخاصة بالأطعمة والملابس ونظم السلطة، ولكن هذا الكم سرعان ما تقلّص وجوده، وبقيت منه رواسب سجلنا استمرارها في هذا البحث؛ لا على سبيل الاستقصاء.

لقد تعددت أعماله وتنوّعت في محاور؛ الثابت منها الاهتمام اللغوي، ويتعانق مع المحاور الأخرى، الإسلامي أو العربي أو المصري.

وقد قام بترجمة أعمال أفادت المكتبة العربية، وملأت فراغًا يحتاج إلى مزيد من التواصل مع جهود علماء اللغة، وبخاصة المستشرقون منهم.

من أهم الكتب التي ترجمها عن الفرنسية:

- العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي، لهنري فليش، تعريب وتحقيق وتقديم **د. عبد الصبور شاهين** ١٩٦٦م.
- علم الأصوات: مالمبرج، ترجمة أستاذنا عن الفرنسية، وسجَّل فيه ملاحظاته ونظراته على أصوات العربية ١٩٩١م.

إن أستاذنا في كتاب «علم الأصوات» الذي هو دراسة في علم الأصوات العام (phoneties) استطاع أن يجعله يتجاوز حدود الترجمة إلى تقديمه لوصف خالص للأصوات العربية صفات ومخارج، بعد أن اهتمَّ في دراساته السابقة بالبنية العربية، والتشكيلات الصوتية فيها فيما يعرف بالفونولوجي (Phonology).

إنه لغوي كبير حلَّق وطاف في دراساته هدفه لغة القرآن؛ ولذا كان هذا واضحًا في جهوده اللغوية.

وإن اتسع اهتمامه بعروبته والإسلام إلَّا أنه لم ينس حظ مصر – كما ذكرنا – فنقله من قلبه وعقله إلى عمله البحثي، فاهتم بلهجتها ووضعها أمامه في أبحاث نظر فيها حاضرها وأصَّلها بماضيها، وعشق فيها إسلامها، فكتب هو وأهله (مصر في الإسلام) سلسلة تتبع فيها هو وزوجه الفاضلة تاريخ الإسلام في مصر؛ فحين تقرأ هذا العمل ستشعر بعناق الأحبة بين مصر والإسلام والمؤلِّفَين.

لقد قام أستاذنا العالم الكبير بدوره الذي صرَّح به في مقدمة «المنهج الصوتي للبنية العربية» **قال:**

«إن المهم دائمًا الوصول إلى الحقيقة، ولكن وسيلة الوصول تختلف من عصر إلى عصر، ولقد كانت للأقدمين وسائلهم المناسبة لبلوغ ما طلبوا من الحقيقة، ثم مضوا إلى مستقرهم تاركين بصماتهم على ما خلَّفوا من آثار ودراسات، فيها وصف لما عرفوا من الحقيقة من وجهة نظرهم، وجاء بعد ذلك دورنا في محاولة الوصول إلى الحقيقة بوسائلنا لا بوسائلهم، ومن جهة نظرنا لا من وجهة نظرهم، ولكن عوامل التقليد تقف دائمًا دون هذه المحاولة، في ميدان الدراسات اللغوية.

لقد مضيت أستاذنا إلى مُستقرك بعد أن تركت بصماتك التي تمنيتها، فجزاك الله ما غرست في حياتك، وغمرك بالرحمة والرضوان، فقد كان الطريق شاقًّا، ولم يكن ذلك حائلًا دون مواصلة الجهد من أجل لغة القرآن الكريم.

لا يزال ملء السمع والبصر

الدكتور وجيه يعقوب السيد [1]

كان **الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين** – ولا يزال – ملء السمع والبصر، شغل الدنيا وأدهش الناس بغزارة علمه وعذب حديثه ودفاعه المستميت عن الإسلام وقضاياه، وقد عرفت الرجل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البداية، مثلما عرفه كثيرون غيري من خلال إطلالته المميزة على شاشات التلفزيون، وأحاديثه الإذاعية المتعددة، ولقاءاته الصحفية التي كانت تُنْشَر بشكل شبه يومي في الصحف المصرية والعربية؛ وجه مشرق جميل يعطيك إحساسًا بالألفة والقرب رغم أنك لا تعرفه ولم تلتقه، يحمل هموم المسلمين ويدافع عن الإسلام والعروبة ضد دعاة التغريب والغزو الفكري، وكانت لديه غيرة واضحة وهو يخوض معركته ضدها، وكان للرجل طريقة أخّاذة وأنيقة جدًا في حديثه بالعربية قلَّ أن تجد لها نظيرًا.

وقد أسعدني الحظ بمعرفة الرجل بصورة أكثر وضوحًا من خلال مؤلَّفاته في علم اللغة والدراسات الإسلامية، عندما كنت في مرحلة الطلب، فرأيت فيه باحثًا عميق الفكر، صاحب أسلوب سلس وعبارة واضحة رشيقة بعيدة عن التكلف والتعقيد، وكنت شديد الحرص في تلك الفترة على حضور خطبه في جامع عمرو بن العاص، وما زلت حتى الآن أتذكر كثيرًا من هذه الخطب بألفاظها ومضامينها رغم مرور فترة طويلة على ذلك، كان رحمه الله يصول ويجول على المنبر وبعد الانتهاء من الخطبة، وكان لا يتناول في خطبه ودروسه سوى الموضوعات الواقعية الحية التي تمس حياة الناس وواقعهم، ويعالجها وفق

(١) الأستاذ بكلية الألسن ـ جامعة عين شمس.

اجتهاده ورؤيته التي لا تخرج عن صميم ما دعا إليه الشرع الحنيف، ولذلك كان كلامه يلامس شِغاف القلوب ويترك أثرًا عميقًا في النفوس، ولا أدري إن كانت هذه الخطب محفوظة إلى الآن أم لا، لأنها كنز حقيقي لو نشر على وسائل الاتصال الحديثة اليوم.

وبعد تعييني معيدًا بكلية الألسن في قسم اللغة العربية، وعملي في بعض الصحف العربية في تلك الفترة، حرصت على الالتقاء بأعلام الأمة ورموزها وإجراء حوارات معهم والاستفادة بعلمهم، وكان في مقدمتهم بالطبع **الدكتور عبد الصبور شاهين**، والحق أنني كنت محظوظا بلقائه في مكتبه بدار العلوم أكثر من مرة، وقد تركتْ هذه اللقاءاتُ أثرًا كبيرًا في نفسي، فقد جلست إلى عالم كبير أثبتت كتاباته وأحاديثه ومناقشاته العلمية تبحره وعمق تحليلاته.

كما رأيت فيه صاحب اجتهاد حقيقي ومبادرة في كثير من القضايا التي تواجه الأمة، وهو رغم ذلك كله شديدُ التواضع، جمُّ الأدب، حاضرُ البديهة، صاحبُ دُعابة ومازحة لطيفة للغاية، حبذا لو انتبه أصدقاؤه وتلاميذه إلى هذا الجانب وجمعوا دعاباته ومزاحاته، فهي تؤكد أنه واحد من ظرفاء هذا العصر، وقد اقترحت ذلك على صفحتي على الفيس بوك ووجدت استجابة كبيرة منهم. أذكر أنني عرضت عليه مقالة لي نشرتها في إحدى الصحف، أرد فيها على مقالة للمستشار محمد سعيد العشماوي كان يتطاول فيها على الشيخ الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويهرف فيها بما لا يعرف حول القرآن الكريم والقراءات العشر وغيرها من الموضوعات، وقد نالت استحسانه وتلا قوله تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]، ولكنه عقب على تلك المقالة بقوله: مقالتك جيدة لكنك مؤدب مع هؤلاء أكثر من اللازم، وقد فطنت لما يقصده رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولكن بعد مدّة ليست بالقصيرة من خلال احتكاكي ومعرفتي بأمثال

هـؤلاء الكُتَّـاب، وتأكّـد لي صـدق مقولتـه رحمـة الله عليـه؛ فهـذه الفئـة مـن الكُتَّـاب لا يكتبـون مـا يكتبونـه تعبيرًا عـن وجهـة نظـر قائمـة عـلى اجتهـاد وبحـث ونظـر، وإنـما يفعـل معظمهـم ذلـك بحثًـا عـن الشـهرة، أو تشـكيكًا في الثوابـت، أو تصفيـة لحسـاب قديـم مـع الديـن بسـبب جهلهـم ونفورهـم مـن القيـود والضوابـط، وأكثـر هـؤلاء غير مؤهـل للنظـر والاجتهـاد في مثـل هـذه المسـائل، ومـع ذلـك يوصفـون بأنهـم مفكـرون إسـلاميون.

وقـد عـاصرت معركـة الدكتـور **عبـد الصبـور** الشـهيرة مـع نـصر حامـد أبـو زيـد حـين تقـدَّم للترقيـة بمجموعـة مـن الأبحـاث العلميـة بهـا العديـد مـن الثغـرات والأخطـاء المنهجيـة فـكان لـه بالمرصـاد، ورأيـت في موقفـه صلابـة وقـوة في الحـق ونزاهـة وبعـدًا عـن سفاسـف الأمـور، فقـد قـدَّم تقريـرًا علميًـا رصينًـا يقـوم عـلى تفنيـد ادّعـاءات نـصر أبـو زيـد وتتبـع هـذه الادعـاءات بصـورة علميـة، لكـن الإعـلام غـير المحايـد حـوَّل القضيـة إلى صراع بـين التيـار الديني والليـبرالي واضطهـاد المفكرين والباحثـين ، وغـير ذلـك مـن الدعـاوى الكاذبـة.

رحـم الله العـالم الجليـل والمفكـر الإسـلامي الكبـير صاحـب المواقـف النبيلـة والمؤلَّفـات المهمـة والمعـارك القويـة.

اسطنبول ٢٠١٨م.

عبد الصبور شاهين ورصيد القيم

الأستاذ الدكتور يوسف عبد الفتاح[1]

من عاشَ مع الشيخ أو تتلمذ على يديه يُدرك أنه كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتميّز بسمات لا يتصف بها سوى الرِّجال، وهي:

(1) الصلابة في الحق، وتملُّك زمام المبادرة.

(2) المشاركة الإيجابية في التصدِّي لمشكلات مجتمعه الذي يعيش فيه.

(3) التواضع والكرم والعفة وروح الدعابة.

(4) فقه الواقع ومحاولة إصلاحه وتطويره.

لقد كان الرجل ورعًا يخشى الله في كل تصرُّفاته، يجهر بكلمة الحق دون اكتراث بذي سلطان، وقد أدَّى ذلك إلى مطاردته لسنوات طويلة، فما وهن ولا ضعف ولا استكان، وإنّما ازداد صلابة في الحق وحبًّا له وإيمانًا به، يخلص في كل ما يعهد إليه به، يقدر قيمة الوقت، ويحرص ألَّا ينفقه إلَّا فيما يجدي، يبذل قصارى جهده في البحث، والتنقيب والمراجعة والترجمة.

كما كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعيش مشكلات عصره في وطنه الكبير ومصر، والحي الذي يعيش فيه والجامعة التي يعمل بها، ولم يدخر وسعًا من أجل تقديم الحلول للمشكلات لتي يُشْهِرها، فكان يُقسِّم خطبته التي يلقيها يوم الجمعة إلى **قسمين**:

---

(١) أستاذ بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

الأوَّل: تفسير آيات من كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومحاولة إنزال معناها على الواقع الذي نعيشه.

الثاني: مناقشة أبرز المشكلات التي يعيشها الوطن العربي بعامة أو مصر بخاصة ومحاولة حلها، ولَّما مُنع من الخطابة في مسجد عمرو بن العاص بنى مسجدًا بجوار بيته حتى لا يتوقف عن مشاركة مجتمعه الذي يعيش فيه، فلم يكن الشيخ ضليعًا وفقيهًا متبحرًا في علوم اللغة والشريعة فحسب، وإنما كان رجلًا اجتماعيًّا ومجاهدًا وطنيًّا، ترك بصماته الواضحة في المجالات السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية، وساعده في ذلك التبحُّر في العلم والتمتُّع بالموهبة العقلية والذكاء والعبقرية.

ولذلك يبدو الأمر عسيرًا عندما أحاول الكتابة عنه وعن رصيده الضخم في عالم القيم التي تبدَّت في كلامه وأفعاله وخصاله ومواقفه، فما تناقض مع نفسه؛ بل كان متسقًا معها شديد الرضا من داخله، عظيمًا في قناعته، فما طرق بابًا من أبواب الحسد، ولا اقتحم مجالًا من مجالات الحقد؛ بل إنه كثيرًا ما كان يردد القول المأثور: «إنما كبير القوم من لا يحمل الحقد»، فبدا أستاذًا متمكِّنًا متبحرًا مهذبًا، لا تراه إلَّا مستعدًا للقاء والحوار في هدوء ومودة واعتزاز، لا يعرف إلَّا التواضع وعذوبة اللسان، وحلاوة المنطق، ورحابة الصدر، وعمق الفكر، وطيب السريرة، له ابتسامة ساحرة تكشف عن قلبٍ أكثر سحرًا.

لقد كان **عالًما** يمثل «الأستاذ الجامعيّ في أبهى صورة، يعتدُّ بعلمه وفكره، لا يكتب شيئًا إلَّا بعد المراجعة والتروي والتثبت، كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعيدًا عن العشوائية، فإذا ما أصدر كتابًا فأحدث ضجة بين الناس دافع عن فكرته دفاع الأسد الهصور – بحديث عذبٍ آسرٍ، وابتسامة لا تفارق شفتيه.

فعرفه الوسط الجامعيُّ بتمايز أسلوبه في البحث وتفرُّده، وعبقريته في الترجمة اختيارًا وإنجازًا، وعرفه عامة الناس بأسلوبه الرشيق ومنطقه العذب وتواضعه الجمِّ، وعرفه تلاميذه بحبه الشديد لهم، ومساعدته إياهم والشفقة عليهم، يفيدون منه عالمًا وأستاذًا، ويستمتعون به برحابة صدر العالِم ودماثة خلق الإنسان ورحمة الأب وحنوه عليهم، وحرصه على انفتاح فكرهم إلى آفاق بعيدة لدرجة أنهم يشعرون بأبوَّته ويشعر ببنوتهم.

ولذلك أدَّى الأستاذ الشيخ دورًا خطيرًا ورائعًا في تكوين تلاميذه خصوصًا على المستوى العلمي والأخلاقي، وهو الدور الذي يسهم في كشف مفاتيح شخصيته الأخّاذة الرائعة.

ومن رصيده في عالم القيم **قيمة الحق** التي لم يحد عنها للحظةٍ واحدةٍ، فبدا نصيرًا للمظلومين مهما كلَّفه ذلك.

هكذا كان سلوكه في حرصه على قيمة الحق التي تحتاج دائمًا إلى مَن يتبنَّاها ويرفع شأنها.

أما **قيمة الخير** فكان من بين فرسانها الذين حاولوا نشرها والقيام على أمرها، فما عُرف عنه إلَّا حبّه للخير وأهله، ولم يكره لأحد خيرًا قط؛ بل سيطرت عليه نزعة العطاء بلا حدود، أعطى طلابه من وقته وعلمه وماله الكثير، وأعطى عامة الناس الذين أحبوه في مسجد عمرو ومسجده الذي بناه بعد ذلك من علمه ووقته الكثير؛ ولذلك يمكن القول بأن «**الخيرية**» كانت تغلف سلوكه اليومي، فكان حريصًا على الدفاع عن الخير والانتصار لكل مقوماته، فارتدى ثوب الواعظ المهذب، والخطيب المؤثر، خاصة في توجهات الخير التي قصد إليها حيث كانت، وأصَّل لها في أبنائه؛ حيث كان يحثهم قولًا وفعلًا على السير في ذات الطريق.

أما **قيمة الجمال** فكان عاشقًا لها، توَّاقًا إليها في كل شيء خلقه الله عَزَّوَجَلَّ، يتأمَّل كل شيءٍ محاولًا أن يصل إلى ملامحه الجمالية، وكان يعتقد أن كل مخلوق فيه من الجمال ما فيه، ولا يدري هذا الجمال إلَّا مَن كان جميلًا في ذاته، فلا يمكن لإنسان غير جميل أن يرى الجمال أو يشعر به؛ ولذلك كانت تسعده نسمات الربيع وزهوره، أحبَّ الزهور والطيور؛ ولذلك امتلأ بيته بمختلف أنواع الأشجار والأزهار التي تعلوها الطيور.

ومن حبه للجمال أحب العربية وأخلص لها، وعشق كتابها المقدَّس وعاش له وبه، فلا تجده إلَّا باحثًا عن دورها أو منافحًا عنها ، أو مترجمًا إليها أمهات الكتب التي لها قيمة خُلقية أو دينية أو لغوية.

ولذلك ظهرت أبحاثه في القرآن وعربية القرآن جادة وهادفة ومفيدة، وظهرت ترجماته إلى العربية سامقة شامخة، اختارها بعناية شديدة ودقة بالغة.

وما زال رصيد القيم عند **عبد الصبور شاهين** كبيرًا ثريًّا لا يستطيع مثلي أن يدركه أو يحيط به، وسأظلُّ ما حييتُ عاجزًا عن الوفاء بحقه أو بعض حقه.

نحن في هذا المقام لا نستطيع إلَّا ندعو له بالرحمة والمغفرة، وذلك الرجل الذي خسرته الأمة الإسلامية عالمًا وواعظًا وحكيمًا وقاضيًا.

رَحِمَ الله شيخنا وأستاذنا العلَّامة **الدكتور عبد الصبور شاهين** الحافظ، اللغوي، المحقِّق، المترجم، البحَّاثة، الخطيب المفوَّه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نماذج من الإهداءات في كتبه

إهداء لأبويه رحمهما الله

لكتاب «أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي»

قال : «إلى والدىّ في برزخهما بعدما غرسا في حياتهما، غمرهما الله بالرحمة والرضوان».

إهداء لزوجه

في كتابه «القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث»

قال : «إلى زوجتى وفاء بحقها، وعرفانا بفضلها، وإنى لأحس في أعماقى أن ما منحتنيه من عون ورعاية، هو مثال تأتسى به بنات حواء، من رافقت منهن أحدًا من العلماء أوالباحثين».

إهداء لابنته أميرة عبد الصبور

الطالبة بكلية الطب جامعة القاهرة (وهى الآن أستاذة في الكلية)

في كتاب «علم الأصوات» للمستشرق برتيل مالمبرج

قال : «يسجل المعرّب الوالد شكره خالصًا لابنته الآنسة أميرة الطالبة بكلية الطب جامعة القاهرة على إنجازها الممتاز لما حفل به الكتاب من رسوم إيضاحية..وأضافت إليها رسمًا إيضاحيًا للأذن وأجزائها السمعية، وهو ما يجده القارئ ملونًا على غلاف الكتاب، كما يجده ملحقًا بدراسة الأذن..»

إهداء لأبنائه

في كتاب«العربية لغة العلوم والتقنية»

قال: «إلى أولادى: محمد عمرو، وهشام، ومروان، وأميرة، ولبنى- آملا أن تكونوا بسبب من العلم النافع، وداعيًا أن تكونوا ثمرته فيكم نعمة العلم بالله، وشرف العمل الذي ينفع الناس – دعوة كانت من جدكم لأبيكم في قِبلة الأزهرالشريف، ثم ها أنتم أورثتموها. الحمد لله..»

إهداء موسوعة «صحابيات حول الرسول»

بالاشتراك مع زوجه إصلاح عبد السلام الرفاعى

قالا: «إلى حميّ وحماتى...

لقد أهديتمانى خير ما ضاءت به حياتى..»

إهداء موسوعة «نساء وراء الأحداث»

بالاشتراك مع زوجه، قالا:

قالا: «إلى السيدة التي ولدت رسالة الإسلام في حجرها، فكانت أول شهود ميلاده، وأول سابق إلى الإيمان به، وأعظم المدافعين عن دعوته، وقالت وهي تعبر عن يقينها بصدق زوجها وحبيبها:

«والله لا يخزيك الله أبدًا».

إلى السيدة خديجة.. أم المؤمنين، وأعظم نساء العالمين..»

إهداء موسوعة «مصر في الإسلام» سبعة أجزاء

بالاشتراك مع زوجه

قالا: «إلى الصحابي البطل الفاتح..عمرو بن العاص.. الذي حمل إلينا رسالة الإسلام، فكنا بفضله مسلمين إلى يوم الدين، ويا لها من خطوات مباركة سارت على آثار محمد ﷺ، حين بشر بفتح مصر المجيد!

وإلى السلطان البطل صلاح الدين الأيوبى قاهر الصليبيين، ومحرر بيت المقدس ومعز مصر، الذي نتمنى أن يبعث – في زماننا – صلاح الدين من جديد..».

نبذة عن بعض الإنتاج العلمي
للأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين

زادت بفضل عن ستين كتابًا ما بين تأليف وترجمة وتحقيق، عدا آلاف المقالات والتحقيقات الصحفية.

أما **كتب التخصص ما بين تأليف وترجمة فهي أكثر من أحد عشر كتابًا؛ منها:**

(1) **في علم اللغة العام**: وهو دراسة تتعرَّض لأهم القضايا التي يثيرها هذا العلم بالنسبة إلى جميع اللغات بعامة، وإلى اللغة العربية بخاصة.

(2) **في التطور اللغوي**: وقد التزم هذا الكتاب بتقديم أفكار ودراسات عن الجانب التطوري منهجًا ومادّةً.

(3) **دراسات لغوية**: الكتاب عبارة عن بحثين: **أحدهما**: عن القياس في الفصحى، **والثاني**: عن مشكلة الدخيل في العامية المصرية.

(4) **عربية القرآن**: بيَّن فيه أن علاقة العربية بالقرآن الكريم كعلاقة الماء بمنبعه.. ولذلك لا يمكن الفصل بين العربية والإسلام.

(5) **العربية لغة العلوم والتقنية**: أراد في هذا الكتاب أن تصبح اللغة العربية لغة العلوم المعاصرة، فهي السبيل الوحيد إلى استيعاب العلم.

(6) **أثر القراءات في النحو العربي (أبو عمرو بن العلاء)**: وهو رسالة الماجستير التي حصل عليها سنة ١٩٦٢م.

(7) **علم الأصوات**: مترجم، ومؤلِّفه لغوي سويدي الجنسية (بترتيل مالمبرج)، وقد تُرجم هذا الكتاب إلى عدة من لغات أوروبا، غير أنه قريب أخذ إلى قراء العربية، بما أضاف إليه من تعليقات وهوامش.

(8) **العربية الفصحى (نحو بناء لغوي جديد)**: لمؤلِّفه عالم اللغة الفرنسي المستشرق الأب اليسوعي (هنري فليش).

(9) **التفكير الصوتي عند العرب**: للأب فليش أيضًا، ركَّز فيه على مشكلة الضاد العربية، وتراث الضاد والظاء في اللغة العربية.

كتب مؤلَّفة في غير التخصص:

(1) **الأمة الفريضة الغائبة**: والكتاب صرخة في وجدان كل المسلمين؛ لتعود يومًا ما إلى أمة الأبطال.

(2) **علِّموا أولادكم القضية**: قرَّر في هذا الكتاب أن الضمان الوحيد للانتصار على عدونا هو أن نعمل على تغذية وعي الأجيال القادمة بثقافة الصراع بيننا وبين العدو الصهيوني.

(3) **إلى آدم (قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة)**: ذكر في مقدمته أنه استغرق في كتابته أكثر من خمسة وعشرين عامًا، أما الهدف من هذا الكتاب هو انتزاع العقل المسلم من براثن النقول الإسرائيلية المحشوة بالخرافات لكل ما هو عقل وعلم ونور.

(4) **تاريخ القرآن**: يقول في مقدمته: «هذا الكتاب ليس تاريخًا متتبعًا للقرآن؛ وإن تضمن أغلب أحداث التاريخ، وإنما هو مواجهة لما ثار في وجه هذا التاريخ من ضلالات وشبهات، طالما انخدع بها شبابنا المثقف.

(5) **ميلاد محمد ميلاد أمة**: بيَّن فيه أن محمدًا ﷺ، كان الكلمة النهائية من الملأ الأعلى إلى ملأ الدنيا.

(6) **السُّنة والشيعة أمة واحدة**: بيَّن فيه أن الأعداء أدركوا أن قوة هذه الأمة في وحدتها، فأسهروا ليلهم في محاولة تمزيقها.. وقال في «المقدمة»: «وبلغوا في هذه المحاولة ما لم يكونوا يتصورنه في أحلامهم، فإذا الأمة الإسلامية الواحدة أكثر من ستين دولة متخلفة متناثرة على سطح الكرة الأرضية.

أما مؤلَّفات الدكتور عبد الصبور مع زوجته السيدة / إصلاح عبد السلام الرفاعي، فقد بدأها بكتاب خطير ردَّ فيه على أكاذيب صاحب آيات شيطانية، وهو:

(1) **موسوعة أمهات المؤمنين**: دراسة في سيرهن ومروياتهن، وجاءت الموسوعة كما رسم منهجها في ثلاثة محاور:

(أ) تناولا حديث القرآن عن زوجات النبي ﷺ ومشكلات البيت النبوي وآداب الانتماء إليه.

(ب) درسا سيرهن وناقشا وعالجا من خلال ذلك باستفاضة من التأويلات والشائعات عن هذه السير المطهرة.

(ج) وجمعا ما روي عنهن من سُنة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قولًا وفعلًا.

(2) **صحابيات حول الرسول ﷺ (مهاجرات – أنصاريّات – رويَّات)**: عالجا فيه بعض الجوانب المجهولة من تاريخ صدور الإسلام مما يتصل بالمرأة، نصف المجتمع في كل زمان ومكان.

(3) **(١٥) نساء وراء الأحداث**: قالا في مقدمته: «أردنا في هذا الكتاب أن نردَّ الأشياء إلى ميزانها، بإبراز دور المرأة في صناعة تاريخ الإسلام، باعتباره الخيمة التي تظلنا جميعًا، وتضمنا رجالًا ونساءً، وكان اختيارنا لهؤلاء السيدات اختيارًا دقيقًا وشاملًا لكل دول الإسلام في كل عصر من عصوره. وصدرت لكل سيدة منهن قصة في كتاب منفرد، وفي الطبعة الثالثة جُمعت كلها في مؤلَّف واحد وبنفس الاسم.

(4) **مصر في الإسلام**: وقد صدر منه سبعة كتبٍ؛ **أوَّلها**: الدين والنبوة في مصر قبل الإسلام، ثم مصر في الإسلام (القرن الأول الهجري) حتى (القرن السادس الهجري). وانتقل إلى الرفيق الأعلى، وقد شاهد بنفسه النسخة الأولى من الكتب قبل وفاته بأيام.

(5) **كتاب (الغزالي وإحياء علوم الدين)** للإمام أبي حامد الغزالي

أما كُتُبُ المغفور له المترجمة في غير التخصص فمنوَّعة، ومنها:

(1) **الظاهرة القرآنية**: وهو أوَّل كتاب ترجمه له مالك بن نبي، وقد ظهرت أوَّل طبعة سنة ١٩٥٦ م، وآخر طبعة سنة ٢٠٠٦م، وكتب في مقدمتها: «وقد صادف الكتاب (الظاهرة القرآنية) نجاحًا هائلًا لم يغب عن قُراء العربية طيلة الأعوام الخمسين التي مضت من عمره المديد.

(2) **فكرة الإفريقية الأسيوية (في ضوء مؤتمر باندونج)**: وهو الكتاب الثاني لمالك بن نبي.

(3) **شروط النهضة الإسلامية**: الكتاب الثالث المترجم لمؤلِّفه مالك بن نبي.

(4) **وجهة العالم الإسلامي**: الكتاب الرابع للمفكر مالك بن نبي.

(5) **ميلاد مجتمع (شبكة العلاقات الاجتماعية)**: ركَّز فيه مالك بن نبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على العلاقات الاجتماعية وصلتها بالدين، وصلتها بالتاريخ، وصلتها بعلم النفس.

ومن الكتب المترجمة المهمة:

(1) **السفر العظيم (فلسطين أرض الرسالات الإلهية)**: للكاتب الفرنسي المسلم (رجاء) روجيه جارودي، والطريف أن هذا الكتاب صدر بثلاث لغات في وقت واحدٍ عام ١٩٨٦م، اللغة الفرنسية ، واللغة الإنجليزية ، واللغة الفرنسية.

(2) **دستور الأخلاق في القرآن: (دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن)**: وهو رسالة الدكتوراه في السربون للأستاذ الكبير الدكتور محمد عبد الله دراز، وقد ناقشها في السربون في ١٥/ ٢/ ١٩٤٧م، وظهرت ترجمتها بعد أكثر من ربع قرن في أغسطس ١٩٧٣ م.

(3) **مناظرات بين ابن حزم الظاهري والباجي المالكي في أصول الشريعة الإسلامية**: للدكتور عبد المجيد التركي التونسي الأصل، ومدير البحوث في المركز الوطني بباريس وأستاذ بجامعة السربون.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــوع .....الصفحة
الإهداء ٣
المقدمة ٥
عبد الصبور شاهين: الابن والزوج والأب: كلمة السيدة/ إصلاح عبد السلام الرفاعي ...٧
أبي : أ. د. أميرة عبد الصبور شاهين ١٤
مات قوم وما ماتت مكارمهم: أ.د/ أحمد زكي حماد ١٨
زوج أختي الكبير: فاطمة عبد السلام الرفاعي.....٢١
الرجل الصالح زوج أختى: أ.د/ فيصل عبد السلام الرفاعى.....٢٥
أبي : السيدة/ مجد خلف زوجة الدكتور هشام عبد الصبور شاهين.....٢٧
أبي :أ. د. هشام عبد الصبور شاهين ٢٩
الأخ الكبير دكتور عبد الصبور: أ.د/ محمد السعد الرفاعي.....٣٢
بين الآية والنشيد: المهندس / مروان عبد الصبور شاهين.....٣٤
أستاذنا عبد الصبور شاهين : أ.د/ إبراهيم الدسوقي.....٣٩
لا أقول إلَّا جزاك الله خيرًا : أ./ أحمد عبد العظيم على.....٤١
عبد الصبور شاهين: أ/ أحمد رائف ٤٢
رب الكلِم والقلم: أ/ السيد عبد الحليم.....٤٣
أبو زيد وأبى آدم أشهر معاركه: أ/ أمانى ماجد ٤٥
عبد الصبور شاهين.. العالم والمفكِّر والدَّاعية: د/ المعتزُّ بالله السَّعيد.....٤٦
رونق الأيام : الأستاذ الشاعر السورى/ بهاء الدين الأميرى.....٥٨
ورَحَلَ خليلُ العصر وأستاذُ الجيل: د/ جمال عبد العزيز أحمد.....٥٩
عبد الصبور شاهين قمة شامخة: أ.د/ حلمي محمد القاعود ٦١
أعلام القرن العشرين: د/ راغب السرجاني.....٦٢
المفكر الراحل عبد الصبور شاهين في آخر حوار قبل وفاته: أ/ صابر رمضان.....٦٥
قبض العلماء: أ/ عبد المعطى عمران ٦٧

الموضـــــــــــوع ..... الصفحة
أخي وصديقي.. عبد الصبور شاهين: د/ عبد الحليم عويس ٦٩
المفسِّر المنبريّ.. فقيه القرآن واللغة: الكاتب الصحفي الدكتور عبد الله إبراهيم المصري ... ٧١
ورحل د. شاهين عالم الفقه واللغة: أ.د / عبد الهادي عباس ٧٧
رثاء بلا رياء: أ / علي عطية ٧٩
الدكتور عبد الصبـــور شاهيـــن ٨١ عامًا من الفكر والاجتهاد: أ / عمرو محمد ٨٤
تحية من أستاذ كبير: الأستاذ عمر الدسوقى ٨٦
مقدمة كتاب فكرة الإفريقية الأسيوية: أ / مالك بن نبى مؤلّف الكتاب ٨٧
مقدمة كتاب دستور الأخلاق في القرآن: أ.د/ محمد السيد محمد البدوى ٨٨
سلمت يداك: أ.د/ محمد خليل نصر الله ٩٠
الإمام الأمة: أ.د/ محمد صالح توفيق ٩١
الدكتور عبد الصبور شاهين.. المفكر والداعية: أ.د/ محمد قاسم المنسي ٩٣
عبد الصبور شاهين ونصر أبو زيد: أ.د/ محمد الجوادي ٩٩
أوَّل من أسَّس مدرسة البحث اللغوي في القراءات القرآنية: أ. محمد الشندويلي ١٠٦
أُتْرُجَّةُ دار العلوم: أ.د/ محمد جمال صقر ١١٠
الدكتور عبد الصبور لغويًّا: أ.د/ محمد حسن عبد العزيز ١٢٧
عبد الصبور شاهين أستاذًا مربِّيًّا: أ / محمد خالد الفجر ١٢٩
ورحل أبو حنيفة عصره .. الدكتور عبد الصبور شاهين: أ.د/ محمد داود ١٣٧
الدكتور عبد الصبور شاهين كما عرفته: د/ نعيم عبد الغنى ١٤٠
الدكتور عبد الصبور شاهين وجهوده في الدعـوة الإسلامـة: أ.د/ محمد نبيل غنايم ١٤٢
أين الثريات من يد المتناول؟: أ. د / هاشم عبد الراضى عيسى ١٦٦
الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين صوتيًّا: د/ وفاء زيادة ١٦٨
لا يزال ملء السمع والبصر : د/ وجيه يعقوب السيد ١٨١
عبد الصبور شاهين ورصيد القيم: أ. د / يوسف عبد الفتاح ١٨٤
نماذج من الإهداءات في كتبه: ١٨٨
نبذة عن بعض الإنتاج العلمي للأستاذ أ / عبد الصبور شاهين ١٩٥